



مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر

Hadhramaut Centre for Historical Studies
Documentation and Publication.

حضرموت الثقافية

محرم ١٤٤٠ هـ - September - 2018

مجلة فصلية - السنة الثانية العدد (9)

عناقيد العنب الأسود في حضرموت

عن علي غدّاف
وسرديات التشكيل

سلامة عبدالقادر بامطرف
رائدة التنوير والكتابة النسائية
في الصحافة الحضرية

(حضرموت الثقافية) في حوار مع

الإعلامية والمسرحية: أنيسة خميس

أضواء على تاريخ صحراء (ثمود) وهواقعها





مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر
Hadramout Center for Historical Studies,
Documentation and Publication

يعلن مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر عن مؤتمره العلمي الثالث
((التاريخ والمؤرخون الحضارمة
في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين - السابع عشر والثامن عشر الميلاديين))
(18- 19 ديسمبر 2018م) في مدينة المكلا

محاور المؤتمر:

- أولاً :: أهم التطورات السياسية في حضرموت.
- ثانياً :: الحركة العلمية والثقافية.
- ثالثاً :: المادة التاريخية في مصادر القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين.
- رابعاً :: الحياة الاجتماعية.

شروط المشاركة:

- أن يكون موضوع البحث مطابقاً لمحاور الندوة .
- أن يمتاز البحث بالأصالة وسلامة المنهج العلمي .
- أن يمتاز البحث بخلاصة مبتكرة تدل على الغاية المرجوة من البحث.
- ألا يكون البحث قد سبق نشره أو قدم للنشر في مجلة أو قدم للمشاركة في مؤتمر آخر .
- ألا يقل عدد صفحات البحث عن ٢٠ صفحة وألا يتجاوز ٥٠ صفحة.
- أن يرتقي البحث بلغته العربية من حيث الأسلوب وقواعد النحو.
- أن يكتب البحث بخط حجمه ١٦ وحجم خط الهامش ١٤ ونوع الخط: Simplified Arabic.
- تقدم نسخة ورقية من البحث مرفقة بملخص وبالسيرة الذاتية للباحث مذيلة بعنوانه الحالي ورقم هاتفه وبريده الإلكتروني ونسخة من البحث بصيغة word على قرص DVD.

ترسل الأبحاث كاملة خلال فترة أقصاها ٢٠ نوفمبر ٢٠١٨م عبر البريد الإلكتروني:

h-asa2009@hotmail.com أو hc.cd529@gmail.com

أو تسليمه مكتب المركز الكائن في مدينة المكلا - حي الشهيد - معهد باشراف سابقاً .
يتكفل المركز بتكاليف الإقامة والإعاشة والمواصلات الداخلية مدة أيام المؤتمر.
للاستفسار الاتصال بالهواتف الآتية: 772570159 - 777370880 - 304546 .

محتويات العدد

حديث البداية

- زيارتنا إلى المركز أ. محمد بن سالم بن علي جابر 4

أصوا

- إمامة الخليل بن شاذان العماني في بعض كتابات الحضارة عبدالكريم محروس ميزان 9
- سلامة باعطرف رائدة التنوير والكتابة النسائية في الصحافة الحضرية أ.د. علي صالح الخلاقي 12
- مجموعة المقالات والأحكام الفتاوى النادرة: مكتبة الشيخ عبدالله بكر شيخ الأزهر محسن علوي باعوي 18
- أصوا، على تاريخ صحراء (ثمود) وواقعها نائف ناصر المتهالي 20

تراث

- البناء المعماري القديم في أرياف الشجر وأصالة الإنسان أحمد عمر مسجدي 34

كتابات

- سطور عن (عناقيد الغيب الأسود) في حضرموت محمد علي باحميد 41
- عن علي غزاف وسرديات التشكيل د. سعيد سالم الجبري 46
- النفاة العربية.. قواعد وممارسة د. محمد علوي بن يحيى 48
- العلاقة الوجدانية بين الإمام الحبشي وتلميذه القاضي عبدالله باحسن جمل النيل عادل حاج باعكيم 50

دراسات

- الصلات التجارية بين حضرموت والهند أ.د. محمد بن هادي باوزير 54
- لهجة حضرموت محمد عوض محروس 58
- العلاقات العلمية والروحية بين مدينة تريم ومدينة البيضاء عبدالسلام الريدي 62

حوار

- حوار مع الإعلامية والمسرحية: أنيسة خميس خالد أحمد الشحوم 72

ترجمة

- رحلة إلى حضرموت د. خالد عوض بن مخاشن 74
- كتاب (شتاء في جنوب شبه الجزيرة العربية) لغريتا ستارك أ.د. مسعود عمشوش 78

لغويات

- وقفان في التصحيح اللغوي أ.د. عبدالله صالح باعير 85

نقد

- وهج القصائد على شواطئ النفاة أ.د. عبدالله حسين البار 88
- ثنائية الأنا والآخر في قصيدة (يلوموني) د. ماهر سعيد بن دهري 99

استطلاع

- مديرية حجر... الجوهرة المفقودة وقرية حنور المخفية سالم محمد باراس 104

حكايات

- يا الكوس يا المعربية .. في رحلة من السواحل الإفريقية خالد سالم الغتني 108

إبداع

- عودة المقرب (سرد) د. أحمد عبدالله السومحي 110
- بك وجهتي (قصيدة) مريم بن سمير 113

توقيع قلم

- (دغل عيف وخرج زين) أ.د. عبدالله سعيد الجعدي 114

حضر موت الثقافة

مجلة فصلية

السنة الثانية العدد (9)

يونيو - سبتمبر 2018م

تصدر عن مركز حضرموت

للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر

صاحب الامتياز

الأستاذ محمد سالم بن علي جابر

المشرف العام

أ.د. عبدالله سعيد بن جبار الجعدي

رئيس التحرير

د. عبدالقادر علي باعيسى

سكرتير التحرير

أنور سالم باكركر

السكرتير الفني

حسن أحمد باجعدي

الصور

م. عبدالله جمال بن عبدالعزيز

التدقيق اللغوي

د. جمال رمضان حديجان

الهيئة الاستشارية

أ.د. عبدالله حسين البار

أ.د. عبدالله صالح بابعير

أ.د. ناجي جعفر الكثيري

أ.د. مسعود سعيد عمشوش

أ.د. خالد يسلم بلخشر

د. طه حسين الحضرمي

د. أحمد سعيد عبيدون

د. صادق عمر مكنون

- المواضيع المنشورة تعبر عن آراء أصحابها ولا تعبر

بالضرورة عن رأي المجلة.

- ترتيب المواد جاء وفق شروط هيئة إخراجية

المجلة غير ملزمة بإعادة أي مادة تمليها للنشر، سواء نشرت

أو لم تنشر. ولا تتقدم بنشر المقالات المرسلات آتيا بخاصة

مراسلات المجلة

hc.magazine16@gmail.com

Baesa-1@hotmail.com

موقعنا على الشبكة الإلكترونية

www.hadramout.center

العنوان: محلة حي الفهد (بعد بشارف سابقا) ٥ ٥١١٦٩

محتويات العدد

حديث البداية

- زيارتنا إلى المركز أ. محمد بن سالم بن علي جابر 4

أصوا

- إمامة الخليل بن شاذان العماني في بعض كتابات الحضارة عبدالكريم محروس ميزان 9
- سلامة باعطرف رائدة التنوير والكتابة النسائية في الصحافة الحضرية أ.د. علي صالح الخلاقي 12
- مجموعة المقالات والأحكام الفتاوى النادرة .. مكتبة الشيخ عبدالله بكر شيخ الأزهر محسن علوي باعوي 18
- أصوا .. على تاريخ صحراء (ثمود) وواقعها نائف ناصر المنهالي 20

تراث

- البناء المعماري القديم في أرياف الشجر وأصالة الإنسان أحمد عمر مسجدي .. 34

كتابات

- سطور عن (عناقيد الغنم الأسود) في حضرموت محمد علي باحميد 41
- عن علي غزاف وسرديات التشكيل د. سعيد سالم الجبري 46
- النفا العريضة .. قواعد وممارسة د. محمد علوي بن يحيى 48
- العلاقة الوجدانية بين الإمام الحبشي وتلميذه القاضي عبدالله باحسن جمل النيل عادل حاج باعكيم 50

دراسات

- الصلات التجارية بين حضرموت والهند أ.د. محمد بن هادي باوزير 54
- لهجة حضرموت محمد عوض محروس ... 58
- العلاقات العلمية والروحية بين مدينة تريم ومدينة البيضاء عبدالسلام الريدي 62

حوار

- حوار مع الإعلامية والمسرحية: أنيسة خميس خالد أحمد الشحوم 72

ترجمة

- رحلة إلى حضرموت د. خالد عوض بن مخاشن 74
- كتاب (شتاء في جنوب شبه الجزيرة العربية) لغريا ستارك أ.د. مسعود عمشوش 78

لغويات

- وقفتان في التصحيح اللغوي أ.د. عبدالله صالح باعير 85

نقد

- وهج القصائد على شواطئ النفا أ.د. عبدالله حسين البار 88
- ثنائية الأنا والآخر في قصيدة (يلوموني) د. ماهر سعيد بن دهري 99

استطلاع

- مديرية حجر .. الجوهرة المفقودة وقرية حنور المخفية سالم محمد باراس 104

حكايات

- يا الكوس يا المعريّة .. في رحلة من السواحل الإفريقية خالد سالم الغنيمي 108

إبداع

- عودة المقرب (سرد) د. أحمد عبدالله السومحي 110
- بك وجهتي (قصيدة) مريم بن سمير 113

توقيع قلم

- (دغل عيف وخرج زين) أ.د. عبدالله سعيد الجعدي 114

حضر موت الثقافة

مجلة فصلية

السنة الثانية العدد (9)

يونيو - سبتمبر 2018م

تصدر عن مركز حضرموت

للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر

صاحب الامتياز

الأستاذ محمد سالم بن علي جابر

المشرف العام

أ.د. عبدالله سعيد بن جبار الجعدي

رئيس التحرير

د. عبدالقادر علي باعيسى

سكرتير التحرير

أنور سالم باكركر

السكرتير الفني

حسن أحمد بلجعد

الصور

م. عبدالله جمال بن عبدالعزيز

التدقيق اللغوي

د. جمال رمضان حديجان

الهيئة الاستشارية

أ.د. عبدالله حسين البار

أ.د. عبدالله صالح بابعير

أ.د. ناجي جعفر الكثيري

أ.د. مسعود سعيد عمشوش

أ.د. خالد يسلم بلخشر

د. طه حسين الحضرمي

د. أحمد سعيد عبيدون

د. صادق عمر مكنون

- المواضيع المنشورة تعبر عن آراء أصحابها ولا تعبر

بالضرورة عن رأي المجلة.

- ترتيب المواد جاء وفق شروط هيئة إخراجية

المجلة غير ملزمة بإعادة أي مادة تمليها للنشر. سواء نشرت

أو لم تنشر. ولا تتقدم بنشر المقالات المرسله آتيا بخاصة

مراسلات المجلة

hc.magazine16@gmail.com

Baesa-1@hotmail.com

موقعنا على الشبكة الإلكترونية

www.hadramout.center

العنوان: محلة حي الفهد (بعد بشارف سابقا) ٥ ٥١١٦٩

محتويات العدد

حديث البداية

- زيارتنا إلى المركز أ. محمد بن سالم بن علي جابر 4

أضواء

- إمامة الخليل بن شاذان العماني في بعض كتابات الحضارة عبدالكريم محروس ميزان 9
- سلامة باعطرف رائدة التنوير والكتابة النسائية في الصحافة الحضرية أ.د. علي صالح الخلاقي 12
- مجموعة المقالات والأحكام والفتاوى النادرة.. مكاتبة الشيخ عبدالله بكير شيخ الأزهر محسن علوي باعلوي 18
- أضواء على تاريخ صحراء (ثمود) وواقعها نايف ناصر المنهالي 20

تراث

- البناء المعماري القديم في أرياف الشحر وأصالة الإنسان أحمد عمر مسجدي .. 34

كتابات

- سطور عن (عناقيد الغنم الأسود) في حضرموت محمد علي باحميد 41
- عن علي غداف وسرديات التشكيل د. سعيد سالم الجريري 46
- اللغة العربية.. قواعد وممارسة د. محمد علوي بن يحيى 48
- العلاقة الوجدانية بين الإمام الحبشي وتلميذه القاضي عبدالله باحسن جمل الليل عادل حاج باعكيم 50

دراسات

- الصلات التجارية بين حضرموت والهند أ.د. محمد بن هاوي باوزير 54
- لهجة حضرموت محمد عوض محروس ... 58
- العلاقات العلمية والروحية بين مدينة تريم ومدينة البيضاء عبدالسلام الريدي 62

حوار

- حوار مع الإعلامية والمسرحية: أنيسة خميس خالد أحمد القحوم 72

ترجمة

- رحلة إلى حضرموت د. خالد عوض بن مخاشن 74
- كتاب (شتاء في جنوب شبه الجزيرة العربية) لفريا ستارك أ.د. مسعود عمشوش .. 78

لغويات

- وقفان في التصحيح اللغوي أ.د. عبدالله صالح بابعير 85

نقد

- وهج القصائد على شواطئ اللغة أ.د. عبدالله حسين البار 88
- ثنائية الأنا والآخر في قصيدة (يلوموني) د. ماهر سعيد بن دهري 99

استطلاع

- مديرية حجر... الجوهرة المفقودة وقرية حنور المخفية سالم محمد باراس 104

حكايات

- يا الكوس يا المعريّة .. في رحلة من السواحل الإفريقية خالد سالم الغتيني 108

إبداع

- عودة المغترب (سرد) د. أحمد عبدالله السومحي 110
- بك وجهتي (قصيدة) مريم بن سمير 113

توقيع قلم

- (دخل عيف وخرج زين) أ.د. عبدالله سعيد الجعدي 114

حضر موت الثقافي

مجلة فصلية

السنة الثانية العدد (9)

يوليو - سبتمبر 2018م

تصدر عن مركز حضرموت

للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر

صاحب الامتياز

الأستاذ محمد سالم بن علي جابر

المشرف العام

أ.د. عبدالله سعيد بن جسر الجعدي

رئيس التحرير

د. عبدالقادر علي باعيسى

سكرتير التحرير

أنور سالم باكركر

السكرتير الفني

حسن أحمد بلجعد

الصور

م.عبدالله جمال بن عبدالعزيز

التدقيق اللغوي

د. جمال رمضان حديجان

الهيئة الاستشارية

أ.د. عبدالله حسين البار

أ.د. عبدالله صالح بابعير

أ.د. ناجي جعفر الكثيري

أ.د. مسعود سعيد عمشوش

أ.د. خالد يسلم يلخشر

د. طه حسين الحضرمي

د. أحمد سعيد عبيدون

د. صادق عمر مكنون

- المواضيع المنشورة تعبر عن آراء أصحابها ولا تعبر

بالضرورة عن رأي المجلة.

- ترتيب المواد جاء وفق شروط فنية إخراجية.

- المجلة غير ملزمة بإعادة أي مادة تتسلمها للنشر، سواء نشرت

أم لم تُنشر. ولا تتقدم بنشر المقالات المرسلة إليها بخط اليد.

مراسلات المجلة

hc.magazine16@gmail.com

Baesa-1@hotmail.com

موقعنا على الشبكة الإلكترونية

www.hadramout.center

الطيران - المكلا - حي الشهيد - (مهد باشراف مابلاً) - ص. ٢٥٠١٢٥

زياراتنا إلى المركز

العدد (9)
يوليو
سبتمبر
2018م

في زيارتنا المتكررة لمركز حضر موت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر منذ إشهاره بتاريخ ٢٠ ديسمبر ٢٠١٥م ونحن نلاحظ التطور المضطرد الذي يشهده، ذلك لأنه قام على أسس إدارية منظمة بدءاً من إعداد ومناقشة وإقرار نظامه الأساسي، وتشكيل رئاسته، وإدارته العاملة، ولجنته العلمية، وهيئته الاستشارية، ووضع خطته السنوية، ورسم آفاقه المستقبلية للمسار الذي يمكن أن ينتهجه لا سيما أننا اعتمدنا في إنشائه على نخبة من الكفاءات الأكاديمية والإدارية الجيدة التي تعمل بجدية ومن منظور علمي للحفاظ على هوية حضر موت التاريخية والثقافية، وتأصيلها، والعمل على إبرازها تيسيراً للوصول المعرفة إلى القارئ المحلي، والإقليمي، والعربي، والعالمي، والأجيال القادمة من أبناء حضر موت قبل أن تأخذ موروثنا الثقافي من وثائق ومخطوطات وحصون وقلاع ومساجد وعمارات سكنية يد الإهمال والضياع.

إن التركيز على الجانب العلمي سواء في كفاءة الكادر العامل في المركز أو في رسم خطته الراهنة وآفاقه المستقبلية يدل دلالة واضحة على أن المركز لا يؤدي وظيفة إدارية فحسب، وإنما وظيفة علمية إدارية وضع على عاتقه مهمة النهوض بها بمنطق الإدارة الحديثة ووسائل ونتائج العلم الحديث في



الأستاذ :

محمد بن سالم بن علي جابر



قراءة التاريخ وفهمه واستنباط حقائقه وذلك ما وضعناه نصب أعيننا وخططنا له منذ تأسيس المركز، بل قبل ذلك بسنوات، مع إيماننا بأن ما داخلنا من قلق حول هذا الموضوع حتى برز حقيقة مجسدة في مركز حضر موت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر قد داخل كثيراً من الباحثين والمهتمين منذ عقود عديدة خلت، ولكن بحمد الله وتوفيقه جاء إبراز هذه الفكرة إلى حيز الوجود بتعاوننا جميعاً مع الخيرين والمهتمين من أبناء حضر موت في الداخل والخارج، وكان الجميع ومنذ البدء يؤكّدون على أهمية الحرص على هذه العلمية في بناء الإدارة والمعرفة على حد سواء.

ومع كل عام يمر، ومع كل زيارة سنوية جديدة لنا إلى المركز يتأكد لنا أننا وضعنا قدمنا على الطريق الصحيح، ولعل المتابع لنشاط المركز سيلمح هذا عند زيارته له أو متابعة نشاطاته عبر هذه المجلة أو عبر موقع المركز أو مواقع التواصل الاجتماعي انطلاقاً من إيماننا بأن إخلاص النية في أي عمل ووضوح الرؤية والأهداف والرسالة تُعد عوامل ديناميكية مهمة عندما يتم ترجمتها عملياً.

وفي هذا السياق نتوجه إلى مثقفينا ومسؤولينا وتجارنا داخل حضر موت وخارجها بالدعوة لدعم هذا المركز، ومشروع الموسوعة الحضرمية التي نعدّها مشروع المركز المستقبلي الكبير، وإحاطته بعنايتهم ورعايتهم حتى يشتد عوده بصورة أقوى ويقطع المسافات البعيدة التي رسمناها ومازلنا نرسمها له في مسيرته الطويلة المتطورة بإذن الله.



6

العدد (9)
يوليو
سبتمبر
2018م

رئيس مجلس إدارة مركز حضرموت في زيارة عمل إلى المكلا

أنتج في جمهورية مصر العربية مما يتعلق بتاريخ حضرموت وراثتها التراثي والمعماري والموسوعة الحضرمية.

التقى بعد ذلك الأستاذ محمد سالم بن علي جابر رئيس مجلس الإدارة بالمدير العام للمركز ومديري الإدارات في جلسات مغلقة تتعلق بالنظام الأساسي للمركز وخطته وطبيعة تطوير العمل فيه مؤكداً على أهمية تعزيز المركز بالكادر الشباب المتخصص في المجال البحثي والإعلامي والإداري لاسيما العنصر النسائي الذي يعد وجوده ركيزة أساسية لاكمال العمل وبناء الإدارة وفق النظم الحديثة التي يتم فيها الاستفادة من إمكانيات الجنسين بما يخدم الاتجاهات التطورية الحضارية مستقبلاً.

رافق الأستاذ محمد سالم بن علي جابر في زيارته الأستاذ ناصر بن علي جابر المسؤول المالي وعدد من الشخصيات ذات الخبرة والتجربة.



للمركز عبر الأستاذ رئيس مجلس الإدارة ومرافقوه عن إعجابهم بها. جرت بعد ذلك جلسات عمل جماعية وفردية التقى خلالها بالمدير العام للمركز ومديري الدوائر تخللها جملة من النقاشات ونقاط العمل التي تعمل على تعزيز دور المركز المستقبلي على مستوى الداخل والخارج بعد ذلك عقدت جلسة عمل جماعية ثانية تم فيها استعراض عدد من الأفلام التلفزيونية التوثيقية التي أنتجتها إدارة التوثيق التلفزيوني بالمركز وكانت محط نقاش وملاحظات وإفادات، سواء ما أنتج منها محلياً أو ما

قام الأستاذ محمد سالم بن علي جابر رئيس مجلس إدارة (مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر) والوفد المرافق له بزيارة عمل رسمية للمركز صباح يوم السبت ٧/٧/٢٠١٨م وكان في استقباله عند البوابة الرئيسية أ. د. عبدالله سعيد الجعدي المدير العام للمركز ومديرو الدوائر والموظفون، وفي البدء قام الوفد الضيف بزيارة استطلاعية لجنابات المركز ومكاتبه وأروقته في مبناه الجديد بحي الشهيد خالد بالمكلا الذي حرص القائمون على اختياره على أن يقدم الشخصية الاعتبارية والعلمية

اجتماع اللجنة العلمية واللجان العاملة بالموسوعة الحضرمية



الدوائر بالمركز وكذا رؤساء اللجان العاملة بالموسوعة الحضرمية.

المزمع تنظيمها فيما تبقى من هذا العام وقد حضر الاجتماع مديرو

عقد صباح اليوم السبت ٢٨/٧/٢٠١٨م بقاعة الاجتماعات بالمركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر الاجتماع الموسع لأعضاء اللجنة العلمية ورؤساء اللجان العاملة بالموسوعة الحضرمية برئاسة أ. د. عبدالله سعيد الجعدي مدير عام المركز وقد وقف الاجتماع أمام ما تبقى من خطة سير العمل السنوية للمركز وتم إقرار ومناقشة عنوانات عدد من الأنشطة العلمية



7

العدد (9)
يوليو
سبتمبر
2018م

محاضرة للدكتور محمد حداد عن التاريخ الجيولوجي لحضرموت

على وجود المعادن والبتترول والمياه في باطن أرضها.

أعقب ذلك مداخلات من عدد من الأساتذة الحاضرين أضافت إلى الحقائق العلمية المقدمة في المحاضرة وأضفت عليها طابعاً علمياً.

هذا وقد حضر المحاضرة الأستاذ الدكتور عبدالله سعيد الجعدي المدير العام للمركز والدكتور محمد عوض بارشيد عميد كلية الآداب - جامعة حضرموت وعدد من مديري الدوائر ورؤساء اللجان العاملة بالموسوعة الحضرمية وجمع من الأساتذة والمهندسين والصحفيين.



بكلية الآداب جامعة عدن في محاضرة بعنوان (أضواء على تاريخ حضرموت الجيولوجي) قدم فيها إضاءات عامة مقرونة بالشواهد عن تاريخ حضرموت الجيولوجي في الزمن القديم وأثر ذلك

استضاف مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر مساء اليوم الأربعاء ٢٠١٨/٨/١م بقاعة نادي (متطوعون) بالمكلا الدكتور محمد أحمد سعيد حداد أستاذ الجيولوجيا المشارك

توقيع اتفاقية تعاون بين مركز حضرموت ومركز عبدالله فاضل



بلخشر مدير إدارة العلاقات العامة والترجمة بالمركز، وحضر حفل التوقيع مجموعة من أساتذة مركز عبدالله فاضل ورئيس قسم اللغة الإنجليزية بكلية التربية بسيئون.

وقع الاتفاق أ.د. سعود سعيد عمشوش رئيس مركز عبدالله فاضل للدراسات الإنجليزية والترجمة وعن مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر أ.د. خالد يسلم

في رحاب جامعة عدن تم التوقيع على اتفاقية تعاون علمي بين مركز عبدالله فاضل فارع للدراسات الإنجليزية والترجمة ومركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر، اتفق فيها الطرفان على تنسيق وتنظيم الفعاليات العلمية المشتركة بينهما التي تعنى بدراسة المؤلفات الأجنبية ذات العلاقة بشؤون حضرموت واليمن والجزيرة العربية بشكل عام وكذا تشجيع البحث في مجالات الترجمة والدراسات التاريخية.

الدكتور بارباع في زيارة لمركز حضرموت



المختلفة، حضر اللقاء د. أحمد هادي باحارثة.

هذا وقد أطلع د. مرعي على نشاط المركز وطاف بدوائره العلمية

قام د. مرعي مبارك بارباع مساعد نائب رئيس جامعة عدن للشؤون الأكاديمية بزيارة رسمية وشخصية لـ (مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر) وكان في استقباله أ.د. عبدالله سعيد بن جسر الجعدي رئيس المركز، وتأتي هذه الزيارة لتنسيق زيارة رئيس جامعة عدن أ.د. الخضرم ناصر لصور لمركز حضرموت على هامش زيارته المتوقعة لجامعة حضرموت.



8

العدد (9)
يوليو
سبتمبر
2018م

تحضيرات لعقد ندوة حول المظاهر الحضارية العسكرية التقليدية في حضرموت



التقى صباح يوم الثلاثاء الثامن عشر من سبتمبر ٢٠١٨م الأستاذ عبدالوهاب عبدالله بن علي جابر مدير عام مديرية شبام رئيس المجلس المحلي بإدارة مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر بمكتبه كل من الأستاذ الدكتور عبداللّه سعيد الجعدي والأستاذ الدكتور خالد يسلم بلخشر وبحضور أعضاء الهيئة الإدارية بالمجلس المحلي بالمديرية ومدير مكتب الثقافة بالمديرية وعدد من رؤساء المنتديات الثقافية ومنظمات المجتمع المدني بالمديرية.

وتم في هذا اللقاء التشاور وتبادل الآراء بهدف التحضير الأولي للندوة العلمية التي ينظمها مركز حضرموت للدراسات التاريخية في مدينة شبام والموسومة بعنوان (المظاهر الحضارية العسكرية

وومن المقرر أن يلتقي الأساتذة الدكتور الجعدي والدكتور بلخشر بوكيل محافظة حضرموت للوادي والصحراء الأستاذ عصام حبريش الكثيري لأطلاع على مراحل التنسيق والإعداد لهذه الندوة العلمية (المظاهر الحضارية العسكرية والتقليدية في حضرموت) وسبل إنجاحها لما فيه الاهتمام بالجوانب العلمية والثقافية والتراثية بحضرموت.

التقليدية في حضرموت) والمزمع إقامتها في شهر أكتوبر القادم حيث ستقدم في تلك الندوة عدد من المحاور لأساتذة ودكاترة متخصصين من كل من جامعتي عدن وحضرموت.

هذا وقد اتفق الجميع على إنجاح هذه الفعالية العلمية التي سيصاحب انعقادها عدد من المعارض التراثية والثقافية بمدينة شبام حضرموت.

زيارة مستشاري محافظ محافظة حضرموت إلى مركز حضرموت

مستشاري محافظ محافظة حضرموت للشؤون الإعلامية محمد عبدالله الحداد وسعيد مبارك سبتي اطلعوا فيها من قبل رئيس المركز أ.د. عبدالله سعيد الجعدي على آخر مستجدات المركز ونشاطاته البحثية والثقافية وخطته القادمة مشيدين بدوره الثقافي في ظل الظروف والأوضاع الصعبة التي تعيشها محافظة حضرموت، متمنين للمركز مزيداً من اطراد والتقدم والنجاح.



حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر بزيارة خاصة من قبل الأستاذين

في إطار مد جسور التواصل مع مؤسسات المجتمع المدني والحكومي حظي مركز

مدير الهيئة العامة للآثار والمتاحف بمحافظة حضرموت يزور المركز



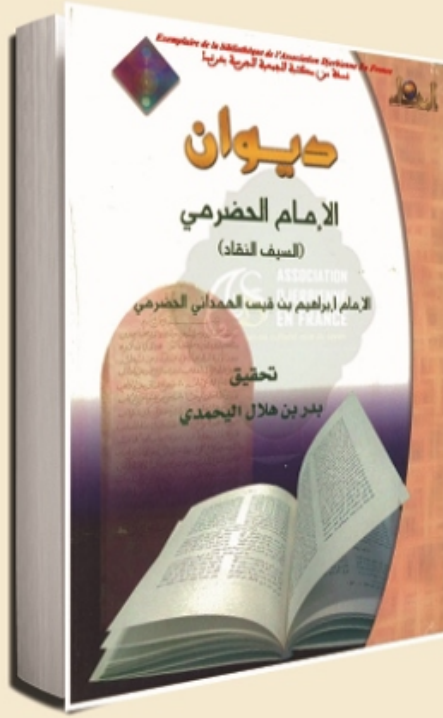
تراثية حية بمختلف نواحيها الحياتية في الإنسان والمكان والمجتمع.

التعاون بينهما خدمة للتراث الحضري الذي تعد من خلاله حضرموت كلها أيقونة

قام الأستاذ رياض باكرموم مدير الهيئة العامة للآثار والمتاحف بمحافظة حضرموت مساء الأحد ١٦/٩/٢٠١٨م بزيارة عمل إلى مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر، التقى خلالها أ.د. عبدالله سعيد الجعدي رئيس المركز وعدد من مديري الدوائر ورؤساء اللجان العاملة للموسوعة الحضرمية، دار الحديث خلالها عن التاريخ والتراث الحضري وكيفية الاهتمام به، وسبل التعاون بين المركز والهيئة العامة للآثار والمتاحف وتنسيق



إمامة الخليل بن شاذان العماني في بعض كتابات الحضارة



جمعت إياضية حضرموت مع إياضية عُمان وشائج مختلفة من العلاقات والصلات الدينية والسياسية منذ قيام الإمامة الإياضية الأولى في حضرموت سنة ١٢٩ هـ تحت قيادة الإمام الحضرمي طالب الحق عبدالله بن يحيى الكندي^(١)؛ إذ حينها قدم الإمام العماني الجلندي بن مسعود إلى حضرموت؛ للمشاركة في الثورة، وإقامة الإمامة، ومعه مدد آخرون نصرًا وتعزيزًا للثورة^(٢).

وإذا كان الجمود والقتور قد أصاب هذه العلاقة بعد سقوط إمامة طالب الحق سنة ١٣٢ هـ ثم سقوط إمامة الجلندي بن مسعود في عُمان سنة ١٤٣ هـ^(٣)؛ فإنه بحلول القرن الخامس الهجري ظهر من بعث الحياة في تلك العلاقة، ونفض عنها غبار السنين، وذلك في عهد الإمام الحضرمي أبي إسحاق إبراهيم بن قيس الهمداني، مصنف ديوان (السيف النقاد)، الذي تزامنت إمامته مع تولي اثنين من الأئمة مقاليد

السلطة في عُمان، هما: راشد بن سعيد اليمحمدي، والخليل بن شاذان الخروصي^(٤). وكان من محاسن تلك العلاقة في جانبها التاريخي والسياسي إعادة النظر في ترتيب سلسلة الأئمة العمانيين بحسب المعطيات الجديدة للمصادر التاريخية العائدة لتلك الحقبة.

عوض باوزير من خلال دراسته المقارنة بين معطيات الكتابات العُمانية وما جاء في ديوان (السيف النقاد) أن يخرج بملاحظة في غاية الأهمية، عالجا بأسلوب المؤرخ الحصيف الباحث عن الحقيقة، فبعد استقرائه لشعر أبي إسحاق، وحوادث ظهور الصليحي^(٥)، ثم استنجد الإمام الحضرمي أبي إسحاق الهمداني بالإمام العماني الخليل ابن شاذان، علّق باوزير على تلك الحوادث قائلاً: «إن ما رجّحه صاحب تحفة الأعيان من وفاة الخليل سنة ٤٢٥ هـ، يتعارض تعارضاً واضحاً مع ما ثبت من أن الصليحي كان يدعو للمستنصر

نلاحظ على تلك السلسلة أنها تبدأ بالإمام الخليل بن شاذان، ثم الإمام راشد بن سعيد، ثم الإمام حفص بن راشد^(٦)؛ بينما الذي ظهر جلياً من كتابات إياضية حضرموت غير ذلك؛ حيث نجدها تقدّم إمامة راشد بن سعيد على إمامة الخليل بن شاذان؛ لذا أعاد المهتمون بالتاريخ العُماني النظر في ترتيب تلك السلسلة، منطلقين مما جاء في ديوان (السيف النقاد)، وتوازهم في ذلك نتف مهمة وجدت في بعض المخطوطات.

كانت البداية الأولى لذلك التصويب قد انطلقت من حضرموت، عندما استطاع المؤرخ الحضرمي سعيد



عبدالكريم معروس ميزان

إن المتتبع للتاريخ العُماني يجد أن هناك حالة من شبه التسليم، تقررها الكتابات التاريخية، حول سلسلة الأئمة الإياضيين في القرن الخامس الهجري^(٧)، وهي الحقبة التي عرفت اصطلاحاً بالإمامة الثالثة^(٨)؛ حيث



مسجد الإمام الخليل بن شاذان

بوضوح ما ذهب إليه البطّاشي^(١٧)، ليس ما ذكره باوزير حول استنجد أبي إسحق بالخليل هو المؤشر الوحيد، الذي دفع إلى إعادة ترتيب سلسلة الأئمة في عُمان، بل إن في الديوان ما يؤكد ذلك، مثل قول الشاعر:

سَلُوا رَاشِدًا ثُمَّ الْخَلِيلَ خَلِيلَهُ
أَبَا السَّيْفِ عَزُّو أُمَّ بَلْشَمِ الْعَوَاتِقِ^(١٨)
وقوله في القصيدة اللامية:

وَارْمُوا بِنَا نَحْوَ الْخَلِيلِ الْمُرْتَضَى
الْمُفْرَعِ الْمَأْوَى لِكُلِّ دَخِيلِ
ذَلِكَ الَّذِي جَلَى عُمَانًا بَعْدَمَا
وَارَاهُمْ غَيْمُ الطُّغْيَانِ بِذِيُولِ
ذَلِكَ الَّذِي يَخْطُو خُطَا مَنْ سَارَفِي
وَادِي الْقُرَى أَوْ أَسْكَ وَنُخَيْلِ
ذَلِكَ الَّذِي أَبْدَى لَنَا مَا قَدْ مَضَى

من راشد والصلّت وابن رحيل^(١٩) ومن الأبيات السابقة يظهر جلياً تقدم إمامة راشد على إمامة الخليل، خاصة قول الشاعر: (سلوا راشداً ثم الخليل...)، وقوله مادحاً الخليل:

(ذاك الذي أبدى لنا ما قد مضى * من راشد والصلّت وابن رحيل).

على أن الشيء المهم الذي يعضد كل ما سبق هو ما جاء في المصادر الحضرية الإباضية التي رأت النور حديثاً، فهي تذهب بتصويب البطّاشي إلى حد القطع والجزم واليقين، وتزيل

سنة ٤٠٧ هـ، ووفاته سنة ٤٢٥ هـ، لا مستند له إلا الظن والتحري؛ لعدم وجود تاريخ منضبط. والصحيح أن بيعته سنة ٤٤٧ هـ، فسقطت لفظة الأربعيين من أكثر الروايات، ورجعوا بالتاريخ إلى الوراء^(٢٠).

ومن خلال هذه المعطيات الجديدة تبين أن الإمام حفص بن راشد هو من أئمة القرن الرابع، وبعده تولى راشد بن سعيد الذي توفي سنة ٤٤٥ هـ، ثم خلفه الخليل بن شاذان، وظل الخليل في الإمامة حتى سنة ٤٧٤ هـ تقريباً، وتوفي في نزوى وبها قبر، ثم عقد العثمانيون البيعة للإمام راشد بن علي الخروصي سنة ٤٧٤ هـ^(٢١)، وهذا الترتيب يجعل من الإمام الخليل معاصراً لملك اليمين أبي الحسن الصليحي، المقتول سنة ٤٥٩ هـ في أرجح الأقوال^(٢٢)، وهو تصويب لقي استحساناً وقبولاً من سماحة مفتي عُمان^(٢٣).

ولم يقف البحث والتصويب على ما قدمه البطّاشي فحسب، فالمعطيات الأثرية المكتشفة حديثاً تؤشك أن تقدم لنا دليلاً مادياً على ما ذهب إليه هذا المؤرخ؛ حيث عُثر على عملة معدنية قديمة، صكها الخليل بن شاذان، ومن المحتمل أن تاريخها يعود إلى سنة ٤٤٧ هـ، فإذا ثبت ذلك فإنه يشكّل مصدراً مهماً، يعضد

الفاطمي، الذي تولى الحكم في مصر سنة ٤٢٧ هـ، وأن الصليحي أعلن ثورته في اليمن سنة ٤٢٩ هـ^(٢٤)، وأنه كتب للمستنصر يستأذنه في إظهار الدعوة له سنة ٤٥٣ هـ، في حين كان أبو إسحق يستنجد بالخليل بن شاذان على الصليحي هذا، فيجب أن يكون الخليل على قيد الحياة إلى ما بعد سنة ٤٥٣ هـ؛ ليصح استنجد الهمداني به على الصليحي^(٢٥)، ثم يستطرد باوزير قائلاً: «لقد كان ترجيح صاحب تحفة الأعيان إذاً لتحديد وفاة الخليل يحتاج إلى إعادة نظر»^(٢٦).

ومن هذا التنويه المهم أخذ المؤرخون العثمانيون يعيدون النظر في ترتيب سلسلة الأئمة لتصويب الخطأ إن تحقق، فلم يعد من المقبول عندهم أن يكون الخليل ابن شاذان هو الأول، وراشد بن سعيد هو الثاني، وبعده حفص بن راشد. فكان المؤرخ سيف البطّاشي أول من توصل إلى ذلك، منطلقاً مما قدمته كتابات الحضارمة قديماً وحديثاً، ومعتمداً على بعض المخطوطات العثمانية، التي بينت حقيقة ذلك الخطأ، وأظهرت ضرورة إعادة النظر في تسلسل الأئمة، وتصحيح ما أشكل حول مدد حكمهم؛ حيث قال: «وهذا خطأ ظاهر؛ حيث قدموا المتأخر زمنًا على سلفه»^(٢٧)، ثم يضيف قائلاً: «فتعيين بيعة الخليل



١٢) البطاشي، سيف بن حمود: إتحاف الأعيان، مكتبة المستشار الخاص، مسقط، ٢٠١٦م، ج ١، ص ٥٥١.
١٣) نفسه، ج ١، ص ٥٥٦.
١٤) الحضرمي: السيف النقاد، ص ٣٢، تعليقات المحقق: البطاشي: إتحاف الأعيان، ج ١، ص ٥٥٨، ٥٥٩.
١٥) الحمادي، محمد بن مالك: كشف أسرار الباطنية، مركز الدراسات والبحوث اليمنية، صنعاء، ١٩٩٤م، ص ١٢٢: عمارة: المفيد، ص ٨٧، ٨٨، ٩٢: ابن سمرة، عمر بن علي: طبقات فقهاء اليمن، دار القلم، بيروت، ص ٨٨: الجندي، محمد بن يوسف، السلوك في طبقات العلماء والملوك، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ١٩٩٣م، ج ٢، ص ٤٨٥، ٤٨٧.
١٦) البطاشي: إتحاف الأعيان، ج ١، ص ٥٥٩.
١٧) الهاشمي: دراسات، ص ١٥٠.
١٨) السيف النقاد، ص ٣١٩.
١٩) نفسه: ص ٣٨٤، ٣٨٣.
٢٠) من هؤلاء المترجمين الدكتور سعيد الهاشمي، الذي ظل يعتمد الترتيب القديم للأئمة في كتابه دراسات في التاريخ العُماني، ص ١٢٢، ١٥١، ١٥٤. وهو يقول إن الذي تولى الإمامة بعد راشد بن سعيد ابنه حفص وليس الخليل بن شاذان، وفي ذلك يقدم بعض الحجج والأدلة.
٢١) إبراهيم بن عبد الله الحضرمي: الدلائل والحجج، وزارة التراث، مسقط، ٢٠١٢م، ص ٢١٧. صحار قصبة عُمان تقع على بحر العرب تتميز بهوائها الطيب ونخيلها. الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م، ج ٣، ص ٣٩٣: ابن المجاور، يوسف بن يعقوب: تاريخ المستبصر، مكتبة الثقافة، القاهرة، ١٩٩٦م، ص ١٣١. أما الرستاق فهي الأخرى بلدة عُمانية، وأصل الاسم فارسي ويعني القرية أو السواد، تقع شمال عُمان، تبعد عن مسقط حوالي ١٦٠ كم، تشتهر بغابات النخيل. لوريمر: دليل الخليج العربي، القسم الجغرافي، ج ٦، ص ٢٠١.
٢٢) الدلائل والحجج: ص ٢٩٨.
٢٣) الحامد، صالح بن علي: تاريخ حضرموت، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ٢٠٠٣م، ج ١، ص ٢٧٢، ٢٦٧.
٢٤) تحفة الأعيان، ج ١، ص ٣٠٦.
٢٥) من هذه الكتابات: كشف الغمة للأزكوي، الشعاع لابن رزيق، قصص وأخبار لمؤلف مجهول.

علي بن محمد: الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م، ج ٥، ص ٩٢: السالمي: تحفة الأعيان، ج ١، ص ٩٥.
٤) عن هذه العلاقة وتفصيلها راجع، الحضرمي: الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن قيس: ديوان السيف النقاد، تحقيق بدر اليحمدي، شركة المعالم، ٢٠٠٢م؛ السالمي: تحفة الأعيان: عبد الكريم ميزان: إباضية حضرموت من القرن ٢هـ إلى القرن ٧هـ. (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة حضرموت، ٢٠١٥م.
٥) الأزكوي، سرحان بن سعيد: كشف الغمة، وزارة الثقافة مسقط، ٢٠١٢م، ج ٦، ص ١٥؛ السالمي: تحفة الأعيان، ج ١، ص ٢٩٦.
٦) الأزكوي: كشف الغمة، ج ٦، ص ١٥. وهناك من يسميها الإمامة الرابعة، انظر الهاشمي، سعيد بن محمد: دراسات في تاريخ عُمان، دار الفرق، ٢٠١٣م، ص ١٥١: المنتدى الأدبي: نزوى عبر التاريخ، مسقط، ٢٠٠٧م، ص ١٣٤، ١٣٥.
٧) الأزكوي: كشف الغمة: ابن رزيق، حميد بن محمد: الشعاع الشائع، وزارة التراث، مسقط، ١٩٨٤م، ص ٦٧: مؤلف مجهول: قصص وأخبار جرت في عُمان، وزارة التراث، مسقط، ٢٠٠٢م، ص ٧٣: السالمي: تحفة الأعيان، ج ١، ص ٢٦٩: الهاشمي: دراسات، ص ١٥١: المنتدى الأدبي، نزوى عبر التاريخ، ص ١٣٥.
٨) هو علي بن محمد الصليحي، مؤسس الدولة الصليحية في اليمن قتل سنة ٤٥٩هـ. شمل حكم دولته مناطق واسعة من اليمن ووصل نفوذها إلى مكة، انتهت هذه الدولة سنة ٥٣٢هـ مذهبها شيعي إسماعيلي. عمارة بن علي اليمني: المفيد في أخبار صنعاء، وزيد، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ٢٠١٠م، ص ٨٧: السروري: محمد عبده، الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن في عهد الدويلات المستقلة، مطابع الأهرام، ط الأولى، ١٩٩٧م، القاهرة، ص ٣ وما بعدها.
٩) هكذا ورد عند باوزير في المعالم قيام الصليحي سنة ٤٢٩هـ نقلًا عن عمارة اليمني، والصحيح سنة ٤٣٩هـ. وصح ذلك المؤرخ الأكوع محقق مفيد عمارة. راجع عمارة اليمني: المفيد، ص ٩٢. أما صاحب تحفة الأعيان فالمقصود به المؤرخ العُماني عبد الله بن حميد السالمي.
١٠) معالم الجزيرة العربية، ص ٢٥٣.
١١) نفسه: ص ٢٥٣: صفحات، ص ٦٦.

الريب عند كل متردد لهذا التصويب (٢٠)، فقد أكد الشيخ إبراهيم الحضرمي الإباضي (ت بعد ٤٧٥هـ)، في أكثر من موضع من كتابه (الدلائل والحجج) على الصحبة مع الخليل بن شاذان، مثل سفرهما مع مجموعة من العسكر من الرستاق إلى منطقة قريبة من صحار (٢١)، وفي موضع آخر وثَّقَ الشيخ الحضرمي تلك الصحبة زمانياً ومكانياً؛ إذ كانا معاً في عُمان، في شهر رمضان من سنة ٤٥٢هـ ينتظران غروب الشمس ليفطرا (٢٢)، فيكفي بهذا دليلاً قاطعاً على بقاء الإمام الخليل حياً إلى شهر رمضان من سنة ٤٥٢هـ في أقل تقدير، وليس سنة ٤٢٥هـ كما رجَّح ذلك السالمي، واتخذ البعض مدخلاً وحجة للطعن والتشكيك في وجود شخصية أبي إسحق وديوانه (٢٣)، بالرغم من أن الأمر كان مجرد تحر و ترجيح من السالمي، ولم يجزم في القول ويقطع، فهو يقول: «وإذا صح ما تحريته في وفاة الخليل.....» (٢٤)، ويظهر أن السالمي كان ينقل من كتابات سابقة له، هي الأخرى لم ينتبهه مصنفوها لهذا الإشكال واللبس (٢٥).

المصادر والمراجع:

١) هو عبد الله بن يحيى بن عمرو بن شرحبيل بن عمرو بن الأسود الكندي، كان صاحب علم وفقه ولسان فصيح، وتولى القضاء في حضرموت في عهد واليها الأموي إبراهيم بن جبلة، ثم أصبح أول إمام للإباضية، اتخذ من صنعاء حاضرة لإمامته، قتل في منطقة قريبة من صنعاء في أحد المعارك مع الجيش الأموي الذي قاده عبد الملك بن عطية السعدي سنة ١٣٢هـ.
٢) السالمي، عبد الله بن حميد: تحفة الأعيان، مكتبة الاستقامة ١٩٩٧م، ج ١، ص ٨٥: الراشدي، مبارك بن عبد الله: الإمام أبو عبيدة وفقهه، مطابع الوفاء، ١٩٩٣م، ص ٢٧٧.
٣) الطبري، محمد بن جرير: تاريخ الطبري، طبعة دار المعارف، ج ٧، ص ٤٦٤: ابن الأثير،

سلامة عبدالقادر بامطرف

رائدة التنوير والكتابة النسائية في الصحافة الحضرية

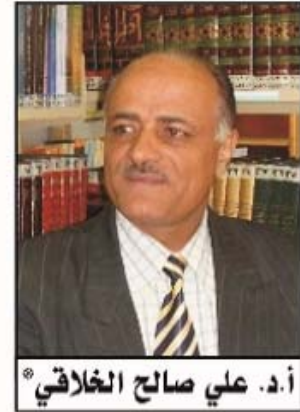
تمثل الصحافة مصدراً مهماً من مصادر التاريخ الوطني، التي لا يمكن الاستغناء عنها، أو تجاهلها؛ لدراسة التطور الاجتماعي، والسياسي، والثقافي للمجتمع في المرحلة الزمنية التي صدرت فيها، على اعتبار أن وظيفتها هي التوثيق للأحداث والوقائع، وتسجيلها، والاحتفاظ بها للأجيال المقبلة. وخلال مشاركتي في ندوتين علميتين نظمهما (مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر)، الأولى في مارس ٢٠١٧م، عن صحيفة (الرائد) الحضرية، التي أصدرها الأديب الشاعر حسين محمد البار خلال المدة من ١٩٦٠ - ١٩٦٤م، والثانية في ٢٩ أبريل ٢٠١٨م عن صحيفة (الرأي العام) الحضرية، لصاحبها ورئيس تحريرها الأستاذ علي عبدالرحمن بافقيه، خلال المدة ١٩٦٣ - ١٩٦٧م، قُبِضَ لي تصفّح كافة أعداد صحيفتي (الرائد) و(الرأي العام) الحضريتين، التي تم تصويرها في ملفات طبق الأصل بفضل تقنية وسائط الاتصال، ولم تُنَح لي الفرصة المشاركة في الندوة التي عقدت قبل ذلك (أبريل ٢٠١٦م) والمخصصة لصحيفة (الطليلة)، التي أصدرها الأستاذ أحمد عوض باوزير، خلال المدة ١٩٥٩ - ١٩٦٧م. وكما يلاحظ فإن ستينيات القرن الماضي هي مرحلة العصر الذهبي للصحافة الحضرية التي صودرت - للأسف - بعد الاستقلال الوطني.

ولعل أبرز الأعلام النسائية التي لفتت انتباهي وأنا أتصفح أعداد صحيفتي (الرائد)، ثم (الرأي العام)، اسم مستعار تقنعت به كاتبة حضرمية، مبدعة وجريئة، سبقت عصرها، تخفت تحت اسم (س. ع. ب.)، وكان لها حضورها القوي والمتألق في تلك الصحف الحضرية. وأعترف أنني وقفت منبهراً أمام ثراء قلمها السيل، وأفكارها الجريئة، التي تصدرت من خلالها للدفاع عن المرأة الحضرية، وحقا في التعليم، وفي تثقيف نفسها وتنظيمها... إلخ.

وانصب اهتمامها بكل ما يتصل بالنساء، وقضايا المرأة وهمومها، وتشجيع الفتيات على التعليم، والحقا بركب الرجل.

أول مقالة لها لفتت انتباهي كانت في صحيفة (الرائد)، الصادرة في عدد ٣ أبريل ١٩٦١م، بعنوان (غريب أمرك أيها الكاتب الذي لا يعرف حضرموت)، ترد فيه على كاتب ادعى أنه خبير حضرمي، ونشر مقالاً في صحيفة (القلم العدني - العدد ٣٨٠)، يسيء إلى المرأة الحضرية، ويتهمها بالجهل، وادعى أن الحضارم يعدونها أفعى، وأنه ليس في حضرموت امرأة مشهورة، وأن المرأة في حضرموت تعد من سقط المتاع، أو من رقيق الأرض، وليست شريكة حياة، ولا أما تنتج الرجال... فانبهرت تدافع عن المرأة

الابتدائية للبنات، التي كانت تديرها المريية الرائدة المرحومة فاطمة عبداللّه الناجي، وبعد أن أنهت دراستها بتفوق عملت مدرسة في المدرسة نفسها التي تخرجت فيها، حتى زواجها من المرحوم أحمد سعيد حداد، متعهد الصحف والكتب، والوكيل لمؤسسات نشر مصرية ولبنانية في حضرموت، وهو من ساعدها في الاطلاع على الكتب والصحف والمجلات لإثراء معارفها، وتعميق ثقافتها، إلى جانب تأثير شقيقها الكاتب والمؤرخ محمد عبدالقادر بامطرف، وتشجيعه لها؛ للنهل من ينابيع المعرفة والثقافة، فاكتملت ذخيرة معرفية وثقافية عالية، مقارنة ببنات جيلها، مكنتها من خوض غمار الكتابة بجدارة واقتدار،



عرفت اسمها الحقيقي، سلامة عبدالقادر بامطرف، من مقالة كتبها الزميل الدكتور مسعود عمشوش، سلط فيها الضوء على سيرتها منذ ولادتها في مدينة الشحرر سنة ١٩٣٣م، ثم انتقالها مع أسرته إلى المكلا بعد انتقال عمل أخيها الكاتب والمؤرخ محمد عبدالقادر بامطرف إلى المكلا، وهناك التحقت بالمدرسة



13

العدد (9)
يوليو
سبتمبر
2018م



المسئول الأول عما آل إليه حالها، وكتبت تقول: «إن هناك ما هو أدهى من النوافذ المغلقة، إنها العقول المغلفة بضباب كثيف من الجهل يحول دون رؤيتها لحقائق الأمور في عصرنا الحديث، إنها عقول نساننا الضحايا. ونحن إذ نتساءل عما يكون المسئول الأول عما صار إليه حال المرأة الحضرية.. تدهور لا نجد من هو أحق بأن نشير بسبابتنا إليه من الرجل (ومعذرة لصراحتي)، الرجل الذي استمر أخوع وخضوع المرأة له أجيالاً طويلة المدى، ثم هب فجأة يطالب بحريته الكاملة، وكان الأولى به أن يقرن بكفاحه تدعيم قضية المرأة، ويعتبرها جزءاً لا يتجزأ من قضية هذا الوطن المنكود، كان الأجدر به أن يفك عنا قيود العبودية، عبودية الجهل التي نرسف في أغلالها، ويرد إلينا اعتبارنا وكرامتنا التي طالما أمتهنت على يديه، بقصد وبدون قصد، ناسياً أو متناسياً أن كرامة المرأة من كرامة الرجل، وكذلك العكس».. ثم طالبت حملة الأقلام بأن يشحذوا أعلامهم للمطالبة بحق المرأة في الكرامة العائلية أولاً، وعدم اعتبارها مجرد آلة للكنس والطبخ أو بهيمة مهمتها تتوقف عند حد الإنجاب، وقالت: «يجب أن تمردوا إلينا سواعدكم لتساعدونا على النهوض من كبوتنا أولاً، وبعد

ممكن من مكامن الداء الذي يشقىنا، وبيعثر مجهودات عرقنا الكادحة، وفي نفس الوقت يصف الداء لبنات جنسها الدواء الناجع، الذي يستهدف سعادة المجتمع وطمأنينة الأسرة.. إننا نرحب من الأعماق بهذا اليراع النسائي البارع، الذي لا نغالي إذا اعتبرناه خير قلم تحمله حضرمية عبر أجيال التاريخ الطويل لهذه البلاد» (٢١).

لا شك أن رئيس التحرير قد أنصفها بهذا الوصف، الذي نجد مصداقاً له في جميع كتاباتها البارة حقاً، والمكرسة لشئون المرأة وشجونها، ومنها موضوعها (تغلبني على عقدة الذهب) في ذلك العدد نفسه، ومن عنوانه يتضح أنه يتعرض لقضية تعاني منها المرأة عند زفافها، تتعلق باقتناء الذهب والمجوهرات.

أما أكثر كتاباتها التي اطلعت عليها فكانت في صحيفة (الرأي العام)، حيث كانت تحرر - غالباً - ركن المرأة (وراء النوافذ المغلقة)، المكرس لقضايا المرأة الحضرية، وهمومها، وشجونها، وقد أبدت إعجابها بهذا الركن منذ بدايته، ثم غدت أبرز كاتبة فيه، بل ومحررته الرئيسة، تكتب فيه مقالاتها، وخواتمها، وقصصها القصيرة، ومنذ أول مشاركة لها فيه حددت جوهر مشكلة المرأة الحضرية في معاناتها من الرجل؛ بوصفه

الحضرية، وترد عليه بقوة الحجة، تقول: «قبل أن ندخل في صميم الموضوع - من أمك أيها الخبير، هل كانت حضرمية ربتك حتى صرت خبيراً، أم أنت ابن أفعى أسقتك سمًا فنفتته على صفحات مجلة (القلم العدني)؟!.. ألم تعلم أيها الخبير المزعوم عن شهيرات حضرموت شيئاً؟! إذا فانت لست بحضرمي ما دمت لا تعرف أن بحضرموت شهيرات؟ وماذا تعرف عن السيدة رابعة العدوية بمصر أنه تلد حضرموت مثلها، سلكت طريقها، وبلغت شهرتها في التصوف وبعد الصيت؟ هل تعرف الشبيخة سلطنة الزبيدية، التي يعرفها الصغير والكبير بحضرموت؟ فكيف وأنت الخبير الحضرمي كما تدعي لا تفهم عنها شيئاً وغيرها من العابدات الصالحات ممن تربعن كراسي العلم الديني والتصوف؟.. في كل قبيلة حضرمية امرأة مشهورة بنبوغها ونشاطها العلمي والاجتماعي، فنش أيها الخبير الحضرمي كتب تاريخ حضرموت والمحلية يرد عليك عقلك.. وهل تنكر علينا نحن بنات حضرموت أيها الخبير الفذ تربيتنا لفحول الرجال، الذين جابوا مشارق الأرض، وأسسوا المشاريع الكبيرة، واقتنوا الثروات العظيمة حتى أشير إليهم بالبنان، فهل هؤلاء الرجال ولدتهم صخور حضرموت الصماء، أم تربوا في أحضان أمهات كرام؟» (٢٢).

ولقد أحسن رئيس تحرير صحيفة (الرائد) الأستاذ حسين محمد البار في وصفه لها، حينما قدمها في الركن الخاص (حديث حواء)، الذي تحرره وتشرف عليه، بقوله: «هذا حديث حواء - تقدمه إلى مجتمعنا النسائي السيدة الفاضلة س.ع.ب. في أمتع صورة وأحفلها بالحكمة. وهي حين تقدم هذا الحديث فإنها تضع أصبعها على



ذلك نحن كفيلات بالباقي، واعتقد أن الوقت قد حان لكي يبرهن جنس الرجال على حسن نيته إزاء نصفه الآخر» (٢١). وفي ذات الاتجاه، طالبت تحت عنوان (الكاتبات مرة أخرى) (٢٢) بنات جنسها من النساء لاقتحام مجال الكتابة في الصحافة المحلية، والخروج عن صمتهم وتقاعسهم، وكسر حاجز الخوف من ردود الأفعال، بالتزود بالثقة، والاعتداد بالنفس، تقول: «إنني أتساءل عن السبب الذي من أجله تتقاعس سيداتنا عن الكتابة في الصحف المحلية، ولماذا يفضلن

المرأة الحضرية عدوة لنفسها. ألا ليت سيداتنا يفقهن حقيقة الدور الذي ينبغي على المرأة أن تعد نفسها له، ليتهن يفقهن أن الواجب يقتضينا أن نهب لنصرة الحق يداً واحدة، ليتهن يفقهن ويؤمن أن استخلاص حقوقنا المهضومة إنما يتوقف على توحيد كلمتنا وتكتل صفوفنا».

وواصلت نهجها في الذود عن حقوق المرأة الحضرية في التعليم والتنظيم وفي الحياة الكريمة، كما نستشف ذلك من عناوين كثير من مقالاتها، التي زينت بها ركن المرأة (وراء النوافذ

أكثر كتابات سلامة بامطرف التي اطلعت عليها كانت في صحيفة (الرأي العام)، حيث كانت تحرر -غالباً- ركن المرأة أو وراء النوافذ المغلقة، المكرس لقضايا المرأة الحضرية

لأفكارهن أن تتوارى هكذا خلف تجاويف عقولهن. أهو الخوف من السنة الناس؟ إنني أعرف أن لسان المجتمع لا يرحم، وبخاصة مجتمعنا النسائي، الذي تمثله الأغلبية الساحقة من المواطنات اللاتي شاءت لهن الظروف القاسية أن يبقين على ما هن عليه من الجهل المطبق على عقولهن إلى الحد الذي لا يفرقن معه بين الصالح والطالح. بل إنني لا أتجاوز الحقيقة إذا قلت إنهن قد يتعادين في الإساءة إلى كل من تحاول أن تطالب بفك قيود العبودية عن أعناقهن، لكن الخوف في رأبي هو مصدر من مصادر عدم الثقة بالنفس، لذا يتحتم علينا ونحن نخوض هذه التجربة أن نتزود بالثقة والاعتداد بالنفس. كما ينبغي أن ننظر إلى الأمور دائماً من خلال زاوية أكثر واقعية، فنحاول أن نضع أعصابنا في ثلاجة، وذلك تقديرًا للظروف القاسية التي جعلت من

المغلقة)، مثل: من المسئول عن فشل نادي المرأة (٢٣)، الفتاة الحضرية صفر على اليمين (٢٤)، إلى ابنة الساحل (٢٥)، أفكار جداتنا لم تعد مناسبة لنا (٢٦)، المرأة ليست ناقصة عقل ودين (٢٧)، عدم استقرار المرأة العائلي سبب المحنة الأخلاقية (٢٨)، دعوا الفتاة تتعلم في الخارج (٢٩)، جنبني طفلك الخوف (٣٠)، أول مظاهرة تقوم بها الفتاة الحضرية (٣١)، ونحن بحاجة إلى تنظيم النسل (٣٢).

كما أظهرت سلامة بامطرف موهبتها الأدبية وخيالها الإبداعي الخصب في الكتابة القصصية فأثبتت أنها رائدة أيضاً في كتابة القصة القصيرة على مستوى المرأة في حضرموت؛ حيث نشرت في (الرأي العام) ثلاث قصص قصيرة، عبّرت فيها عما يدور بداخلها من أفكار ومشاعر، على لسان شخصيات ابتدعتها من وحي خيالها الأدبي، تحاكي من خلالها

واقع المرأة الحضرية، وهذه القصص، هي: شبع وبطرة (٣٣)، وتجدد الحب (٣٤)، والمفاجأة (٣٥). يصف د. مسعود عمشوش (أستاذ الأدب والنقد في جامعة عدن) تلك القصص بأنها: «تتميز بأسلوب لا نجده في القصص القصيرة الأخرى التي نشرت في ستينيات القرن الماضي، ففيها وظفت المؤلفة الأصوات... فالراوي في قصة (شبع وبطرة) مثلاً، يمارس القصص باللغة الفصحى، لكنه يتيح لأصوات الشخصيات أن تبرز في ثنايا صوته. لهذا نعثر في تلك القصة القصيرة الشيقة على عدد من أجمل مفردات اللهجة المكلاوية، ليس في الحوار فقط، لكن داخل السرد أيضاً».

ولأن سلامة بامطرف قد حصلت على قسط من التعليم مكّنها من تثقف نفسها، والنهل من ينابيع المعرفة والثقافة، فقد أدركت أهمية التعليم وقيمتها بالنسبة للمرأة الحضرية في حاضرها وفي مستقبلها، وفي الارتقاء بحياتها الخاصة، بل وفي حياة المجتمع عامة، وفتحت بكتاباتها الجريئة النار على النظرة الدونية تجاه المرأة وحرمانها من التعليم، وانتقدت الطريقة التي كان الرجل يتعامل بها مع المرأة، ولم تسلم من سهام نقدها العوائق الاجتماعية، والقيود المتدثرة تحت عباءة العادات والتقاليد، ذلك أنه حتى الستينيات كان تعليم البنات أو ذهابهن للمدرسة يعد خروجاً على تقاليد المجتمع في ثقافة الكثيرين، ولم يكن يتعلم منهن إلا القلة القليلة. ولهذا كانت الدعوة والحث على تعليم الفتاة ضمن اهتماماتها الرئيسية في معظم كتاباتها، التي نشرتها في باب (حوار حواء) و(وراء النوافذ المغلقة) تحت اسمها المستعار (س.ع.ب.). وحذرت من عواقب حرمان المرأة من التعليم، وتأثير ذلك سلباً



تقول سلامة بامطرف

«إن ما هو أدهى من النوافذ المغلقة، العقول المغلفة

بضباب كثيف من الجهل يحول دون رؤية المرأة

لحقائق الأمور في عصرنا الحديث»

وإلى جانب تعليم الفتاة في الداخل أثارت الكاتبة مسألة إبتعاث الفتاة للتعليم في الخارج، والذي كان حتى ذلك الحين حكراً على الأولاد، وتصدرت لهذه القضية بكل جرأة في مقالة طويلة بعنوان (دعوا الفتاة تتعلم في الخارج) (١)، تحدثت فيه عن أهمية التعليم في وقتنا الحاضر، والذي أصبح من ضروريات الحياة، بل إنه صمام أمان لحياة الإنسان، وسلاح في يده يقويه تقلبات الأيام وغدر الزمان من غير أن يضطر إلى إذلال نفسه، وإراقة ماء وجهه، فالعلم هو حفظ كرامة الإنسان -رجلاً كان أم امرأة- مصانة لا تهان.

ولاحظت أن الناس تنبهاً أخيراً إلى هذه الحقيقة فتسابقوا إلى تسجيل أبنائهم بالمدارس، واهتموا بإرسال أبنائهم في بعثات إلى الخارج؛ لينالوا حظاً أوفر من العلم، لكن الأمر اقتصر على الأبناء دون البنات، وهذا مما يدعو إلى الأسف، ويعطينا أصدق صورة على أن الرجل لم يتسن له الخلاص ولو من بعض رواسب الماضي الكريهة؛ حيث ينظر إلى المرأة على أساس أنها تابع للرجل، ومكانتها دائماً لا تزيد عن مكانة الخادم من المخدم.

ووجهت سهام نقدها إلى أولئك الذين شاء لهم الحظ أن يتنوروا ويتثقفوا فيما ظلت عقلياتهم متحجرة لا تبشر بأمل، وغلب عليهم الوسط الذي نشأوا فيه، الوسط الذي لا يفرق بين المرأة وبين قطعة أثاث أو بقرة تدور في الساقية التي يسمونها تجاوزاً

وحتى لو فكر الشاب في الزواج فإن تفكيره سيتجه حتماً إلى البحث عن زوجة مثقفة واعية ولو اضطر للبحث عنها خارج حدود وطنه، ومن ثم سيزترتب على ذلك الإجراء تفاقم عدد أرقام العوانس وارتقاء البعض الآخر تحت أقدام أول طالب زواج يطرق عليهم الباب ويجب أن نضع في اعتبارنا أنه لن يتقدم للفتاة الجاهلة في المستقبل سوى الشيوخ من ذوي العقليات المتخلفة الذين يرضي غرورهم أن يضموا إلى مجموعة أثاث منازلهم زوجة صغيرة متفتحة ونتائج هذا الزواج غير المتكافئ من ناحية السن معروفة... وبالطبع لن تقتصر المشكلة على تلك النواحي فحسب وإنما ستتعداها إلى شل حركة الفتاة التطورية وتسبيء إلى معنى التحرر والحرية في مفهوم الفتاة الجاهلة وبالتالي لن تمكنها من أن تنهج النهج الصحيح سواء في محيط الأسرة أو في المجالات الوطنية الأخرى وستظل حملاً ثقيلاً ينوء به كاهل الرجل في وقت غشت فيه أختها العربية ميادين الأعمال المتعددة وأصبحت عاملاً فعالاً يعود بالخير العميم على الأسرة والوطن... وتختتم بالقول: «تري هل وضع الرجال كل هذه الاعتبارات في أذهانهم وهم يقومون بالحملة تلو الحملة لصالح الفتى وحده ونحن معشر النساء لا اعتراض لنا على ذلك، ولكن أليس من حقنا أن نتساءل ونقول إلى متى سنظل أصفاراً على يمين الأرقام» (١٩).

على مصير شعب اختص ذكوره بالعلم وإنائه بالجهالة المطبقة. وتحت عنوان (الفتاة الحضرية صفر على اليمين) (٢٠)، تطرقت إلى مشكلة الفتاة الحضرية المغمورة والمحرومة من التعليم أسوة بالفتى، وكتبت تقول: «إننا نؤيد بشدة كل الحملات التي جند لها الكتاب أقلامهم من أجل تبصير أبناء هذا الشعب ومسئوليته بالعواقب الوخيمة التي تعود على الأمة من جراء حرمان المئات من الأطفال الأبرياء من حقهم الطبيعي في التعليم ما لم يتكاتف أولئك جميعاً ويبدلوا الجهود المخلصة لإيجاد وتنفيذ الحلول العملية التي تمكنهم من التغلب على هذه المشكلة العويصة». ووجهت اللوم إلى حاملي الأقلام الغيورين على مصالح الأمة، وتساءلت: «ما نصيب الفتاة من كل هذه الحملات الموجهة لصالح الفتى وحده؟ وهل كتب عليها أن تظل العضو المشلول في كيان أمتها؟!.. وهل كتب على المرأة الحضرية أن تشاهد ركب الحاضرات العالمية يمر من أمامها وهي قعيدة عاجزة عن اللحاق به؟!..» وتقول: «إننا لم نسمع بمن يطالب بفتح المزيد من المدارس المتوسطة للفتاة، اللهم تلك المناقشة على صفحات (الرأي العام) حول تعميم اختلاط البنت الصغيرة والولد الصغير في مرحلة التعليم الأولية، وربما كان ذلك حللاً لمشكلة التعليم الابتدائي فقط، وبعدها تتخلف الفتاة عن اللحاق بزميلها لتحجز في البيت بينما يواصل الفتى دراسته... ولم نسمع حتى الآن بمن يطالب جدياً بتوفير التعليم على مختلف مراحلها للفتاة أسوة بالفتى...» وتتساءل: «فماذا بالله سينتهي مصير شعب اختص ذكوره بالعلم وإنائه بالجهالة المطبقة؟.. سوف يترتب على ذلك نفور فتى المستقبل من الزواج...»



(البيت) فجبنا حتى من مجرد تشجيع المرأة على المطالبة بحقوقها العادلة.. ولو أرادوا لجعلوا من الفتاة الحضرية شيئاً آخر عن هذه الفتاة التي تعزل حتى من بنات جنسها. وكتبنت تقول: «ولكن أنى لهذه العقليات أن ترضى للمرأة بغير حياة الذل والهوان معتقدين أنهم على صواب، وإلا فما الذي يمنعهم أو يحول دون بعث بناتهم إلى الخارج ليتلقين العلم إذا لم يتوافر لهن ذلك في بلدهن، ماذا يمنعهم وأغلبهم عامرة جيوبهم بالمال وبيوتهم تناطح

حيث قامت إدارة المعارف بالمكلا بابتعاث ست طالبات إلى عدن للدراسة والتدريب، وهذه خطوة جبارة في سبيل رفع مستوى تعليم البنات في حضرموت (٢٢). وتلى ذلك سفر «أول بعثة من الطالبات الحضريات إلى العراق»؛ للالتحاق بالمدارس المتوسطة في بغداد (٢٣). ثم مغادرة خمس طالبات حضريات إلى السودان وتوزيعهن على المدارس هناك (٢٤). كما رحبت الكاتبة بمشاركة الفتاة في الإضرابات والمظاهرات الطلابية، التي عمّت حضرموت مطلع عام ١٩٦٤م

وكانت مظهرة اليوم المؤلفة من بضع فتيات من طالبات المدرسة المتوسطة بالمكلا أول خطوة مباركة، تخطوها الفتاة الحضرية نحو هذا السبيل.. ولقد شاهدت موكب المظاهرات والمتظاهرين يمر أمامي ذهاباً وإياباً، فلم أستطع وقتها أن أحبس دموعي، وبعد أن تفرقت المظاهرة هربت إلى قلبي لأعبر عن شعوري إزاء ذلك الحدث -التاريخي-، فخانني التعبير ولم أجد ما أقوله سوى هذه الكلمة الصغيرة..

هذا غيض من فيض كتابات سلامة عبدالقادر بامطرف، التي كان لنشأتها في محيط يتعاطى العلم والمعرفة والثقافة، أثره البالغ في حبها للعلم والمعرفة والاشتغال بالتدريس، ثم الاهتمام بالأدب والصحافة واقتحامها لميدان الكتابة الصحفية والأدبية الهادفة، متكنة على قاعدة تعليمية، وخلفية ثقافية ومعرفية، بحيث أسهمت تحت اسمها المستعار (س. ع. ب) مساهمة فاعلة في الصحف الحضرية خلال ستينيات القرن الماضي، حتى إنه كان لها متابعوها من القراء والقارئات، ممن اضطرت للاعتذار لهم لعدم تمكنها من مواصلة الكتابة عند تعرضها لوعكة صحية، وتمنت لها الصحيفة الشفاء العاجل، لتعود إلى مواصلة كتاباتها (٢٥). ويمكننا القول إن سلامة بامطرف، رائدة تنويرية في مجال الفكر الاجتماعي، وفي الدفاع عن حقوق المرأة وقضاياها، وحققها في التعليم وفي الحياة الكريمة، فهي أول كاتبة حضرمية تهتم بشؤون المرأة اهتماماً شخصياً متصلاً بالحياة العامة، ودعت إلى تأسيس نادٍ ثقافي خاص بالمرأة، وكرست كتاباتها الصحفية لقضايا المرأة الأكثر إلحاحاً في عصرها، كما لم تفعل أي كاتبة حضرمية من قبلها،

وجهت الكاتبة سلامة بامطرف سهام نقدتها إلى أولئك الذين تنفروا وتثقفوا بينما ظلت عقلياتهم متحجرة لا تبشر بأمل، وغلب عليهم الوسط الذي نشأوا فيه

تنديداً باعتقال السلطات الاستعمارية للزعماء السياسيين والوطنيين في عدن، وتحت عنوان (أول مظاهرة تقوم بها الفتاة الحضرية) (٢٥)، أشادت بذلك اليوم التاريخي الحافل في تاريخ الفتاة الحضرية، وكتبنت تقول: «الإثنين ٦ يناير ١٩٦٤م، كان يوماً حافلاً وتاريخياً في حياة الفتاة الحضرية، إنها تبشير الفجر المشرق، حملته لنا السنة الجديدة، فلأول مرة في تاريخ المرأة الحضرية، منذ أجيال، تبدأ الفتاة الحضرية في المكلا، بتحطيم القيود التي كُبلت بها أعوام طويلة باسم التقاليد البالية.. تلك التقاليد التي تفرض على المرأة والفتاة أن تكونا بـمنأى عن كل الأحداث الهامة التي يتعرض لها الوطن.. لقد هبت المرأة الحضرية تواكب الزمن، وتشارك بإيجابية في أحداث وطنها العربي الكبير والصغير..

السحاب.. إنه خير وأبقى للأبناء أن يموتوا دون أن يخلفوا لأبائناهم وبناتهم سوى العلم ويتركوا خلفهم البيوت الشاهقة والأموال المكدسة فلا يمضي وقت طويل إلا وقد تبدد المال الذي أنفقوا حياتهم في جمعه بفضل الأبناء الذين خلفهم أبائهم وهم في أغلال الجهالة يرسفون، لا يعرفون كيف يحافظون عليه..» وتمنت في الختام أن تذوب مثل هذه العقليات المتحجرة لتحل محلها عقليات متحررة تؤمن بأن تعليم الفتاة حق لا ينازع، ولا يقبل فيه مساومة، حق أباحه لها الدين من غير حدود، وحرّمه عليها دعاة الباطل ممن يرون في انزواء المرأة وتعليمها المحدد أكبر حافظ لها من الانزلاق وبئس ما يتوهمون (٢٦). وقد لقيت هذه الدعوات لابتعاث الفتيات للتعليم خارج حضرموت استجابة مشجعة، وبدأت توتّي أكلها؛



17

العدد (9)
يوليو
سبتمبر
2018م

- ١٤) صحيفة الرأي العام، العدد (١٥)، ١٨ أكتوبر ١٩٦٣م، ص ٣.
١٥) صحيفة الرأي العام، العدد (٧)، ٢٣ أغسطس ١٩٦٣م، ص ٣.
١٦) صحيفة الرأي العام، العدد (٨)، ٣٠ أغسطس ١٩٦٣م، ص ٣.
١٧) صحيفة الرأي العام، العدد (١٠)، ١٣ سبتمبر ١٩٦٣م، ص ٣.
١٨) صحيفة الرأي العام، العدد (١١)، ٢٠ سبتمبر ١٩٦٣م، ص ٧.
١٩) صحيفة الرأي العام، العدد (١٢)، ٢٧ سبتمبر ١٩٦٣م، ص ٣.
١٠) صحيفة الرأي العام، العدد (١٤)، ١١ أكتوبر ١٩٦٣م، ص ٣.
١١) صحيفة الرأي العام، العدد (١٩)، ١٥ نوفمبر ١٩٦٣م، ص ٣.
١٢) صحيفة الرأي العام، العدد (٢١)، ٢٩ نوفمبر ١٩٦٣م، ص ٣.
١٣) صحيفة الرأي العام، العدد (٢٧)، ١٠ يناير ١٩٦٤م، ص ٤.
١٤) صحيفة الرأي العام، العدد (٣٥)، ١٣ مارس ١٩٦٤م، ص ٣.
١٥) صحيفة الرأي العام، العدد (١٣)، ٤ أكتوبر ١٩٦٣م، ص ٣.
١٦) صحيفة الرأي العام، العدد (١٧)، ١ نوفمبر ١٩٦٣م، ص ٢.
١٧) صحيفة الرأي العام، نشرت على حلقتين في العدد (٢٥)، ٢٧ ديسمبر ١٩٦٣م، ص ٢. وكذا العدد (٢٦)، ٣ يناير ١٩٦٤م، ص ٢.
١٨) صحيفة الرأي العام، العدد (٨)، ٣٠ أغسطس ١٩٦٣م، ص ٣.
١٩) الصحيح أن يقال: صفر على الشمال؛ لأنه لا يساوي شيئاً، أو قليل النفع، أما قولها: «صفر على اليمين» فهو خطأ كان ينبغي التنبيه له خاصة وأنه ورد في عنوان المقال.
٢٠) صحيفة الرأي العام، (١٩)، ١٥ نوفمبر ١٩٦٣م، ص ٣.
٢١) صحيفة الرأي العام، (٩)، ديسمبر ١٩٦٣م، ص ٣.
٢٢) صحيفة الرأي العام، (٢٦)، ٣ يناير ١٩٦٤م، ص ١.
٢٣) صحيفة الرأي العام، (٦١)، ١٨ سبتمبر ١٩٦٤م، ص ١.
٢٤) صحيفة الرأي العام، (٨٠)، ١ فبراير ١٩٦٥م، ص ١.
٢٥) صحيفة الرأي العام، (٢٧)، ١٠ يناير ١٩٦٤م، ص ٤.
٢٦) صحيفة الرأي العام، العدد (٢٣)، ١٣ ديسمبر ١٩٦٣م، ص ٢.

الندوة العلمية (صحيفة الرأي العام الحضرية - الرسالة والرؤية) لتبني جمع مقالاتها وكتابتها القصصية جميعها وتوثيقها، وتَبَع سيرتها الذاتية ومحطات حياتها العملية واستقصائها من خلال ذكريات أقاربها وكل من عمل معها من الرجال والنساء ممن ما زالوا أحياء يزرعون، وإصدار ذلك في كتاب خاص عن سيرتها وأعمالها لتستلهم منها نساء وقتيات عصرنا الدروس والعظات، وتحفزهن لارتقاء سلال المجد بثقة واعتداد، فقد كانت -رحمها الله- امرأة طموحة، معتدة بنفسها، لم تقبل العيش في هامش الحياة، بل فرضت نفسها باقتدار، ووقفت تنافح بقلمها وفكرها

وتخلت عن ذاتيتها لصالح الهوية الجمعية لكل الحضارة، وللدفاع عن حقوق المرأة بشكل خاص، فضلاً عن إسهاماتها في مجال كتابة القصة القصيرة، وهو ما يجعلها رائدة الكتابة القصصية (النسائية) في حضرموت. لا نعلم عن حياتها شيئاً بعد مرحلة الستينيات، ولا ندري لماذا توقفت يراعها عن العطاء، ولو استمرت بالكتابة بذات الحيوية والنشاط لأثرت حياتنا الثقافية بدرر كثيرة من كتاباتها الإبداعية وأفكارها النيرة، لكننا للأسف لم نعد نقرأ لها شيئاً، ويبدو أنها عاشت بقية حياتها الأسرية بهدوء بعيداً عن أوجاع مهنة المتاعب وهمومها، حتى آخرتها المنية في ٧

في الستينيات من القرن الماضي سافرت بعثة من الطالبات الحضرميات للدراسة في العراق، تلتها بعثة أخرى من الطالبات للدراسة في السودان

ضد التقاليد البالية، التي تقيد حرية المرأة وتحرمها من حقها في التعليم، وأظهرت بسلاح العلم والمعرفة، قدرة المرأة على العطاء والتأثير في الحياة العامة، إذا ما أتيحت لها الفرصة وتُسح لها المجال، ومثلها تستحق أن تُوثق سيرتها العطرة وكتابتها الهادفة، ويكفيها فخراً وتخليداً أنها كانت رائدة الكتابة النسوية في حضرموت.

* أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية - جامعة عدن.

الهوامش:

- ١) صحيفة الرائد، العدد (٢٤)، ٣ أبريل ١٩٦١م، ص ٧، ركن (حديث حواء).
٢) صحيفة الرائد، العدد (١٣٥)، ٢٦ أغسطس ١٩٦٣م، ص ٣، ركن (حديث حواء).
٣) صحيفة الرأي العام، العدد (٧)، ٢٣ أغسطس ١٩٦٣م، ص ٣.

يوليو عام ٢٠١٥م. وكان رحيلا أيضاً بهدوء عن دنيانا، وهي التي حركت المجتمع الحضرمي بما أثارته من قضايا المرأة وحقوقها في الصحف الحضرية خلال ستينيات القرن الماضي. ومثلها مثل كثير من المبدعين لم تلتفت الدولة إلى تكريمها في حياتها، ومع ذلك يحسب للجنة الوطنية للمرأة مبادرتها الطيبة والتفاتها القيمة لتكريمها عام ٢٠٠٥م بمنحها درع الريادة في مجال الصحافة؛ تقديراً لدورها الريادي في تعليم الفتاة وفي الكتابة الصحفية في حضرموت. وفي الختام.. أكرر الدعوة التي سبق لي أن وجهتها للزملاء في (مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر)، خلال مشاركتي في

مجموعة المقالات والأحكام والفتاوى النادرة

مُكاتبة الشيخ عبدالله بكير لشيخ الأزهر

المعهد السيد علي ابن يحيى (٥) حامل
هذه الرسالة إلى سيادتكم للتفاهم مع
سيادتكم عما يمكن الحصول عليه،
والتفضل به من قبلكم من مساعدة

سيما الحصول على المدرسين (٦)،
ويحدثنا الأمل والثقة في جمهورية
العرب المتحدة - حكومتكم - وفي نصرتها
لقضايا الدين وقضايا العرب إلى تحقيق
طلبنا، وبديهي أن العلم والتربية الحسنة،
والتشجيع بروح الدين هي أسباب التقدم
الصحيح النافع، فمن لا علم عنده يعتمد
عليه ومن لا دين له يزعه ويتقيد به
مصيروه وماله التلاشي والانحراف.

إن الأزهر وهو مصدر الإشعاع الديني
الإسلامي في كافة بقاع المسلمين
تهفو إليه أفئدة أبناء الجنوب العربي،
كما تهفو إليه قلوب المسلمين في كل
مواطنهم، وإلى ثوره وهديه يتطلع
المسلمون في كل مكان، ونحن كجزء
من الأمة الإسلامية والعربية نتطلع إلى
الأزهر وننشد تأييده، ننشده في كل
شيء في المدرسين منه، واختيارهم
لهذه المنطقة، وفي قبول أبناء هذه
المنطقة ليشملهم بحنانه وعطفه
عندما يفدون إليه، وفي ربط وشد

نص المكاتبة:

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر

شيخ الجامع الأزهر (١)

السيد الشيخ / محمود شلتوت (٢) حفله الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

ونبعث إليكم أخلص التمنيات سائلين
الله سبحانه أن يسبغ عليكم نعمة
الظاهرة والباطنة ويمتدكم بالعمر
الطويل والصحة الكاملة.

وبعد؛ فإنه ليسعدنا ويشرفنا أن نتصل
بكم دائماً وأبداً بالمكاتبات، وشخصياً
عندما تسمح الظروف - إن شاء الله.

وإنه ليوجد هنا بحضرموت بلواء المكلا (٣)
بالدولة القعيطية معهد ديني إسلامي (٤)
قائمة بالصرف عليه الحكومة القعيطية،
وهي تعتزم الآن توسيع التعليم فيه؛
وليكون ثانوياً على نحو القسم الثانوي
بالأزهر الشريف، ويرجى لهذا المعهد
أن يكون نافعاً لا لحضرموت فحسب؛ بل
لكل الجنوب العربي - إن شاء الله - وحيث
إن الحاجة تدعو للاستعانة بمدرسين
أكفاء، وحضرموت في أزمة عامة في
جميع نواحي حياتها الثقافية الدينية
وغيرها، رؤي من الضروري إيفاد مدير



محسن علوي أبوبكر باعلوي

تصدير:

تاريخ المكاتبة: ٧ / ٥ / ١٣٨٣ هـ، الموافق

٢٥ / ٩ / ١٩٦٣ م.

الرقم: ٨٦ / ٥٩ / ١٧ / ٨٢ / ٦٢ م.

مكان صدورها: المكلا - حضرموت.

المُكاتِب: هو الشيخ القاضي: عبدالله بن

عوض بكير رئيس المجلس العالي للقضاء،

ولد سنة (١٣١٤ هـ)، وتوفي سنة (١٣٩٩ هـ)،

وقد صدرت منه المكاتبة بصفته رئيس هيئة

الشؤون الدينية بالسلطنة القعيطية.

المُكاتِب إليه: شيخ الأزهر: محمود شلتوت،

ستأتي ترجمته في الهوامش.

القصود من المكاتبة: الحصول على مدرسين

من الأزهر الشريف للتدريس بالمعهد

الديني بغيل باوزير، ومد المعهد بالمناهج

الأزهرية، والكتب اللازمة، وربط المعهد

الديني بالأزهر ليصبح فرعاً من فروع.

حامل المكاتبة: هو السيد علي بن يحيى،

ستأتي ترجمته في الهوامش.

المكاتبة تقع في ورقتين من الورق الحديث

مرفوعة بالاستنسل.



شيخ الأزهر الشيخ محمود شلتوت



الشيخ القاضي عبدالله بن عوض بكير



حالة الشؤون الدينية
المكلا - حضرموت
التاريخ ١٣٨٢ / ٥ / ٧ هـ
الرقم ١١٦٦٢ / ١ / ٢٥
بسم الله الرحمن الرحيم .
الى حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر
السيد الشيخ / منصور خلصوت
السلام عليكم ورحمة الله .
ولمحت اليكم أغلى التحيات سائلين الله سبحانه أن يسبح عليكم باسمه
البارئ وبأجله ويحكم بالحق والعدل والحق والعدل .
حمد . فانه ليمدنا وحرطنا ان نصلكم بكم دافعا وأيدا بالمكاتب وشخصيا فمدنا
صم الشروق انشاء الله . وانه ليمدنا حنا بحضرتكم بلوا المكلا بالدولة القياسية
مسير ديني أصلي . لانه بالمراد عليه الحكومة القياسية وفي تدمر الآن توسيع
التعليم فيه ولكن تانها على نحو القسم الثاني بالأزهر الشريف . وحيث لمبدأ
المعهد ان يكون دائما لا لحضرتكم فحسب بل لكل الجنوب العربي انشاء الله وسيت
ان الحاجه تدمر للاستفادة بتدريس الكفاءات وحضرتكم في أزلة طاعة في جميع لأحس
حياتها النظامية الدينية وغيرها رؤى من الضروري انشاء مدير المعهد السيد طس
ابن يحيى حامل هذه الرسالة الى سادتكم للظاهم مع سادتكم ما يمكن الحصول
عليه والتفضل به من ليكن من سادتكم سيط الحصول على التدريس بهدونا الاصل
والشفقة في جمهورية العرب المتحدة حكومتكم وفي تدمر في لندانيا الدين وثقافتها العرب
الى تحقيق طلبة هديني ان العلم والتربية الحسنة والتضام بين الدين هي اسباب
التقدم النصح النافع فمن لا علم تنده بمسند طلبة ومن لا دين له يوتيه يتقدمه مسيره
وماكنا التلاقي والاندراج .
ان الأزهر وهو مصدر الاشاع الديني الاسلامي في كالة باق
المسلمين فخر الله انشاء الله الجنوب العربي كما فخر الله لوب الصلوات في كل
مواظهم . والى دوره وعدي به لطلوع السلون في كل مكان . ونحن كجزء من الامم
الاسلاميه والعربيه نضطلع الى الأزهر ونشدد تأييده ونشدد في كل شئ في التدريس
منه واعمارهم لهذه الطائفة . وفي قول انشاء هذه الطائفة لطلوعهم بحانه وشافيه
فقد يقدون اليه . وفي يقدون حلفاء هذا المعهد الى مؤسسة الحياه
وفي مدنا بالمناشط والزيه والسلمه والتربية بصورة طامه . ولا سيما ماكن تربيتها
على كل حال سيعتد اليكم وسيعتد معكم شهادكم معروضه
بحضرتكم السيد طس بن يحيى طامع في الدين الثاني بحاجه له وسيساع
معكم وحيث نصلكم وتوسيعها لكم الطريقه التي فيها المعهد بالأزهر وتوسيعها لتلاميذ

صورة من الصفحة (١) للمكاتبة

(٢٥)
ان رجال الدين هنا وجهاء البلاد يفرحونكم لتوسيع مدبرهم
الاسر الماليه للاحتياط بحالهم الدين الاسلامي في بلد عربي هو الجنوب العربي
حفظكم الله وأياكم ذخرا للمسلمين
رئيس هيئة الشؤون الدينية
بالمكلا - حضرموت
رئيس

صورة من الصفحة الأخيرة للمكاتبة

(٦) وقد نجحت رحلة السيد علي بن يحيى في الحصول على مدرسين من الأزهر للتدريس في المعهد الديني، ومن هؤلاء المدرسين: السيد عوض الله السيد عوض الله الأزهر، وصل حضرموت في سنة (١٣٨٤ هـ) موافقة سنة (١٩٦٥ م). وبقي في المعهد ثلاث سنوات، وفي خلال إقامته بحضرموت شارك فيلقاء المحاضرات، والكتابة في الصحف، ثم عاد إلى بلده في محرم سنة (١٣٨٨ هـ).
(٧) لعله سقــــــــــــــــط (واو)، والأصل: والمعهد الديني... إلخ.
(٨) لجنة أو هيئة الشؤون الإسلامية تأسست في حدود سنة (١٣٧٤ هـ)، موافقة سنة (١٩٥٥ م)، ورئيس اللجنة هو الشيخ عبدالله بكير، ومن أعضائها: الشيخ محمد باجنيد، والشيخ محفوظ المصلي، والشيخ عبدالله الناجي، والشيخ عبدالرحمن بكير. والشيخ عبدالله باعتقود.

١٩٤٩ / ١ م، وكان مديره في ابتداء الشيخ عبدالباقي بن يوسف نعمة السوداني - من مدينة رفاعة بالسودان، ونائبه السيد محسن بونمي، ثم تولى السيد محسن أبونمي إدارته، ثم خلفه على الإدارة السيد علي بن يحيى.
(٥) السيد علي بن محمد بن طاهر بن يحيى، ولد في مسيلة آل شيخ، وتربى يتيماً في حجر أمه، وأخذ عن شيوخ تريم، كعبدالله بن عمر الشاطري، وغيره، ثم رحل إلى مصر سنة ١٣٤٠ هـ، والتحق بالأزهر، وأخذ عن شيوخه، وبقي به ستة عشر عاماً، ورجع من مصر سنة (١٣٥٧ هـ) حاملاً الشهادة العالمية من الأزهر بامتياز. اشتغل بعد ذلك بالتدريس في عدة أماكن، منها المعهد الديني بالغيل، ثم أصبح مديراً له بعد السيد محسن أبي نعي، توفي في ١٨ ربيع ثاني ١٤٠٩ هـ الموافق ١٢ / ١١ / ١٩٨٨ م، راجع الترجمة التي كتبها تلميذه السيد عبد الله الحداد في مقدمته لكتابه (تحقيق البدعة).

حلقات هذا المعهد إلى مؤسسته العظيمة وفي مدنا بالمطــــــــــــــــوعات الأزهرية والعلمية والتربوية بصورة عامة، ولا سيما ما كان مرجعاً منها. على كل حال سيتحدث إليكم، وسيبحث معكم تلميذكم مندوب الحــــــــــــــــكومة بحضرموت السيد علي بن محمد بن يحيى [٧] المعهد الديني الثانوي بحاجة له، وسيضع معكم، وتحت نصائحكم وتوجيهاتكم الطريقة التي تربط المعهد بالأزهر، وتهيئ لتلاميذ المعهد الانتساب للأزهر، والاعتراف بشهادته كجزء من شهادة الأزهر الشريف، واعتباره لذلك فرعاً من فروع الأزهر في بلد عربي مسلم.
إن رجال الدين هنا، ووجهاء البــــــــــــــــلاد يفوضونكم لتضعوا مع مندوبهم الأسس الصالحة للاحتفاظ بتعاليم الدين الإسلامي في بلد عربي هو: الجنوب العربي. حفظكم الله، وأبقاكم ذخراً للمسلمين.

عبدالله عوض بكير

رئيس هيئة الشؤون الدينية (٨)

بالمكلا - حضرموت

الهوامش:

- (١) الأزهر: مؤسسة دينية علمية إسلامية، أنشئ في عهد الدولة الفاطمية، وافتتح في سنة (٣٦١ هـ)، الموافقة سنة (٩٧٢ م). وأنشئ منصب شيخ الأزهر في أواخر القرن الحادي عشر الهجري في عهد الخلافة العثمانية. ومنذ تولي الشيخ مصطفى المرافي أصبح يطلق على شيخ الأزهر لقب الإمام الأكبر. راجع: موسوعة المفاهيم الإسلامية، تأليف المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - مصر ١ / ٣٨٠.
- (٢) الشيخ محمود شلتوت ولد سنة (١٣١٠ هـ) في منية بني منصور بالبحيرة، وتخرج من الأزهر، وتنتقل في التدريس، إلى أن نقل للقسم العالي بالقاهرة سنة (١٩٢٧ م)، وعين شيخاً للأزهر سنة (١٩٥٨ م)، واستمر فيه إلى وفاته سنة (١٣٨٣ هـ)، راجع كتاب (الأعلام للزركلي: ١٧ / ١٧٢).
- (٣) كانت السلطنة القبطية مكونة من ستة ألوية، هي: لواء المكلا، ولواء الشحر، ولواء شبام، ولواء حجر، ولواء دوعن، واللواء الغربي، وكان كل لواء ينقسم إلى عدد من المقاطعات، ويدير كل لواء نائب، وكل مقاطعة قائم.
- (٤) فتح المعهد الديني بغيل باوزير في محلة الصالحية يوم الإثنين ١٢ / ١١ / ١٣٦٩ هـ الموافق

أضواء على تاريخ صحراء (ثمود) وواقعها



يتناول هذا المقال صفحات من تاريخ الصحراء الشرقية بحضر موت (ثمود) مستمداً معلوماته من الذكريات والخواطر المكتوبة والشفاهية التي تحكي جوانب بعضها غير معروف من تاريخ ثمود جغرافياً وعادات أهلها.

• الرواية الثالثة:

وكذا بالمثل من أسباب التسمية بذلك الاسم (ثمود) خصوصية الصحراء، التي تتصف بشحة المياه؛ ولذلك سميت بذلك الاسم، لا سيما أن هذه التسمية مشتقة من كلمة (الثمذ) التي تعني أن المياه في الصحراء بكميات قليلة (الثمذ) أي (الماء القليل)، وهذا الوصف العام لخصوصية الصحاري.

• الرواية الرابعة:

الرواية الرابعة مفادها حسب ما جاء من أفواه كبار السن من ذوي المعرفة في هذا الشأن بأن البئر الحالية التي سميت (ثمود)، توجد غيرها بئر اسمها (ثميد) وحتى الآن غير معروف مكانها، إلا أن البعض منهم قال بأن بئر (ثميد) قريب موقعها من بئر ثمود الحالية، والماء الذي في باطنها ماء سطحي وليس من المياه الجوفية، بل إن مياه بئر (ثميد) يتناول باليد من قبل الوردية الواردين عليها من البدو في العقود الماضية، وليس بدلوا الزانة الذي يطلع من خلاله الماء من قعر بئر (ثمود) بطريقة النزح بالأيدي إلى أحواض سقي الإبل والأغنام. وتعد هذه البئر من الأبار

البئر والصحراء بـ (ثمود) منسوبة إلى أولئك القوم من ثمود وهم المؤمنون من قوم نبي الله صالح عليه السلام. علماً بأن قبر نبي الله صالح عليه السلام قريب من مدينة القطن بوادي حضرموت، وله زيارة تقام مثل زيارة نبي الله هود عليه السلام بشعب هود بأسفل وادي بحضرموت الجاري في مجرى ذلك الوادي النهر المسمى (هود) الممتد منه إلى بلدة سناء، وفي مسيال ذلك الوادي الكبير تجري السيول إلى منتهاها لا سيما أن السيول الكبيرة تبلغ وادي المسيلة، ومنها تصب بغيص سيحوت في مصب بحر العرب.

• الرواية الثانية:

بالنسبة للرواية الثانية فهي تحكى على أساس أن قوماً كان يتزعمهم أحد أمراء مملكة قديمة حطوا رحالهم واستقر بهم المقام حينها إلى ذلك الحين في تلك الصحراء الشرقية من الربع الخالي، وللظروف الصحراوية حينذاك تم حفر بئر ماء، فسميت تلك البئر باسم أمير أولئك القوم الذي يدعى (ثمود)، وبالمثل سميت هذه المنطقة الصحراوية من الرمال العربية بذلك الاسم أنف الذكر.



ثائف ناصر محمد المنهالي

هنا عدد من الروايات حول لفظة ثمود:

• الرواية الأولى عن ثمود:

قوم من أقوام ثمود نجوا مع نبي الله صالح عليه السلام فنزحوا إلى صوب جنوب الجزيرة العربية، بشد رحالهم من وادي الحجر بين الحجاز والشام الممتد إلى العقبة بالأردن، وبذلك الترحال بعد مراحل الانتقال حطوا رحالهم بالصحراء الشرقية المتاخمة للربع الخالي، وبطبيعة الحال فإن اسم الصحراء كلمة عربية بمعنى (الأرض الجرداء) أو الصخور القاحلة، ونتيجة لتلك الأحوال الصحراوية قامت تلك الأقوام النازحة من الجزيرة العربية إلى جنوبها في الشرق البعيد بحفر بئر ماء، فسميت تلك



21

العدد (9)
يوليو
سبتمبر
2018م

مركز شيبوت:

في مارس من عام ١٩٧٨م تم انضمام مركز شيبوت لثمود، هذا المركز الإداري الذي يشمل تلك المناطق النائية، ومنها حات، وصون، ووادي شح، وحبروت، ثم صدر القرار الرئاسي القاضي بتحويل ذلك المركز إلى محافظة المهرة، وصار من ضمن المراكز الإدارية بها، ومن ثم مديرية من مديريات محافظة المهرة.

القرى والوديان:

وما ذكر آنفاً فيما يتعلق بالمراكز الإدارية بمديرية ثمود من خلال مراحل المد والجزر الجغرافي في حدودها، فإن المديرية تشمل عدة مناطق من القرى والوديان على مستوى مراكزها الإدارية، في إطار المساحة الجغرافية خلال مراحل سابقة على النحو الآتي:

مركز ثمود: ثمود، وسون، وغصون، والنخريه، وأسفل قناب، وعرشات، وبالنزاب، وبنوات، وحراض، ومحمدين، ومقديش، وتعرنات، وحرضة، وسطول، وقناب، وحراض حرضة، واللحي، وقصيم، ويتب، وحلية، والحليوة، وكرع، وكريع، والمضنيات، وبغلين، والعلاية، وشعرة، وجربان، ومنهويت، وططية، والقيعان، واللحي، ومقصر.

ومن مرتفعات مديرية ثمود (قارة حبشية)، التي تعد من أكبر جبال صحراء ثمود بارتفاع (١٢٤٠) متراً.

مركز رماه: رماه، وعيوه، وثوف، وذكير عيوه بنر عيوه، وادي عيوه، وضهون حائرة عيوه ليينه، والدهوم، والخمقان، وباءوت، وحثوث، ووقوع عيوه، والصعق، والغني، والشيسع، والعليبي، وضهيت، والبطنون، والسيلة، وأسفل رماه، وتقرية، وعقور، ورأس غبارية، وعروق الخراخير، وعشروت، والفرعة، والفرائع، والصفقات، وحقق، ومقرة، وبئر شحر، وبرعوت، وصلاو، وغدنة، وضحية، وعربة، وسناو، وأعلى وادي رماه، وتنگلهم، وعبالهم، وعفردوت، وكرفان النطخ، وبدحوت، وعيدم، ومعبور، ونحريت، ووادية ثوف، وقوع عربة، وخشم كوب، ومراخية.

مراكزها الإدارية ذات الطبيعة الجغرافية المكونة من الهضاب، والحزوم، والقفاف، والشعاب، والوديان، والجبال، والصحاري، والرمال الثابتة والمتحركة على النحو الآتي:

١- مركز ثمود ٢- مركز حزر ٣- مركز شيبوت، وتنفيذاً لذلك القرار المركزي تم ارتباط مديرية ثمود إدارياً ومالياً بعدن إسوة بمحافظات الجمهورية، فكانت حدودها الإدارية حينذاك من الشرق شيبوت، ومن الغرب خشم الجبل، ومن الشمال إلى الجنوب تعد الوديان التي يسيل سيلها إلى وادي حضرموت تابعة لمركز السوم من جهة الجنوب، وبالمثل الوديان التي تسيل سيولها إلى الرملة تعد تابعة لثمود من جهة الشمال، فكانت المساحة لتلك المديرية تقدر بـ (٤٥٠٠) كم مربع، وعدد السكان (٦٠ ألفاً) نسمة، بموجب التعداد السكاني لعام ١٩٧٣م، وكان المشرف على أعمال لجان التعداد السكاني لمديرية ثمود أحد موظفي الجهاز المركزي للإحصاء بعدن، وفي ذلك العهد كان مأمور ثمود منصر الكلفوت، وسكرتير المديرية ناصر المنهالي، ومساعد المأمور لمركز حزر عبدالقادر سليمان، ومساعد المأمور بمركز شيبوت عثمان بلقيع.

مركز رماه:

بناء على هذه الأسس تم استحداث مركز رماه، وبُنيت في ذلك المركز الإداري برماه مشاريع تنموية وخدمية، مثلما تم بناؤه بالمركز الإداري الأول ثمود، مع إضافة بناء مستشفى برماه مرتبط بوزارة الصحة بعدن، وإقامة مزرعة نموذجية برماه، وهذه هي المشاريع التي تم إنجازها في السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي.

الارتباط الإداري:

في مارس ١٩٧٨م صارت مديرية ثمود من ضمن مديريات حضرموت، بناء على القرار الحكومي الذي تضمن بأن تكون ثمود مديرية إسوة بالمديريات ذات الارتباط الإداري بعاصمة المحافظة المكلا، وفيما بعد عام ١٩٩٤م حتى تاريخه صارت ثمود مرتبطة إدارياً بديوان سينون.

المفتوحة في العهد القديم.. علماً بأنه من خلال كثرة استخدام النزع بأيدي الواردين على الماء ظلت معالم زانة الدلو بارزة حتى اليوم في ظفرة جدران البئر تلك الظفرة المكونة من الأحجار الصلبة.

• الرواية الخامسة:

من أسباب عدم العثور على بئر (ثميد) بالصحراء، هي تلك العوامل الطبيعية، ومنها زحف الرمال من فجاج الريع الخالي صوب صحراء ثمود، فصارت مطمورة بالرمال، وعلى مرور الزمن دفنت تلك البئر مثلما دفن تاريخ الصحراء بين ذرات الرمال. وأما بالنسبة لما جاء في الرواية الخامسة الأخيرة، وربما تكون ليست الأخيرة، فيقول فيها الراوي إن تلك البئر التاريخية التي انشق اسمها من (الثميد) أو (الثميد)، ونتيجة لاستمرارية البدو الرحل منهم وارد وصار على مورد تلك البئر، صار اسمها (ثمود) بتركاز لفظ تلك الكلمة عبر العصور.

جغرافية ثمود:

شهدت جغرافية ثمود أحوال التمدد تارة والانكماش تارة أخرى، وذلك حسب المراحل التاريخية التي شهدتها المنطقة وبخاصة ما يتعلق بالوضع الجغرافي والإداري، فكانت صحراء ثمود في عهد الدولة القيعطية الحضرمية تابعة لقائم مقام منطقة عينات، ومن ثم لقائم بلدة دمون باللواء الإداري شبام.

وفي مطلع عام ١٩٦٨م في ظل حكم جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية صارت إدارياً تابعة لمركز السوم بوادي حضرموت، ولأهمية موقعها الاستراتيجي المتأخم لحدود أكثر من دولة من دول الجوار فقد حظيت بالعناية لأسباب سياسية وجغرافية من خلال ذلك القرار المركزي المتضمن انتقـال الوضع الإداري لصحراء ثمود من منطقة تابعة لمركز إداري محلي إلى الارتباط المباشر بدار الرئاسة، ومن ثم بوزارة الإدارة المحلية لشئون الحكم المحلي بعدن، وذلك في عام ١٩٧٢م، وبالقرار الرئاسي صارت ثمود مديرية مستقلة غير مرتبطة بأي محافظة من محافظات الجمهورية، بل ذات ارتباط مركزي بعدن، وعلى هذا الأساس حددت



مركز القف وحزر: الخيخة، وقراد، ورسة، وطفح، وعرماء، وشرذوم، وأسفل حزر، وشقهم هذبل، وظيلم آل الكثير، وقبوع آل عبادات، وطروث، ومخية، وأسفل خضرة، ورتيبي، واعلا أذنه، وجباء، والدخان، والمباركة، وظليم العوامر، وخضرة، والماس، وكهيف، والسلاسل، وتبيوت، والصيق، وقطن، وتميس، وجراشب، وهواه، وحوارم، والعرج، وشهما، وحزر، ورملة حزر.

المراكز مديريات:

في منتصف عام ١٩٩٠م صارت المراكز مديريات فأصبح كل من مركزي القف ورماء مديرية، وبالمثل مركز ثمود أصبح مديرية، وذلك من ضمن مديريات محافظة حضرموت، إسوة بالمراكز الإدارية في المحافظات الجنوبية، حيث أصبحت مديريات في ظل سلطة الوحدة اليمنية.. وهذا وذلك فيما مضى من تاريخ ثمود ما بين أثارها وذكرياتها.. وأما بالنسبة لأوضاعها الحالية فلاسف الشديد فإن مديرية ثمود تعيش أوضاعاً متردية في أهم المجالات لحياة الإنسان وبالذات المياه، والكهرباء، والاتصالات، والصحة، والتربية والتعليم، والبلدية، وغير ذلك من الخدمات الأساسية التي يحتاجها المواطن، وهذا كله لضعف الأداء الحكومي على كافة الصعد بالمديرية.

الحدود الإدارية:

حددت الحدود الإدارية لمديرية ثمود في إطار جغرافية التمدد والانكماش على مستوى الشريط الصحراوي الشرقي من خلال عدة قرارات منها تلك القرارات السابقة واللاحقة، التي نصت على انتقال الوضع الإداري لمنطقة ثمود من حضرموت إلى عدن، من ثم العودة إلى حضرموت، وبانتقال المراكز الإدارية إلى مديريات أصبحت الحدود الإدارية لمديرية ثمود حالياً من الشرق مديرية رماء، ومن الغرب مديرية القف، ومن الجنوب مديرية السوم، ومن الشمال الخرخير بالربع الخالي، في إطار مساحة جغرافية تقدر بنحو (١٥١٨٢) كم مربع.

برهوت وهود:

من ضمن مساق الترحال لبدو الصحراء تراهم متقلبين من هذا المكان أو ذاك إلى أماكن أخرى في إطار جغرافية مناطق البادية من الوديان والشعاب، ومنها بوداي حضرموت في الشرق البعيد، ومن ثمود إلى برهوت وهود... فبرهوت وادي به مغارة وفيها (بئر برهوت)، وأساطيرها كثيرة؛ ولكثرة قصص وحكايات الأولين عن (بئر برهوت)، يقال عنها بأن أرواح الكفار في عمقها، وغيرها من روايات مفادها سماع أصوات مزعجة، وهي خليط من أصوات أناس وحيوانات يسمع نهيها ونباحها صادرة من وحوش في ظلمات الليالي المظلمة، بل تسمع كما يقال أصوات غريبة ومخيفة يصعب تمييز نطقها.

• بلدة تنعه:

بلدة تنعه القديمة هي حاضرة برهوت ولها تاريخ قديم، ومنها يتم توجه البدو الرحل إلى شعب نبي الله هود، مروراً بـ حصون آل بن كوب وآل العبيدي تلك الحصون القديمة وموقعها القريب من ذلك الشعب الذي تقام فيه زيارة نبي الله هود عليه السلام في كل عام من أيام شهر شعبان شهر الزيارة (شهر قصير) حسب تسمية البدو، فتراهم ملتزمين بالحضور مثل غيرهم من الحاضرين في كل موسم من تلك المواسم بموكب في ذلك اليوم من أيام الزيارة.. وهم البدو التسوق في سوق الزيارة المشابه لسوق عكاظ القديمة لبيع مواشيهم من الإبل والأغنام وشراء أهم حاجاتهم من تلك المتاجر، بحضور أهالي القرى والبلدات والمدن الحضرية وما جاورها من مناطق أخرى.

• نهر هود:

وكذا بالمثل ترى زوار زيارة هود يغتسلون في (نهر هود) لأخذ الطهور لأداء الصلوات في مصلى عمر ومساجد شعب هود، فترى البدو مفترشين مسيال شعب هود، أما بالنسبة للآخرين من مدينة العلم تريم فتراهم ساكني تلك الخدور أي البيوت المبنية بشعب هود مقسمين فيها في أثناء تلك الأيام المعدودة من أيام تلك الزيارة، فترى كل

موقع من مواقع الزيارة مزدحماً بالزوار، قد جاءوا من كل حذب وصوب من المدن وأريافها ومن صحاريها ورمالها ومن ثمود، وكذا من بلدة سنا القديمة الواقعة شرقي شعب هود بمسافة ليست بعيدة من مكان الزيارة.

• سد الخلفة:

بعد الانتهاء من موسم تلك الزيارة التي تستغرق مدة ثلاثة أيام من السابع من شهر هود (شعبان) ترى البدو عاندين إلى مواقعهم في البادية منهم من يتجه صوب منطقة سنا إلى وديان نظرة ونظيرة الأثرية، وأسفل سد الخلفة؛ ذلك السد القديم الذي تم بناؤه في زمن غابر لا يعرف تاريخه بالتحديد، وما تزال أحجاره باقية حتى اليوم، رغم مرور السيول الجارفة، علماً بأن الموقع الجغرافي لذلك السد القديم بأسفل وادي حضرموت في الشرق البعيد.. ومن هنا يتنقل البدو إلى وديان عستون، وعسيتون، ونسيم، وريب، وفي أيام الغيث في الصحاري والرمال تراهم نجوعاً أي شادين الرحال للعودة إلى ثمود عبر وادي طباقم في اتجاه تلك النجود للاستقرار حيناً من الزمن، إلا أن ذلك الاستقرار لا يدوم بل تراهم يستأنفون الترحال من خلال شد الرحال وحط الرحال في هذا أو ذاك المكان سعياً للحصول على المراعي حيثما وجدت، ومهما كانت المراحل بعيدة والمسافات طويلة.

التعداد السكاني:

التعداد السكاني لمديرية ثمود بلغ (٥١٢٦) نسمة، وفقاً لتعداد عام ٢٠٠٩م، إذ لم تصل أعمال ذلك التعداد إلى بعض تلك المناطق البعيدة، وكذا بسبب انتقال بدو صحراء ثمود من مكان إلى آخر في حالة جفافها.

البنية التحتية:

في عام ١٩٧٣م حظيت ثمود بالاهتمام لموقعها الاستراتيجي فأقيمت بقرتي ثمود ورماء مشاريع البنية التحتية، وفقاً والخطة الثلاثية، ومن ثم الخطة الخمسية آنذاك في مجال الخدمات العامة، وعلى أساسها تم بناء المدارس الابتدائية والإعدادية لأبناء البدو الرحل،



23

العدد (9)
يوليو
سبتمبر
2018م

• الكرفان (البحيرات):

أما بالنسبة للكرفان فقد تم حفرها من قبل البدو، وهي كرفان النطخ، وكريف الرزي، وكريف البرقة بوادي رماه شرقي ثمود، وغيرها من الكرفان ومنها بعيوة المناهيل كريف ذراش، وكريف الركاب، وكريف عويض، كما توجد كرفان في محيط ثمود بوادي مقديش، وتعرنات، واللحي، ومنهوت، وفي سطل، والقياعين، وقناب وغيرها كثير هنا وهناك، ومنها بوادي خضرة كريف سحارهم. وهذه الكرفان تحفظ مياه الأمطار، وفي ظل تلك الحياة الفطرية ترى الكرفان بحيرات في أثناء هطول المطر.

• البطح (الأحمر):

أما بالنسبة للمزارع والجروب الزراعية ذات الحياة الشخصية، التي تعد مصالح شخصية، فقد نجحت تجربة زراعة الحبوب (البطح الأحمر) في جروب وادي عيوه المناهيل، وهذه الزراعة التي مسقاها قطر المطر كان منتوجها الزراعي من الحبوب بكميات تجارية، وهو يغطي الطلب المحلي على مستوى الإقليم، وبذلك الارتباط بأرض الزراعة صارت هذه العوامل عاملاً مساعداً على الاستقرار الاجتماعي بدلاً من الترحال من خلال الانتقال من مكان إلى مكان آخر إذ ساعد هذا على إيجاد أوضاع شبه مستقرة في اتجاه الاستقرار في تجمعات سكانية.

• قاطنو الصحراء:

منطقة ثمود تتكون اجتماعياً من مجتمع قبلي من قاطني الصحراء الشرقية المعتدة من شحناً شرقاً إلى وادي حزر

وفد الأمم المتحدة:

رجوعاً إلى السبعينيات من عهد منطقة رماه التابعة لمديرية ثمود حينذاك، وذلك بالتحديد في عام ١٩٧٤م، أتى وفد الأمم المتحدة بمشروع تطوير المناطق الصحراوية بما فيها ثمود والمناطق الواقعة حولها، ومنها وادي رماه حيث أوصى الوفد الأممي بأهمية ذلك الوادي الكبير (رماه)، الممتد من الصحراء إلى الرمال، ومن تلك الأسباب الموضوعية التربة الصالحة للزراعة، بهدف استيطان البدو الرحل تعزيزاً للحفاظ على الثروة الحيوانية التي تتميز بها ثمود وأهمها الإبل الأصائل المحلية صاحبة الناموس.

• مصادر المياه:

الأبار المفتوحة القديمة التي حفرت باليد، والتي تعد من المصادر المائية لحياة الإنسان والحيوان، هي المصدر الرئيس من مصادر المياه بالصحراء ومن تلك الآبار (بئر ثمود) التاريخية، و(بئر حلية)، و(بئر الحليوة)، و(أحساء الواسطة) بوادي قصيوم، و(الشبانك) بوادي مقصر، و(حسي باسمر) بوادي حرضة، وكذلك (بئر زقريت) بسناو بالشرق، وبالمثل في الغرب (بئر تميمس)، وفي اتجاه الشمال الرملي (بئر الخرخير)، و(بئر أرامكو) في الربع الخالي؛ تلك البئر الفوارة التي حفرتها شركة أرامكو السعودية، وكذا الحال بأبار مفتوحة منذ عهود قديمة في الصحراء الغربية منها أبار العبر، وعساكر، وزمخ، ومنوخ.

بأنقسامها الداخلية المتوفر فيها الإيواء من السكن والتغذية المدرسية وغيرها من الملزمات للاستقرار التعليمي، بإشراف من قبل الدائرة التعليمية بوزارة الدفاع، مع بناء المراكز الإدارية، والوحدات الصحية، ومراكز تنمية المجتمع، ومن أهم أقسام تلك المراكز الاجتماعية روضة الأطفال، والمشغل النسوي، والطب الوقائي، مع بناء الوحدات البيطرية، ومحطات الكهرباء، ومكتب مياه الشرب بثمود بأقسامه الفنية من مكائن الخراطة، والميكانيك، واللحام، والورشة المتنقلة؛ لصيانة وتشغيل أبار المياه التي حفرت في المناطق المحرومة بحفارات (مشروع تطوير صحراء ثمود)، ذلك المشروع التابع للمنظمة الدولية للأمم المتحدة، بإشراف من قبل وزارة شؤون الإدارة المحلية بعدن، كما تم بناء المستوصفات الطبية، والمساكن الشعبية، ودار الضيافة لاستقبال الوفود الحكومية، التي كانت تزور المديرية، مع تدريب شباب البدو الرحل في المعاهد الفنية بمحطة التأجير (مشروع البمبات الحضرية) سابقاً بسيلون، والورشة الحكومية بالمكلا، وبورشة لودر بأبين، والمعهد المهني بعدن، والمعهد المهني بالمكلا، وبالتخرج من تلك المدارس التقنية تم توظيف خريجي تلك المعاهد المهنية والفنية لشغل وظائف مهنية بمكتب مياه الشرب بالمديرية (ثمود).

الطاقة الشمسية:

كما توفرت من قبل مشروع الأمم المتحدة في منتصف الثمانينيات من القرن الماضي الطاقة الشمسية، وتم وضع تلك الطاقة على (بئر ثمود) كتجربة أولية على تلك الأبار المفتوحة، إلا أنه لم يتم التركيب على تلك الآبار، ومنها حلية، والحليوة، وتميمس، ورماء، على الرغم من نجاح التجربة، ولكن وبمرور الأيام توقف تشغيل الطاقة على تلك البئر التاريخية، إلا أنه في الآونة الأخيرة تم تركيب الطاقة الشمسية على البعض من أبار هذه المناطق النائية من قبل رجل الأعمال الشيخ خالد بن البخيت بن طناف المنهالي.



بئر ثمود



غرباً، تلك القبائل الصحراوية التي تعد قبائل رحل من سكان الشريط الصحراوي المتاخم لحدود الربع الخالي ومن سكان هذه المناطق الصحراوية (العوامر، والصيعة، والمناهيل، والمهرة، والرواشد) وهذه القبائل تعيش حياة الترحال في إطار تركيبة اجتماعية ذات خصائص قبلية خاصة بمجتمع ثمود القبلي، كما يتميز المجتمع التمودي بعادات وتقاليد تحكمها الأعراف القبلية، وعُرف عن هذه القبائل اتصافها بالاستقامة، والشجاعة، والكرم، والإخلاص لأرض الوطن، والذكاء، الفطري، والصبر وغيرها من الصفات الحميدة.

عوامل الاستقرار:

على هذا الأساس تم استقرار البعض من البدو في محيط البير، وبالقرب من المركز العسكري بـثمود، فنصبته خيامهم التي صارت قبالة المركز والبئر، وذلك من جهة الجنوب، ومن الشمال قبر الغيبر، ومن الغرب غار خدرنة، ومن الشرق وادي النخزية. وفي ذلك الوقت بنى الطعاطم بن حربي المنهالي بيتاً له، واستقر مع أسرته، فقد ساعدت مجمل هذه الأحوال إلى حد كبير في الاستقرار الاجتماعي للبدو الرحل من خلال ذلك التجمع السكاني، الذي من خلاله أسست قرية ثمود.

الدكان التعاوني:

عام ١٩٦٨م تم افتتاح أول مدرسة ابتدائية بـثمود، وفي عام ١٩٧٠م افتتحت أول وحدة صحية، وكان أول من عمل بتلك الوحدة الصحية بـثمود المساعد الصحي عمر بن أحمد السقاف، ومن ثمَّ المساعد الطبي حسن بن عمر الحامد. وفي عام ١٩٧٢م أسس العمل التعاوني بافتتاح أول دكان تعاوني بقرية ثمود، فكان المسنول عن ذلك المحل التعاوني ناصر محمد المنهالي، الذي تولى مهمة جلب المواد الغذائية من شركة التجارة الداخلية بسيئون إلى صحراء ثمود، فصارت تلك المواد الأساسية في حياة الإنسان في متناول البدو الرحل وشبه الرحل من قاطني الصحراء الشرقية بأسعار مناسبة،

والجدير بالذكر بأنه قبل تلك الأعوام الماضية، كانت هذه الواجبات وتلك المهمات من غذاء ودواء وتعليم تقدم للمواطن من قبل قوات (الجيش البدوي الحضرمي) من خلال وجود وحداته العسكرية بصحاري ورمال ثمود والعبر وعساكر وغيرها، وبذلك الوجود العسكري تم تأمين الخائف من الغزوات القبلية، إن كان في الصحراء الشرقية، أو كذا الحال في الصحراء الغربية على امتداد الشريط الحدودي.

الأثار التاريخية:

من الأثار التاريخية بمنطقة ثمود بنرها الواقعة في وسط شريط صحراء الربع الخالي، وفي غربها (بير تيمس) القديمة، مع وجود كتابات، منها رسومات بكهوف وادي قناب، وكذلك في المصنعة بعيوة المناهيل، كما توجد آثار من عصور غابرة في كهوف الغيران في وديان الشريط الصحراوي، وقد اطلع عليها المستشرقون المستكشفون من أوروبا، وأكثرهم من بريطانيا، منهم ضباط عسكر من الإنجليز، وخبراء مكافحة الجراد، ورحالة آخرون. ونذكر على سبيل المثال وليس الحصر بأنه نقلت من وادي رماء ومن وادي نظرة ونظيرة بمنطقة سناء أحجار عليها كتابة قديمة من المخربشات، وعندما تم فك شفرة تلك الحروف من قبل خبراء الآثار، أفادوا بأن تلك الأماكن التي وجدت فيها تلك الأحجار القديمة مواقعها في مرتفعات الوديان، وبهذا تعد تلك المناطق محطات تجارية تحدد مواقع الوقوف إن كان في المساء، أو في وضوح النهار، للقوافل المحملة بالبخور، واللبن، والصبر، من وإلى حضرموت، عبر رمال الربع الخالي، والكثير من تلك

العادات والتقاليد:

إن العادات والتقاليد لقبائل الصحراء من شرقها إلى غربها متعددة ومختلفة بـخصوصياتها ولهجاتها إلا أن تلك العادات بطبيعة الحال متقاربة في حد ذاتها فلا يوجد هناك تباين كبير في هذه أو تلك العادة من العادات البدوية لطبيعة خصائص الصحراء.. فالكثير يروي رواياته بذكرته بحسن النية دون مبالغة في سرد الكلام.. وهنا سندلي بدلونا في هذا الشأن بغية التوثيق لبعض من هذه العادات البدوية ومنها:

- الزوامل من قبيل الرجال متكثفين سلاحهم الشخصي مع التعشير بإطلاق الأعيرة النارية من فوهات بنادقهم.
- الشرح المريكوز والشحيب رجالاً ونساء.
- المريزة من قبيل الرجال على ضوء موقد النار يحطب أشجار السمر.
- لعبة الدارة اللبس والقبض والقفز بالأحجار للدفع إلى الأمام.
- سباق الهجن (الملز) ومزايينات الإبل الأصائل في مضاميرها.
- مباريات الشباب في مجال الرماية



25

العدد (9)
يوليو
سبتمبر
2018م

– اللطم في غفلة،

حالة أخرى في العلاج البدوي اللطم في غفلة للمريض من قبل شخص ذا خبرة في ذلك العلاج، أو إطلاق النار فوق رأس المريض وهو في وضع دون انتباه، وبعد هذه وتلك العملية يوضع المريض في مكان مصان تمنع عليه الزيارة لمدة أربعين يوماً.

– ميل المكحلة،

من ضمن العلاج البدوي كحل العين بميل المكحلة بمادتي الكحل الممزوج بالصبر المسحوق مع بعضه في حالة الإصابة بالرمد وغيرها من أمراض العين، ويتم الكحل بميل المكحلة.

– الكي بالنار،

مثلاً يقولون آخر العلاج الكي بالنار في موقع البخس (الوجع) حيثما كان، وتتم عمليات الكي بالنار من قبل أشخاص ذوي خبرة أي من الذين لديهم معرفة في ذلك العلاج التقليدي من خلال وضع العلامة المحددة في بداية المرحلة، تليها مباشرة عملية الكي بالنار بموجب تلك العلامات، فيوضع المكوي (الطبيب المعالج) مكواه الحار على كل علامة ثم تحديدها في جسم المريض بحركة سريعة.

– علاجات أخرى،

فمثلاً عملية تشخيص المرض يتم عبر الذرع بالجل من قبل ذلك الخبير، وذلك من خلال الذرع باليد مراراً وتكراراً بالجل من قبل المعالج (المدوي بالذراع) بدوره يقرر العلاج من الأعشاب ومنها أوراق شجر الحرمل التي توضع تحت جسم المريض، وأيضاً غسل الجسم بثمار شجرة الحتيكة مع وريقات شجرة الغصّة المسحوقة، وكذا حناء الرأس وبق أغصان شجرة الخضير ووضعه في (منفا) رأس الطفل الرضيع في حالة سرعة نبضات (منفا) النخاع، مع ترقيب رقبة الطفل أي التدليك من قبل امرأة ذات خبرة في ذلك العلاج، وفي حالة التهاب اللوزتين يتم فشط اللوزتين بدخول إصبع السبابة في فم المريض من قبل ذلك المدوي المتعارف عليه عند البدو، فترى مرضاهم متقاطرين إلى



زوامل رجالية مرحبين بهم أهل الزواج فتراهم في صفوف متقابلين في خطوط مستقيمة كل زامل قبالة الزامل الآخر منشدن بأصوات مرتفعة بأبيات من الشعر البدوي.

وفي صباح اليوم الثاني من أيام الزواج تتم الصفة بوقـوف الزوجة وهي في أكمل زينتها أمام ذلك الخدر بموقع الزواج، علماً بأن هناك اختلافاً في موعد ربوط العروس بالنسبة لهذه أو تلك القبيلة فمنه ما يتم في الصباح الباكر، ومنه ما يتم في وقت الظهيرة من ذلك اليوم المحدد للربوط، فبطبيعة الحال توجد اختلافات بسيطة في هذه أو تلك العادة إلا أن مضمونها واحد فليس هناك تباينات كبيرة بل هي متقاربة.

٢- عادات العلاج:

– هو با حمه:

الرعباه.. فمن أنواع أصناف العلاج البدوي للمريض ما تسمى (الرعباه) المتمثلة في مجموعة من البدو تراهم يجلسون متركبين على ركبهم في إطار دائرة على المريض متنحنين بكلمات غير واضحة بصوت مرتفع بقولهم: (هو با حمه هو با حمه).. وغيرها من كلمات أخرى مشابهة لتلك النغمة، فتسمعها تارة في صوت منخفض، وتارة أخرى بصوت عال مع حركة أيديهم بطريقة سريعة، وغيرها من حركات. ومن العادات شطف الدم عبر الفم لإخراج مادة السم من موقع القبضة (اللغة)، وذلك في حالة لدغة الثعبان السام.

بالذخيرة الحية للتمرس على تسديد الهدف وإصابته من أول طلقة رصاص. فهذا بعض ذلك الموروث الشعبي لدى القبائل الحضرية.

وهناك عادات -توحي بها بعض المناسبات- عفى عليها الزمن وبعض منها ما زال قائماً، وهنا نروي ما جادت به الذاكرة البدوية وليس حصراً.

١- الزواج:

فمن تلك المناسبات البدوية الختان والزواج ومنها من خلال مراسيم أعراس الزواج المرحلة الأولى الربوط التي تتم في بداية لحظات العرس بطريقة ربط العروس وهي في حالة القيام بمهمتها اليومية في مرعى البوش في ذلك اليوم المحدد للربوط، فتتم متابعتها من قبل والدها أو خالها في مجرى ذلك الوادي فتتسارع خطوات المسير للحاق بها من خلال الهرولة إلى الأمام بالجري في تعرجات المسار، وعند الاقتراب منها يرمي أبوها أو خالها على رأسها شال أو صبيغة سوداء أو سباعية ذات ألوان متعددة لتغطية رأسها، وفي تلك اللحظة يتم حضور النساء من أقارب العروس وتبدأ مراحل الزف بالعروس من مكان الربوط إلى مكان العرس، وبهذه المناسبة يتم إطلاق النار بالتعاشير^{١١} في الجو الطلق ويكون الرمي فوق الرأس من قبل المعرس والأهالي على رأس العروس، ومن ثم يتم التوجه من خلال الزف بالعروس إلى مكان الربوط وتستمر التعاشير بالرصاص الحي، وتبدأ الزوامل بقدوم صفوف الملاقين في



أولئك العزاف في ذلك الزمان.. والله عز وجل هو الشافي لا شافي إلا هو.

٣- عادات المرأة:

- عنوة المرأة:

عنوة المرأة من الرجل من خلال قيام الرجل بلمس أو مسك أطراف جسم المرأة بيده، فتقول له مباشرة: استعنيث منك بكرة وقعود وما قاله بويه، وهذه العادة البدوية من ضمن حقوق المرأة في المجتمع الذكوري.

- المرأة الشنوف:

وكذا الحال المرأة الشنوف أي الزوجة الخارجة عن طاعة زوجها فتضل عاصية مطالبة بالطلاق من زوجها الذي يرفض طلاقها وبمرور الأيام إن كان عن طريق الصدفة أو بطريقة المراقبة من خلال هذه أو تلك المتابعة ومن نتائجها عند مشاهدة الزوج شخصاً ما يتحدث مع زوجته الشنوف في مجال الغزل فيقول الزوج لذلك الغريم الزمك بالمردوف أي دفع مبلغ المهر بالذبل، وبرجوع الأطراف المعنية بالقضية إلى مقدم القبيلة يتم الفصل في هذه أو تلك القضية بموجب العادات المعتادة عند هذه القبيلة.

٤- الختان:

وأما بالنسبة لمناسبة الختان للرجال التي تتم في وقت غير مبكر من العمر بل ما بعد سن الطفولة عند بلوغ سن الفتوة وبذلك المناسبة تقال الأبيات الشعرية من فوق منصة الختان من قبل القتي المختون من خلال تلك العملية القديمة التي تتم بدون تقييد (أي دون تخدير موضعي)، فتراه صابراً على الأوجاع منشداً بصوت مرتفع بالقصائد مضمون نصها الإشادة والثناء بالفخيدة والقبيلة وبالأخص الوالدين والأخوال والإخوان.

الأحكام العرفية:

تصدر الأحكام العرفية من قبل مقدم القبيلة بموجب العرف القبلي الذي تحكمه السوارح والسوالف والعادات والتقاليد عند هذه أو تلك القبيلة وسوف ذكر بعضها فمهما:

السلم والحرب والصلح والبراء والثأر

والأسر والأخذ بالوجه واللوم والشؤم والوثر وغيرها، ومنها العدائل وهي عبارة عن بندقية سلاح حسب التحديد من قبل مقدم القبيلة بحجم القضية الماثلة أمامه، ومن ثم تبدأ الدعوى من قبل المدعي والجواب على الدعوة من قبل المدعى عليه، ومن ثم يتحدث المقدم بعضمون نص القضية وحيثياتها نتيجة لما طرح عليه في مساق القضية من دعوى وجوابها وغيرها من إضافات مضافة كفرصة نهائية من قبل هذا أو ذاك الطرف، وفي نهاية المطاف ينطق مقدم القبيلة بالحكم بموجب الأحكام العرفية المتعارف عليها في حسم القضايا البدوية، ومن تلك القضايا قضية (عنوة المرأة) كما مر معنا وغيرها من القضايا الاجتماعية ذات الطابع القبلي، وبهذا العرف القبلي يتم حل القضايا من جذورها بتنفيذ الحكم العرفي في الحال منعاً للتسويق الذي يفضي إلى تفاقم هذه القضية أو تلك، وكذا تحاشياً من حدوث ردات فعل في ظل مجتمع متسلح، ولذلك تبقى العدائل والعرايين بيد المقدم حتى يتم تنفيذ الحكم بكل فصوله لا سيما أن الرضا سيد الأحكام من خلال وضع العرايين في قعيقة المقدم من أجل تنفيذ الحكم بدون تردد أو تراجع أي بدون استئناف، علماً بأن مقادعة القبائل مراتب بدءاً بمقدم الفخيدة، ومقدم القبيلة، ومقدم الطائفة والنقد بن عطوفة السماحي، وبالنسبة لمورد عاب وطاب هما المقدم بن يمانى ببلدة قسم، والحكم بن عجاج من قبائل نهد ببلدة قعوضة بوادي حضرموت، والمقدم بن يمانى مورد عاب وطاب لقاطني المنطقة الحدية (الشرقية)، والمقدم ابن عجاج مورد عاب وطاب لقاطني أعلى الوادي وحوايلها.

- دسمال بونه:

في هذه الحالة وغيرها من الحالات المشابهة لمثل هذه وتلك القضايا تتقدم الدعاوى للمقدم (شيخ القبيلة) إن كان في موسم زيارة هود في ذلك التجمع البدوي أو في حالة وجود المقدم

إن كان في حلتة (مقر إقامته المتنقلة)، ومنها باطنة الوادي وفي شزرها ونجدها وبحضور الأطراف بعد سماع الدعاوى وطرح العرايين لتنفيذ الأحكام يتم الفصل في هذه أو تلك القضية، ومن المعتاد حسب السوارح المعمول بها قبلياً يحدد للمقدم معتب من ضمن شروط الزواج على الزوج، والمعتب عبارة عن عمامة حمراء عراقية أو دسمال بونه (شال صناعة هندية) ليوضع على رأس مقدم القبيلة فتراه في مظهره مميزاً عن بقية الحاضرين من بدوي وحضري.

الثأرات القبيلة:

بعد تلك المراحل التي سادتها تلك الصراعات من الغزوات بأسلوب الأخذ بالقوة لفيد الإبل ومن جرائها تلك المواجهات المسلحة التي من خلالها تفاقمت قضايا الثأرات ما بين القبائل التي من عاداتها حمل السلاح الشخصي للدفاع عن النسل والأرض، فظلت الأوضاع عقوداً من الزمن في التاريخ القديم والوسيط، مستمرة في أحوال غير مستقرة اجتماعياً وأمنياً، في تلك العصور الماضية منذ عهد القبيلة التي عاشت مراحل الاقتتال.

السلاح التقليدي:

أبناء البادية من تقاليدهم أباً عن جد حمل السلاح الناري في كل الأوقات على الدوام، وبطبيعة الحال في أثناء الأوضاع غير الآمنة، وكذا الحال في الأفراح وفي المناسبات وغيرها، وكذلك هواة الصيد البري إذ إنهم تعودوا على مثل تلك الأوضاع بمختلف أحوالها الطبيعية فتراهم دوماً على أهبة الاستعداد غير مفارقين للسلاح التقليدي حتى في المنام تراه مكنناً على سلاحه إن كان بجانبه أو تحت رأسه.

أنواع تلك الأسلحة:

من الأسلحة النارية التي عرفتها القبائل البنادق القديمة ومنها بندقية (بوقيتلة) ذلك السلاح ذو القصب الطويلة وهو صناعة تركية، تم ظهوره في حضرموت قبل (١٤٠٠ عاماً) تقريباً، وكذا (الهرتي) (الهطفة الفرنسية)، وفيما بعد ظهرت (الشـُـرفاً) (والكندات) وهي صناعة بريطانية، ومن ثم (العليمانات) (والمياز



وسم الإبل للتمكن من إظهار معالم
الوسم قبل أي استحداث ربما يظهر في
هذا المضمار نتيجة تسارع مراحل
التحديث وبالتالي ذات في هذا المجال
المهم.. وبهذه المحاولة نأمل أن نكون
قد وفقنا في التدوين لهذا المضمون
بغية للتوثيق الذي يعد في حد ذاته من
التاريخ القديم امتداداً منه إلى الحاضر
في علوم الإبل.. وعلى هذا الأساس نبين
وسم الإبل المتعامل به حالياً منذ تلك
العصور القديمة إلى اليوم وذلك على
النحو الآتي:

وسم إبل قبائل المناهيل:

قبيلة بيت المعشني.. الوسم (معشنية)
خطين مستقيمين بشكل طويل أي
اثنين مطارق وراء الأذن.
• بيت سالمين / اثنين مطارق وراء الأذن،
ورقم سبعة وراء الأذن بجانبها.
• بيت الباقية / اثنين مطارق وراء الأذن،
وقشم في رأس الأذن قطف (بتر بسيط).
• بيت تمان / اثنين مطارق وراء الأذن،
ومطرق واحد تحت الأذن.
• بيت القوانصية / اثنين مطارق وراء
الأذن، واثنين دوامع خطين تحت صنيف
الوجه، الصنيف (الجانب الأيسر من الوجه).
• بيت عتلي / اثنين مطارق وراء الأذن، وقرم
(بتر بسيط) في رأس الخشم أي الأنف.
• بيت حشوش / اثنين مطارق وراء
الأذن، وحلقة أي دائرة صغيرة في الرقبة.
• بيت مزبر / اثنين مطارق وراء الأذن،
ووراء المطارق صخرة أي نقطة.
• البواق / اثنين مطارق وراء الأذن.
• السماح / اثنين مطارق وراء الأذن.
وسم بيت كزيم. الوسم (كزيمية) بشكل
حنية نصف دائرة، والفتحة من تحت، مع
عمود بشكل خط غير مستقيم بجانب
الحنية من اليمين وسط الرقبة.
• بيت غانم / الوسم (غانمية) صاعد في
صنيف الوجه بين العين والوجه، أي خط
مستقيم طويل يسمى (الخرطة) مع قعدة
رزتين، أي نقطتين النقطة الأولى في
أعلى الخط من اليمين، والنقطة الأخرى
في أعلى الخط من اليسار.
• بيت كشمه / حنية وبجانبها عمود

والداني، وهذا كله من أجل الحفاظ على
تكاثر هذه الثروة الحيوانية كمصدر
رئيس للرزق الحلال. وكذا الحال الغريزة
الفطرية للبديوي لهذه المهنة من خلال
الرفق بالحيوان، وهذه المظاهر البدوية
ما هي إلا أصالة وانتفاء لحياة بدوية
عاشها البدو الرحل منذ عهودهم
القديمة جيلاً بعد جيل حفاظاً على ذلك
الموروث التاريخي - المصادر من الآباء
والأجداد عبر العصور - من تاريخ الإبل
بمختلف أنواعها ومنها المطايا الذلول
(سفينة الصحراء).

وسم الإبل:

كان في عهد سابق الوسم في الوجه،
ومن ثم حدده البعض ما بين الأذن
والرقبة من جهة الحالب أي اليسار، على
الرغم من أن البعض ما يزال يسم إبله
في الوجه.. وهنا سنورد تفاصيل ذلك
الوسم: الذي يعد وسماً متميزاً لكل
القبيلة والفخيدة من الفخاند المنتمية
لهذه أو تلك من القبائل، فلكل وسمه
المعروف حسب المتعارف عليه قبلياً،
وبهذا الوسم عند هذه القبيلة أو تلك
تصير الإبل معروفة بوسمها كنظام
عرفي سائد في التعامل في هذا الصدد
منذ القدم، وبذلك الوسم المحدد تتحدد
نوعية ملكية هذه الإبل تجنباً لأي
مشاكل قد تنشأ في هذا الشأن، وإن
حدثت أي مشكلة بقصد أو غير قصد مثل
القيام بتغيير الوسم أو الركوب على
المطية من قبل الغير دون الاستئذان
من مالكة، علماً بأن هذه القضية
بالذات عند بعض من تلك القبائل
وليس كلها.. أما فيما يخص قضايا الإبل
فيتم حسم هذه المسائل من قبل مقدم
القبيلة، وفقاً والأعراف والعادات في هذه
الشئون البدوية في مجال الإبل وعلومها
من مصدرها إلى ميرادها في سقيها
ومرعاها في مراعيها، وذلك وفقاً لتلك
الأعراف، وذلك حفاظاً على هذه الثروة
الحيوانية ومنها الإبل.

التدوين للتوثيق:

حاولنا جاهدين قدر الاستطاعة والإمكان
في هذا الشأن بغية التوثيق في مجال

الطويلة) المانية الصنع وغير ذلك من
الأسلحة القديمة، وقبل ظهور هذه
البنادق كان السلاح الأبيض ومنه
الرماح، والسهم، والسيوف، وتلك
الجنابي التي رافقت السلاح الناري، وبعد
ذلك السلاح القديم تسلحوا بالسلاح
الحديث (الرشاش الآلي الأتوماتيك)،
الذي يطلق طلقات صاليات متواصلات،
ومنها بندقية (كلاشنكوف) التي سادت
العالم من خلال التسلح به من قبل
الأفراد سواء كانوا عسكريين أو مدنيين.

علوم الإبل:

علوم الإبل كثيرة ومتعددة بكثرة
فوائدها للإنسان، الذي ورث ذلك
الموروث عن الآباء والأجداد منذ التاريخ
القديم، فتحمل المسؤولية الأبناء
والأحفاد من خلال الاهتمام بتربية
الإبل، وهم أصحاب الحلال من ملاك
الإبل جيلاً بعد جيل.
ومن هذه تلك العلوم (الوسم)
المتعارف عليه عند كل قبيلة من قبائل
الصحراء الشرقية والغربية، ومن
المعلوم ذكره بأن وسم الإبل على
مستوى القبيلة وسم محدد، مضافاً إليه
وسم الفخذ، بموجب الانتماء القبلي
لهذه الفخيدة أو تلك من الفخاند
والعشائر من كل قبيلة من القبائل التي
جذورها من الأصول الحضرمية.

رضاعة الناقة:

توسم الإبل بمرور عام من الولادة أي
بعد رضاعة الناقة لابنها الصغير
(الحاشي) رضاعة عام كامل.. ولعوامل
المرعى والمسقى يظل البعض منها
وبالذات الإبل التائهة في الصحارى
والرمال بـغية وصولها إلى أماكن
المراعي في المناطق البعيدة؛ ولهذا
السبب أو ذاك تبقى هناك إبل غفر أي
بدون وسم، وعندما يعثر عليها مالكة
بعد العناء من البحث عنها يسوقها إلى
مورد الماء ويوسمها بوسمها المعين
من خلال الكي بالنار بسكين أو سنارة
حديد، بتعاون الحضور من الورد
الواردين على ذلك المورد المائي، وبهذا
الوسم تكون الإبل معروفة عند القاصي



وسط الرقبة، ودامع أي خط مستقيم تحت العين وسط الرقبة.

• بيت رصيعة/ حنية في وسط الرقبة، مع لطمة أي خط في الخشم من جهة اليسار.

• بيت مطحيسه/ حنية في وسط الرقبة، وعمود في وسط الحنية.

• بيت فاخرة/ حنية يتيمة.

• بيت البطين/ حنية وسط الرقبة، وعمود بجانب الحنية من اليمين.

• بيت حميد/ حنية وسط الرقبة، والعمود بجانب الحنية من اليمين، مع رثمة على الخشم.

• بيت الحمادي/ حنية مع العمود وسط الرقبة، ومطرق قدام الحنية.

• بيت نحات/ ثلاث قدح بين العين والأذن، أي خطوط صغيرة.

• بيت بركات/ مطارق وراء الأذن، ومطرق على طول الرقبة، والبعض منهم رقم ثمانية في الرقبة، وصب وقف أي خطين متقاطعين في رقب الرقبة.

• بيت مسعود/ دامع تحت العين خط مستقيم، وكشحة تحت الأذن خط صغير.

• وسم إبل بيت سبولة: الوسم (سبولية) الحنية الفتحة من تحت، وعمود بجانب الحنية من اليمين بشكل رقم واحد وثمانين.

• وسم إبل قبائل العوامر:

• آل وعيل/ الوسم بشكل الهلال مع الرزة أي نقطة بجانب الهلال من اليسار تحت العين بجانب الأذن.

• آل حيثول/ الوسم بشكل هلال مع الدامع خط مستقيم صغير بجانب الهلال من اليسار تحت العين بجانب الأذن.

• آل جعفر/ الوسم بشكل هلال مع الرقب خط مستقيم في الرقبة والهلال تحت العين بجانب الأذن.

• الحطاطية/ الوسم بشكل هلال مع شاهد خط مستقيم وسط الهلال وراء الأذن في الرقبة.

• الكسابيب/ الوسم بشكل هلال خلف العين وأمام الأذن مع الدامع خط مستقيم تحت العين.

• آل كليكة/ الوسم بشكل هلال مع شاهد

خط مستقيم وسط الهلال في الرقبة.

• آل عبد الباقي/ الوسم بشكل هلال خلف العين أمام الأذن مع اللحظ خط عرض أسفل الهلال.

• وسم إبل قبائل الصيهر:

• آل عون/ الوسم (الرثمة) بشكل نصف دائرة صغيرة في وسط الأنف.

• آل عل سليمان/ الوسم (الغزلة) بشكل خط مستقيم مع خط عرض من اليمين تحت العين بجانب الأذن.

• آل عبد الله بن عون/ الوسم (العبدلية) بشكل خط مستقيم ونقطة من اليمين ونقطة من اليسار تحت العين بجانب الأذن.

• آل قروان/ الوسم حلقة في صماخ الوجه، الصماخ أي الجانب الأيسر من الوجه.

• آل الكسالىين/ الوسم (الحباري) خط مستقيم متوسط في صماخ الوجه، ولكرتين أي نقطة من جهة يمين الخط والأخرى من اليسار، والصماخ جانب الوجه الأيسر.

• وسم إبل قبائل المهرة:

• بيت صموده/ الوسم (الصمدية) بشكل مستطيل بدون الخط السفلي تحت العين بجانب الأذن.

• بيت سعيد صموده/ الوسم بشكل الرزة نقطة في اللحي.

• بيت قعصيت/ الوسم (قمصية) رقم تسعة في صماخ الوجه.

• بيت كلشات/ الوسم (الكلشية) بشكل خط عرض تحت العين بجانب الأذن.

• بيت مغفيق/ الوسم (مغفيقية) خط مستقيم مع الرزة أي نقطة في الوجه بشكل رقم عشرة.

• بيت ثوعار/ الوسم بشكل خطين متلاصقين أحدهم مستقيم والآخر بالعرض في الوجه.

• بيت عوبشان/ الوسم (عوبشانية) بشكل رقم تسعة في الوجه.

• وسم إبل قبائل آل كثير:

• الرواشد/ الوسم (الراشدية) رزة نقطة في اللحي، مع رزتين أي نقطتين بين العين والأذن.

مضامير الهجن:

فمنذ الصبا وعنفوان الشباب فإن أبناء البدو الرجل يتصفون بصفات الشهامة، فهؤلاء الرجال النشامي بانتمائهم إلى حياة البادية على الرغم من قساوة الحياة في تلك المناطق البعيدة التي جعلت رجل البادية متحملاً الأثقال الثقيلة من الأمور الحياتية، وبالتحدي والصمود وبالعزيمة القوية تهون أمامه المهام الصعاب، حتى ولو كانت المراحل طوال، وكذا بالمثل ترى كبار السن من البدو من أصحاب الإبل لديهم خبرة متراكمة في تربية الإبل، وهم أساساً يمثلون الهيئة الاستشارية وأصحاب القرار في مضامير الهجن، أي في كيفية ممارسة سباق الهجن ومزاينة الإبل فهم قد تمارسوا عليها منذ نعومة أظفارهم فتعودوا عليها، وأصبحت ممارستهم اليومية منذ العصور القديمة من تاريخ القبيلة حتى اليوم، فتراهم مهتمين بإبلهم في ظل حضارة ناطحات السحاب، ولتفهم هذه الثقافة أقيمت المضامير وسباق الهجن بطرق حديثة في هذا العصر من خلال ذلك الاهتمام من قبل تلك الدول العربية الغنية بالثروة الطبيعية من غاز ونفط وثروات معدنية وغير ذلك من موارد اقتصادية.

• ترعى وترتع:

بطبيعة تلك الأحوال تشاهد هذا أو ذاك المرعى من المراعي الخضراء، ليست سراباً بل ترعى وترتع فيها الأغنام برعاية راعية البوش، وأما بالنسبة للإبل فباعتبارها مرعاه من قبل رجال البدو أي (العبله) رعاة الإبل.

أما حلب لبن النوق فيكون من قبل الرجال فقط وبأصبعين هما الإبهام والسبابة، ويكون من جهة الحالب أي اليسار، ويتم حلب اللبن من ضروع الناقة بضرعين مختلفين، والضرعان الآخران لأجن الناقة (الحاشي)، وذلك من أجل يدر باللبن أي أكثر في أثناء الحلب الطبيعي في الإناء المسماة (القعلو) أو (الستمه) وهي صناعة محلية من الجلد وغوص أغصان الشجر، ولون اللبن بطبيعته أبيض تراه بالعين المجردة في ظلام الليالي.



المطاف ظلت تلك الأبار الاستكشافية في مجال النفط مغمورة بالرمال من خلال زحف رمال الربع الخالي عليها.

أوسكار زبال:

الجدير بالذكر بأن مجلة (العربي) الكويتية في العدد (٧٩) بتاريخ يونيو ١٩٦٥م أجرت استطلاعاً عن مدينة المكلا عاصمة حضرموت ومفتاح جنوب الجزيرة العربية، ومن ثم طارت تلك البعثة الإعلامية الكويتية من مطار الريان بالمكلا إلى موقع الحفر وادي ترفات بمنطقة ثمود والتقطت صورة لحفار شركة بان أمريكان بتلك المنطقة الواقعة جغرافياً شرق بئر ثمود ووادي رماه، فصارت تلك الصور نادرة في حد ذاتها التي التقطها مصور مجلة العربي (أوسكار) باستطلاع الصحفي (سليم زبال)، علماً بأن ذلك الحفار الأمريكي صار أثراً بعد عين منذ عام ١٩٩٤م فلم يبق من ذلك الحفار إلا تلك الصورة النادرة من تاريخ بترول ثمود ومن خلال مشاهدة ذلك الحفار في عهده تم وصفه من قبل بعض الخبراء الأمريكيين بأنه أكبر حفار بالشرق الأوسط، وثاني حفار في العالم في مجال التنقيب عن النفط بالصحاري والرمال في ذلك الزمان والمكان.

وادي ترفات:

ومن خلال تلك الشركات النفطية متعددة الجنسيات في مجال المسح والتنقيب عن نفط ثمود، فقد كانت أول الأبار في حقول بترول ثمود في أول مراحلها هي البئر النفطية الأولى والثانية والثالثة التي حفرها بحفار بان أمريكان في مطلع الستينيات بموقع وادي ترفات، وبعد ذلك بمدة وبالتحديد في السبعينيات حفرته شركة سيباكو آباراً نفطية مستفيدة في حفرها النفطي بذلك الحفار الأمريكي، فتم الحفر في حثوث، وثمود، وبالمثل في الثمانينيات المشروع السوفيتي للتنقيب عن النفط حفر بئر نفط في شحر شرقي وادي رماه، وفي التسعينيات من القرن العشرين، وكذا بالمثل حفرته بئر نفط في وادي قناب من قبل شركة فرسول الفرنسية،

التي تبعد عنها مئات الأميال في اتجاه الشمال الصحراوي.. وذلك الخبر فيما يخص إصلاح الطريق للتمكن من نقل المعدات صدر في صحيفة (الطليلة) (١٢).

* بان أمريكان:

بناء على ذلك الامتياز في حقول نفط ثمود الذي منح لتلك الشركة الأمريكية في ذلك التاريخ أنف الذكر وبـتلك الإجراءات العسكرية والمدنية ذات الطابع الاقتصادي.. وعلى ذلك تم ترتيب وصول أول حفار نفط عبر الطريق الصحراوية نتيجة لصعوبة عبور ذلك الحفار الكبير بعقبة المعدي بالطريق الشرقية، وعلى هذا الأساس تم وصول ذلك الحفار الأمريكي التابع لشركة بان أمريكان العالمية (AMERICAN OIL COMPANY PAN) عبر الطريق البحري من مصدر المنشأ إلى ميناء مسقط بسلطنة عمان من ثم بالبر عبر صحراء شحن إلى صحراء ثمود.

نقطة حدودية:

عند وصول الحراسة من الجيش العماني المكلفة بحراسة ذلك الحفار الأمريكي تم الوقوف عند تلك البراميل التي كانت تعد نقطة حدودية ما بين سلطنة عمان ومحمية عدن الشرقية (حضرموت والمهرة) وفي أطراف تلك الحدود الصحراوية في محطة البراميل تم التسليم من قبل الدورية العمانية لذلك الحفار الأمريكي إلى دورية الجيش البدوي الحضرمي التي كانت مهمتها حراسة ذلك الحفار كلاً في مجاله الطبوغرافي الجيش العماني والجيش الحضرمي، وبذلك الترتيبات المنسقة أمنياً من قبل قيادتي تلك الجيوش العربية العمانية والحضرمية حينئذ، تم وصول الحفار إلى وادي ترفات الواقع شرقي ثمود بحراسة من قبل جيش البادية الحضرمي، فبدأت مراحل الحفر بذلك الحفار الكبير في المجال النفطي في حدود ثلاث سنوات، وبعد تلك المدة تم الانسحاب من قبل الشركة الأمريكية مثلها مثل الشركة التي سبقتها وكذا بالمثل بقية الشركات اللاحقة، وفي آخر

الوضيحي والظباء:

وفي تلك المراعي النظيرة ترى الغزلان (الظباء من فصيلة الریم) تنفّز أي تنفّز في مساحة مرعاها لرشاقة قوامها، وأما بالنسبة للوضيحي (المها العربي)، يرى ويرتع في مراعيه بالرمال تراه في قطعان كثر هنا وهناك في مقدماتها الأنثى الوضيحية، فتري تلك القطعان ترعى ما بين تلك الشقاق الرملية ذات النعومة في ذراتها التي تسمع صوت صدها من شقاق رمالها. وكذلك طير النعام فهو من الطيور التي لا تطير بل تتأرجح في سيرها حيناً وتارة تسرع في خطواتها، فتراها تخبئ بيضها في مخابئ خفية في إحدى الشقوق من شقاق الرمال، أي ما بين هذه أو تلك الشقة من الكثبان الرملية منها الثابتة والمتحركة عند أعاصير الرياح، وعندما يتم العثور على بيض النعام يشرب عصيرها رعاة الإبل في حالة عطشهم.

المسح الجيولوجي:

وهنا سنحدث عن حكاية بترول ثمود التي بدأت قبل (٨٢) عاماً منذ ١٩٣٥م من خلال قيام شركة (P. C. L.) بعمليات المسح الجيولوجي بمنطقة ثمود أرض امتياز التنقيب عن النفط.. إلا أنه بعد مرور (٢٥) عاماً من تاريخ بداية العمل حينئذ في مجال المسح النفطي بصحراء ثمود نشب ذلك الخلاف الذي حدث بين الشركة النفطية وحكومتها حضرموت (القعيطي والكثيري)، ونتيجة لذلك السبب وربما غيرها من الأسباب لا نعلم بها.. فقد نتج عن تلك الخلافات انسحاب تلك الشركة من مواقعها بثمود.. ولتحقيق الأمل الذي كان يراود قاطني ثمود من البدو الرحل بغية الاستقرار بدلاً من الترحال أعطي الامتياز من قبل حكومتها حضرموت للتنقيب عن نفط ثمود للشركة الأمريكية العالمية (بان أمريكان) وبالتحديد في عام ١٩٦١م، وبناء على تلك الاتفاقات بدأت تلك الشركة الأمريكية في إصلاحات عاجلة للطرق تأهباً لنقل المعدات الثقيلة من المكلا إلى منطقة ثمود،



وأعلنت هيئة إذاعة لندن (بي بي سي) خبر استكشاف بئر نطف بوادي قناب بالربع الخالي.

أسدل الستار:

من نتائج تلك التحركات بمختلف مساراتها أسدل الستار على العهد البدوي الفطري وانخفضت وتيرة الغزوات والغارات البدوية بالعد التنازلي حيث صارت تلك الغزوات في مرمى قوات (الجيش البدوي الحضرمي) المتمركزة على آبار المياه والتي أصبحت محروسة من قبل تلك الحاميات العسكرية المعززة بالدوريات بسلاح المصفحات وسيارات الجيب ناقلات الجند بدوريات ذهاباً وإياباً على مستوى الشريط الحدودي والمنافذ الرملية مترامية الأطراف، ومن خلال تلك التحركات العسكرية ضببطت تلك الاختراقات، ومنع أي إخلال بالأمن العام على مستوى حضرموت، والمناطق المجاورة لها الواحدي والمهري.

الجيش البدوي:

تكونت التشكيلات العسكرية للجيش البدوي الحضرمي على مستوى القبائل الحضرمية في أول المراحل التأسيسية وذلك على النحو التالي:

١- قبائل نوح عشرة ٢- قبائل سيبان عشرة ٣- قبائل الحموم عشرة ٤- قبائل بلعبيد عشرة ٥- قبائل الصيعة خمسة ٦- قبائل نهد خمسة ٧- قبائل المناهيل خمسة.. من ثم توالى تباعاً دفعات التسجيل بذلك الجيش البدوي بحضرموت من القبائل والشرائح بمحمية عدن الشرقية التي تشملها جغرافية حضرموت القيعية وحضرموت الكثيرة والواحدى والمهري.. ويضم هذا الجيش في قوامه التشكيلات العسكرية، التي بدأت بأول المراحل من خلال التشكيلة الأولى بقوام نواة شبابية متمثلة في تلك الفرقة التأسيسية بعدد (٥٥) عسكري من القبائل الحضرمية، ومن ثم تعززت الجاهزية العسكرية له كما وكيفاً وفقاً.

هيب هيبا:

في مطلع عام ١٩٥٣م تم بناء مركز ثمود بمسافة قريبة من البئر التاريخية (ثمود) وتمركزت بذلك المركز الواقع جغرافياً في وسط الصحراء قوة من الجيش البدوي الحضرمي فنظمت أوضاع السقي على ذلك المورد المائي من خلال الإشراف من قبل قيادة مركز ثمود، وبهذه الترتيبات اليومية انتهى عهد الفوضى وتم استتباب الأمن والأمان بصحراء ثمود فاستمر النزح بزانة دلو الماء من قعر البئر إلى أحواضها بتلك العملية التقليدية التي تتم بالأيادي القوية بحركة سريعة ذات شدة في التسابق لتطليع الدلو بزانة الحبل السلب أي نوع قوي، وهذه الحركات تتم من قبل البدو الواردين وجنود جيش البادية الحضرمي المتمركزين بتلك المراكز العسكرية المسيطرة على تلك الأبار وفي أثناء مراحل نزع الماء تسمع كلمات بصوت مرتفع يرددونها نازحو الماء وهم قيام فوق فوهة البئر، وتلك الكلمات هي (هيب هيبا هيب).

قضايا الثارات:

كان وضع تلك القبائل في ذلك المجتمع المحلي ذي الطابع القبلي أوضاعاً غير مستقرة نتيجة لتلك الغزوات لأخذ فيد الإبل وبالفزعات يتم إعادة الفيد، ومن جراء هذه الحروب تعمقت قضايا الثارات أباً عن جد، فصار الوضع تسوده التهدة مع اليقظة في أثناء إبرام الصلح أي الهدنة ما بين الأطراف المعنية، وفي حالة الحذر في البراء دون الصلح يكون (الطارف غريم) من قبل القبيلة صاحبة الثأر، وهكذا توالى الأحداث من غزوة إلى فزعة فيها المنتصر والمهزوم، ومحاولة إعادة الفيد عن طريق الأخذ بالقوة، مثلما أخذ منه بنفس الأسلوب القوي، وبعض الأحيان بطريقة الحيلة الفطرية من خلال تكتيكات عمليات الكر والفر، وهكذا ظل البدو في الصحراء ورمالها المترامية الأطراف في تلك العهود في صراع دائم لتجاوز الصعاب بالاعتماد على النفس، واستمرت الأوضاع على

ذلك المنوال غزوة بفيد (وغزوة صعفة بجنبية)، فصارت هزائم هؤلاء القوم غنائم عند قوم آخرين.

بن يمانى وب عجاج:

من جراء تلك الغزوات ونتيجة لتلك الصراعات التناحرية ما بين هذه القبيلة أو تلك، التي ينتج عنها كرة أخذ الإبل وكرة من الكرات إعادة فيد الإبل في ظل مراحل الاقتتال إلا أن الوضع يظل في حذر، ومن شيمة رجال القبائل الحذر من خلال التمترس في المرايا لليقظة حتى في الوقت الذي يسوده الصلح، وبالذات في غضون الأيام العشر السوالم حسب شروط الصلح بين الأطراف، باعتبار تلك الحقبلة الأولية من الصلح وهي تلك الأيام المحددة بأعلاه براء وبإنفاذها يبدأ الصلح، وبطبيعة تلك الأحوال الانتقامية تحدث أحوال من اختراق الصلح بقصد أو بغير قصد بطريق الخطأ لهذا السبب أو ذاك، ومنه ربما يكون الظن بأن الوقت وقت براء وأنه دون الصلح أو غير ذلك، طالما أن الثأر لم يحسم في ذلك الوقت، وكذلك بالمثل يحدث حادث تحت حجة أن خبر الصلح لم يصل إلى كل من الأطراف المعنية، ولهذا تكون الحجة عند هذه القبيلة أو تلك إذا قتلت غريمها في الصلح أن تدعي عدم إعلامها بهدنة الصلح بحكم أن أماكن المحلة متباعدة وغير مستقرة، ولهذا يكون الادعاء بأن الوضع فيه براء وليس صلحاً هذا من جهة، ومن جهة أخرى يقول البعض (قتل وبعده صلح)، حسب المقولة القديمة. عموماً فإن هذه الأمور وأمثالها المعقدة ذات الطابع المزدوج مرجعها (مورد عاب وطاب)، وهما المقدم بن يمانى التميمي، والحكم بن عجاج النهدي، بموجب العوائد سارية المفعول في هذه القضايا. أما بالنسبة لاختراق ميثاق الصلح إن حصل شيء من قتل فهو نادر بحكم أن القبائل جلتها تلتزم بعهود الصلح، وذلك من خلال التأكيد على هذه المسألة المهمة في مجريات الصلح، بموجب تلك



الغزوات والفزعات قتل (البس) بطعنة جنبية وليس بطلقة رصاص عند معطاف الغزوة بصحراء (تبه ويتمه) بالجوف في أطراف حدود شمال اليمن، وقبره موجود ما بين (تبه ويتمه) بأرض الجوف، وأسفرت تلك الغزوة بقتل البس وهويدي بن نفل وغيرهم من شجعان البادية فصار إجمالي القتل من المشقاصيين تسعة، وإجمالي القتلى من قبائل القبلة أربعة عشر مع الاستيلاء على ١٤٠ ناقه أخذها أهل المشقاص فيد نتيجة لتلك الغزوة، التي مصدرها فزعة مشقاصية، ومن خلالها صارت الفجعة التي خسر فيها المشقاص عقيد قومه (البس) في عام ١٩٤٦م. والجدير بالذكر أنه قبل تلك الفزعة كرد فعل على غزوة حدثت في عام ١٩٤٥م حدثت حادثة استيلاء المناهيل على المخافر القيعطية بحصن العر ومركز السوم بأسفل وادي حضرموت، ومن خلال ذلك الاستيلاء تسلم المناهيل بالسلاح الحكومي نوع (الشرفا بريثن مطرلة) مصنعها مصانع بريطانية بلندن، وفي عهده يعد ذلك السلاح من الأسلحة الحديثة ذات الطراز الجديد، فشددوا رجالهم لتلك الغزوة صوب أرض القبلة التي من جرائها خسروا خسارة فادحة من خلال مقتل زعيم قبائل المشقاص الملقب (البس/ المنهالي) عقيد أقوام المناهيل.

خو حمدة:

منذ مطلع الأربعينيات من مراحل التأسيس وفقاً والخطط الاستراتيجية لقيادة جيش البادية الحضرمي، الذي كان مقر قيادته حصن (ليجون) بغيل بن يمين، ومن ثم انتقلت تلك القيادة العسكرية إلى حصن (ثومة) بمعسكر ديس العكلا، فكانت البرامج اليومية تنفذ بحذافيرها من خلال القيام بتلك الدوريات في إطار جغرافية تلك المسارات العسكرية، منها الدورية الأولى بقيادة الضابط عبد الهادي العتيبي المنتدب من قبل قيادة الجيش العربي الأردني، لدى قيادة الجيش البدوي الحضرمي، انطلاقاً من الصحراء الغربية مركز العبر، مروراً بقرون الثنية

وتقوم الفزعات لحامل السلب أي الرجل المتسلح بالسلاح الناري، وذلك المنتمي لهذه القبيلة أو تلك المعنية بأمر الفزعة من عقداً الأقوام، إن كان البس المنهالي، أو هبطاء بن رقيحيت المهري، أو بن نسيعة العامري، أو بن غصنه الراشدي، أو مرزوق الصيعري وغيرهم من عقداً الأقوام من تلك القبائل، فترى وتسمع عقداً الأقوام يأمرن وينهون كلاً منهم في نطاق جغرافية أرضه، وفقاً والعادات البدوية والسوارح القبلية المتعارف عليها منذ أزمان.. فعلى هذا الأساس تتم الترتيبات السريعة من خلال الانطلاقة في غزوة أو فزعة من أجل الفيد، فعقيد القوم يتصف بصفات مميزة تؤهله تلقائياً لأن يكون قائد قوم من خلال الخبرات المتراكمة، ومنها الكر والفر وغيرها من التكتيكات العسكرية المتمثلة في إجراء الترتيبات الأولية، المتمثلة في ترتيب جماعة تتكلف بمهمة الأعمال الاستطلاعية، وجماعة أخرى من الرواة المكلفين بتوفير المياه لقوام القوم في أثناء عمليات الهجوم، والمعطاف بالفيد، وغير ذلك من تكتيك (كر وفر)، كل هذا وذاك من أجل الاستحواذ على الإبل. وهذا على سبيل المثال لا الحصر، لا سيما أن الغزوات في عهدها كانت جمّة وترتيباتها متعددة، وفقاً وتضاريس المنطقة، علماً بأن عقيد القوم ليس بمظهر الملبس أو بطول القامة فكم من قصير القامة صار عقيد قومه بمناقبه الشجاعة، حتى ولو بثيابه المرقعة وبمظهره الرث.

البس بن دويلان:

كان (البس) مبخوث بن العبد بن دويلان بن غانم المنهالي زعيم أقوام المشقاص أي الشريط الصحراوي الشرقي، فتراه غازي على أقوام أرض القبلة وبمعيته أولئك العقداً لتلك الأقوام من القبائل المشقاصية (المناهيل، والعوامر، والمهرة، والراشدي)، وعقداً تلك الأقوام من هذه تلك القبيلة هم أصلاً من رجال الشورى في اتخاذ القرار ومن صناع القرار لتنفيذ الغزوة أو الفزعة، وفي آخر مطاف هذه

النصوص التي تتم وفق السوارح عند القبيلة في أثناء إبرام عقد الصلح بوثوره وعهوده وشروطه وشهوده.. ومن المعلوم بأنه رغم عدم توافر الوسائل المتطورة عند البدو في مجال التواصل الاجتماعي في تلك العهود القديمة التي شهدت تقطع السبل لأكثر من سبب، إلا أن الخبر عندهم يتم نشره بسرعة مثل أعاصير الرياح بهذه الوسيلة أو تلك، ومنها الطريقة المتعارف عليها من خلال تبادل الأخبار عند اللقاء الشخصي، أو الجمع العام، أو عند السمر في الليالي في معطان الإبل، أو على عدانة البير، أو مورد الكريف الذي مسقاه من ماء المطر، أو في وضوح النهار عند تناول شرب (قهوة الشريخ) القهوة العربية في خيمة الشعر، أو بكهف الغار، وغير ذلك من المناسبات هنا وهناك، منها مواسم الزيارات والزواج وغير ذلك من تلك الوعود ذات الجمع العام لهذا الزي (القبيلة) أو ذاك لمناقشة شؤونهم.. المهم والأهم في ذلك أن المعنيين بالأمر تراهم مهتمين بتبليغ ذلك الخبر في أسرع وقت ممكن عبر التواصل الاجتماعي عند البدو الرحل بوصول النبا إلى كل من هو معني بذلك من سكان الديرة، إن كان في الرملة أو بالسبيح، أو في باطنة الوادي، أو في المعراب، أو غير ذلك من مناطق المشقاص من الساحل البحري، لا سيما أن هذه العادات البدوية ما تزال قائمة، ومنها الصلح في غياب الدولة المدنية، وساري المفعول في أغلب الأوقات، فإن القبلي عند الطلب يعطي غريمه الصلح أي الهدنة لمدة طويلة أو قصيرة من خلال صلح العرضة، علماً بأن المدة الزمنية للصلح تختلف فقد تكون أياماً معدودة، أو أشهراً معدودة، ومنها الصلح المقعد، وذلك حسب ما جاء في نطق الحكم الصادر من قبل المقدم بن يمانى ببلدة (قسم) في أثناء المثل أمامه من قبل الأطراف في تلك القضية، التي أخذت طابع (مورد عاب وطاب) في مطلع الستينيات من القرن العشرين.

عقداً الأقوام:

من نتائج تلك الغزوات يأتي الصائح



وتلة الوديدة، وصولاً إلى وادي الشريعة. أما بالنسبة للدورية الثانية بقيادة الضابط سالم عمر الجوهي فتتطلب من الصحراء الشرقية ثمود ورمالها المترامية الأطراف، ومنها حبسروت، وسناو، وخشم كوب، والساروب، والسرداب، وحزر، وشقاق المعاطيف، وخشم الجبل. علماً بأن القائد سالم عمر الجوهي من منطقة (قاع آل عوض) بريدة الجوهيين، وهو من قبائل سيبان القاطنة (كار سيبان) بمرتفعات دوعن بحضرموت، ومن خلال التدرج في الرتب العسكرية صار الضابط الجوهي القائد الأول لدوريات الجيش البدوي الحضرمي من خلال انتهاء مدة انتداب الدفعة الأولى من القادة الأردنيين ومن ضمنهم القائد عبدالهادي (خو حمدة)، وهو من قبيلة عتيبة، التي تعد من القبائل العريقة بالمملكة العربية السعودية.

غدير شقهم:

من خلال ذلك التواصل برقياً بالتنسيق العسكري من قبل دوريات جيش البادية بالصحراء مع قيادة الجيش بالمكلا، كان ذلك اللقاء عصر ذلك اليوم من شهر نوفمبر عام ١٩٥١م، في أثناء المحاصرة من قبل الدوريات الشرقية والغربية على أقصوام الغزوة وذلك على مورد الماء بحسي غدير شقهم بوادي مخية بعيوة الصيغر، ومن خلال تلك السيطرة ذات التكتيك العسكري استولت الدوريات من قوات حفظ السلام (الجيش البدوي الحضرمي) على الموقف العام وصار القوم تحت السيطرة العسكرية محاصرين من كل اتجاه، وفي تلك اللحظات الحاسمة تمت الترتيبات من قبل قائد الدورية في إعادة الفيد من الإبل المنهوبة لأهلها من مشقاصي وقبلي على حد سواء.

الأعداء أصدقاء:

من نتائج تلك التحركات العسكرية لجيش البادية ذاع الصيت عند القريب والبعيد فصار أعداء الأمس أصدقاء من خلال انخراط القبائل الحضرمية في صفوف الجيش البدوي الحضرمي، وكذا

بالمثل التحقت تلك القبائل الأخرى بخدمة ذلك الجيش، الذي أسس قوامه من أبناء البادية بحضرموت، ومن تلك الأراضي المجاورة لها، من خلال الالتحاق بذلك الجيش الحضرمي، ومنهم قبيلة يام والعتيبي والحجازي من رعايا السعودية، والقميشي والعظمي والسليمان من أرض الواحدي، وغيرهم تلك القبائل المهرية بن صمود، وبن سهال، وبن زعنوت، وبن قمصيت، وبن عاشور وغيرهم كثر، فصارت القائمة طويلة في صفوف الجندية بجيش البادية من خلال تلك الدفعات المتوالية في التجنيد لكل قبيلة من هذه القبائل والشرايح الاجتماعية حسب حصتها المقررة في التجنيد العسكري بموجب شروط الالتحاق وفقاً واستراتيجية الجيش في مجالات تطويره كماً وكيفاً على كافة الصعد نظراً لتوسع المهام العسكرية والأمنية والاجتماعية ومنها الإغاثة الغذائية والدوائية والتعليم بمدارس الجيش.

مكافحة الجراد:

أول السيارات التي قدمت إلى صحراء ثمود سيارة اللاندروفر في حملة مكافحة الجراد الصحراوي وهي السيارة الجيب التابعة لشركة (D. L. C)، وأما بالنسبة للعربات العسكرية ناقلة الجند فهي بالمثل أول السيارات التي قدمت إلى صحراء العبر في الأربعينيات وفي الخمسينيات (إلى الصحراء الشرقية ثمود)، وهي السيارات التابعة للجيش البدوي الحضرمي التي تركزت في المسارات الصحراوية ورمال الربع الخالي، وبطبيعة الأحوال المناخية استمرت حملات مكافحة الجراد الصحراوي عبر سيارات الجيب بحراسة عسكرية، وكان الخبراء من الإنجليز.

أما بالنسبة للمهام فهي في حد ذاتها متعددة الأغراض لأهمية اكتشاف أسرار الصحراء في ظل أسراب من دباء الجراد كثير الانتشار الذي يأكل الأخضر واليابس ورغم الرش بذلك المبيد إلا أنه يتم أكله من قبل قاطني هذه أو تلك الديرة من ديار حضرموت.

طريق الحجاج:

على الرغم من صعوبة الحصول على الوثائق في هذا المساق من تاريخ ثمود وصحاريها ورمالها من الربع الخالي إلا أن المؤرخين من أوربا بمن فيهم البريطانيون أصدروا كتباً ومذكرات عن حضرموت، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر الحاج عبدالله فيليبي وكتابه (بنات سبأ) الذي دوّن فيه رحلته البرية من نجران بالسعودية إلى العبر بحضرموت، عبر الصحراء ومنها إلى مدن الوادي القطن وسينون وتريم، والساحل المكلا والشحر، وتلك الرحلات بدأت خلال الثلاثينيات من القرن العشرين، وبناء على نتائج أعمال فيليبي تم افتتاح الطريق الصحراوي نجران/ العبر ومن خلال المرور بـ تلك الطريق (طريق الحجاج) أفاد ضباط من الجيش البدوي الحضرمي بأنهم شاهدوا جماعات من قبيلة الدواسر مالكي وسائقي السيارات الكبيرة (الشاحنات) في أثناء وقوفهم أمام نقطة الجمارك القيعية بمركز العبر في طريقهم ذهاباً وإياباً في مجال نقل البضائع والركاب عبر تلك الطريق التي اخترقت الصحراء الغربية في اتجاه جنوب الجزيرة من السعودية إلى حضرموت. وأما بالنسبة فيما كتب من قبل الأجانب بشأن حضرموت فإن ذلك يعود لأهمية التاريخية لحضرموت الساحل والوادي والصحراء ولهذا كتب المستشرقون في كتاباتهم التاريخية ومنهم رحالة وضباط سياسيون تكلّفوا بمهام في صحاري ورمال الربع الخالي وعرفوا عنها الكثير وكتبوا عنها وألقيت المحاضرات في هذا السياق بلندن ومنها تقارير استخباراتية.

أرض الرمال:

وكذا حال الرحالة البريطاني المسمى من قبل بدو الصحراء (مبارك بن لندن) الذي أصدر كتابه (الرمال العربية) فكانوا مرافقوه الرواشد من قبائل آل كثير منهم بن كينة وبن غبيشه في رحلاته من خلال العبور الأول والثاني للربع الخالي من عام ١٩٤٥م إلى عام ١٩٥٠م، وكذلك بالمثل رافق مبارك بن



33

العدد (9)
يوليو
سبتمبر
2018م

أعياد الغيث:

في ظل أيام عجاف من الزمان نتيجة لشح المطر وبعد العسر يتم الفرج برحمة من الله، فتَهطل الأمطار وتقام أعياد الغيث في أثناء هطول الأمطار في ظل الحذر واليقظة في حياة غير مستقرة شغلها الشاغل التنقل والانتقال من هنا إلى هناك بهدف الحفاظ على مواشيهم من الإبل والأغنام بغية تكاثر تناسلها الأصيل من أجل المعيشة.. فتسمع عن البدو الرحل بطبيعتهم الفطرية بأنهم شدوا على الخضيرة متنقلين في تلك المراعي النظيرة لوجود الماء والمرعى على مستوى الشريط الصحراوي من شرقه إلى غربه مخلفين وراءهم في ترحالهم المواعيد لطهي وجبات الغذاء وتجهيز القهوة تلك المواعيد المكونة من الأحجار المكوية بالنار كعلامات بارزة لمواقع تلك التجمعات البدوية في البادية.

الهوامش:

(١) وأيضاً تطلق التعاشير بطلاقات الرصاص فوق الرأس في مناسبات أخرى عديدة عند البدو منها بمناسبة قدوم المسافرين إلى مسقط الرأس، ومنها في مناسبة الولادة لسلامة الأم والمولود الرضيع.

(٢) تصدر من مدينة المكلا رئيس تحريرها الأستاذ أحمد عوض باوزير.. وهكذا كان التفاعل من قبل (الطليعة) في مسيرة تاريخها المجيد في أكثر الأمور الحياتية الشاغلة الهاجس الحضرمي ومنها الاستكشافات النفطية وهو عمل صحتفي وإعلامي تجلى الاهتمام به من قبل تلك الصحيفة الحضرية فيما نشرته في ستينيات القرن العشرين من تلك الحقبة الزمنية التي شهدتها صحراء حضرموت في مراحلها الأولى للتنقيب عن النفط.

(٣) ترجمها الأستاذ محمد سالم قطن وصدرت في صحيفة (الأيام) الصادرة من مدينة عدن، ومضمون تلك الحكايات.. ماض من تاريخ الغارات والصراعات المتبادلة بين قبائل المشقاص بمنطقة ثمود وقبائل القبلة.

مصادر ومراجع البحث:

- كتب من محطات تاريخية، لناصر المنهالي.
- حضرموت في كتب الأجانب.
- الصحف والمجلات منها.. صحيفة (الطليعة) (الأيام) و(مجلة العربي) الكويتية.
- مقابلات مع شخصيات عسكرية، ومدنية.

وصوله بأيام قليلة.. حصل ذلك في أواخر سبتمبر عام ١٩٥٥م.

حفار بلدوزر:

منذ تاريخ انسحاب ذلك الفريق الجيولوجي التابع لشركة أرامكو من تلك المواقع الصحراوية بثمود فقد خلف ذلك الفريق وراءه بعض المخلفات فمن الآليات والمعدات الثقيلة (حفار بترول) وبلدوزر (D. ٨) التي شوهدت حال وصولها حسب إفادة أحد ضباط دورية جيش البادية الحضرمي حينذاك التي تحركت بوجه السرعة من مركز ثمود إلى تلك الشقاق من الكثبان الرملية بناء على تلك المعلومات من قبل بدو تلك الجهة الواقعة شمال عيوه الصيغر السفلى فقد ظلت تلك الآليات تنشاهد من مسافة بعيدة كعالم بارزة تحكي قصص وحكايات عن نفط ثمود، ولأهمية الموقف تولت الحراسة على تلك الآليات الثقيلة قوة من الجيش البدوي الحضرمي مدة من الزمن.

الماء والكلا:

من أسباب التنقل والترحال في مسارات البدو الرحل تلك البروق فعندما يراها البدو من البعد يتخيلون مواقعها وذلك من خلال مشاهدتهم البرق تزامناً مع سماعهم الرعود (ترعد رعيد) من مسافة بعيدة، فتراهم يحددون أماكن وقوع هطول المطر بحكم تجربتهم الحياتية، فتسمع عنهم بأنهم شدوا على الخضيرة إن كانت مواقعها قريبة أو بعيدة فهم ينجعون إلى تلك المناطق المرحومة من رب العباد، شادين الرحال من صحارى ثمود عبر الرمال العربية، انطلاقاً من مثاويهم إلى بادية الجزيرة والخليج العربي، ومنها إلى بادية الشام، وأرض الرافدين، للمرعى هناك لمدة معينة من حقبة زمنية مضت شهدت الوصول إلى تلك البقاع البعيدة من أرض الشام متجاوزين بر العجم بل قاصدين بر العرب، ثم يتشوقون إلى صحراء ثمود وكل هذا من أجل الحصول على الماء والكلا مهما كانت المسافات طويلة والمراحل صعبة.

لندن عقيد قوم قبائل المناهيل البس بن دويلان المنهالي، وقد رافقته ورفاقه من الرحالة قبيلة الرواشد من بير حلية بصحراء ثمود إلى قرية فحمة بوادي حضرموت شرقاً..

وأيضاً إنجرامس الذي قام بأول مسح عن حضرموت، وكذلك هيو بوسيتيد كتب عن حضرموت.. علماً بأن الأول فيلبي والثاني ابن لندن هما رحالة، والثالث والرابع ضباط سياسيون بإدارة المستشارية البريطانية بالمكلا (RESIDENC) أي مستشارون بريطانيون، الأول المستر إنجرامس مستشار بريطاني مقيم ومعتد بمدينة المكلا منذ اتفاقية الاستشارة ما بين بريطانيا وحضرموت في عام ١٩٣٧م، والآخر الكولونيل هيو بوسيتيد.

وأما بالنسبة للميجر جيم اليس فقد عين في ديسمبر ١٩٥١م مساعداً عسكرياً للمستشار البريطاني المقيم حينذاك بمدينة المكلا (محمية عدن الشرقية) ومن ضمن الأعمال المنوطة به الاضطلاع بواجب صيانة القانون والنظام بتلك المناطق الصحراوية الواقعة شمال حضرموت والتي تعد جزءاً من الجغرافية العسكرية للجيش البدوي الحضرمي.. ومن خلال طبيعة أعمال (اليس) في الشريط الصحراوي أصدر مذكراته ومنها (حكايات من أرض الرمال) (٣).

خشم الجبل:

ويذكر الميجر اليس في كتابه (حكايات من أرض الرمال) قصة قدوم فريق حفر من شركة (أرامكو) (ARAMCO) إلى المخيم (A) بخشم الجبل، ومخيم (B) بوادي خضرة الذي يبعد عن مركز جيش البادية الحضرمي بثمود بخمسين ميلاً، وبعد لحظات من وصول ذلك الفريق أجري الاتصال بالراديو بين رئيس فريق أرامكو ورؤسائه في مقر الشركة، كما جرت محادثات بجهاز اللاسلكي بين قيادة الجيش بالمكلا وقيادة دورية ثمود وبعد أخذ ورد بين تلك الأطراف كان في آخر المطاف أن تم التفاهم والتجاوب على مغادرة فريق (أرامكو) من صحراء ثمود، فغادر ذلك الفريق بعد

البناء المعماري القديم في أرياف الشحر وأصالة الإنسان

العمارة الريفية القديمة في ضواحي الشحر كنبالة، والواسط، وزغفة، ومعين المساجدة، وغيرها من القرى لا تختلف عن بعضها البعض من حيث البناء المعماري، وربما أنها تختلف نوعاً ما عن مباني المدينة من حيث البناء، وهندسته، ومساحته، والمواد المستخدمة فيه، إلا في مواد بعضها؛ وذلك لما يترتب عليه الاستخدام الثانوي للمبنى غير المأوى وبالذات في الريف أريد أن أكثر المباني الريفية هي أصلاً من أملاك أهالي الشحر لا متلاكهم الكثير من الأراضي الزراعية في هذه القرى الريفية.

وتبالة، والواسط، والجرادف، والحيس، وشكلنزة، والحوة، ومعين المساجدة، كلها قرى تقع شمال الشحر، أما زغفة فغربها وهذه الأرياف من أعمال الشحر، ومرتبطة بها إدارياً، واجتماعياً، وتجاريًا من الأزمان البائدة إلى الأزمان السائدة، أي منذ تأسيس هذه البلدات وإلى اليوم، والشحر هي سوقهم التجاري، ومزودهم بما يريدون من ضرورات الحياة وكاليات أريد أن هذه الأرياف ملاذ أهالي الشحر في نزهاتهم، وعمل رحلاتهم الترفيهية، ومكان استرخائهم فقد أسسوا وبنوا فيها بيوتهم ومنتجعاتهم، وبنوا فيها المساجد بأسمائهم، ولهم فيها مزارع كثيرة، ومنهم من مات ودفن فيها، ومنهم من عمل لموتاهم أضرحة ما زالت تشهد على ذلك الارتباط الوثيق.

البناء ومواده بأسمائها المتداولة ريفياً:

أولاً: المساكن:

(١) الجدران:

ويكون سمك الجدار الخارجي لا يقل عن (أربعة وعشرين بوصة)، بينما الجدران الداخلية تقل عن ذلك السمك، وينقسم المبنى الريفي من حيث المواد المستخدمة في بناء الجدران إلى ثلاثة أنواع:

(أ) منها ما هو مبني من الطين المعمول على شكل مدر، وتخلط الطين ببعض الحشائش، وأشهرها (الرشدة) المعروفة عندهم بهذا الاسم، أو تخلط ببعض الأوراق اليابسة المتساقطة من بعض الأشجار الكبيرة كالحومر (التمر هندي)، أو العلب (شجرة الدوم) وغيرها، بعد تقطيعها إلى أجزاء صغيرة جداً بدءاً من التبل ومخلفات النباتات كالقمح

والإنسان الريفي في هذه البلدات متأصل الجذور إلى تربة بلاده، إليها ينتمي، وفيها يعيش، ومن خيراتها يأكل، ومن أعشابها يتعالج، وإليها يعود. أحب الريفي تربة الأرض وأحبته، وأعطاهما جهده فأعطته ثمارها ومنحته، فعاش فيها أباً عن جد، ونبت عوده وامتد، لا يؤثر فيه التطور المزعوم بأنه تطور، ولا يشتهي لذة مجلوبة باسم التحضر، فلذاته موهوبة فيما تنبت الأرض وتخضر.

عاش كريم الخلق والمنبت، بسيطاً، متواضعاً، فيه العشرة والدماثة تجلت، همه النشاط والعمل، ولا يعرف طريقاً للملل أو الكلال، جُبِل على التعاون، وحب الخير منذ صباه، وأحب لغيره ما يحبه لنفسه ويرضاه. وبهذا تخال الريفيين أسرة واحدة، فإن لم يروا ناراً في بيت أحدهم أيقنوا أنه بلا أكل فأعطوه، وإن سمعوا أنيئاً ذهبوا ليعودوه ويمرّضوه، وهكذا عاشوا متحابين في الله في أحسن حال.



أحمد عمر مسجدي

ولو قمنا بإحصاء شامل ودقيق لمآثر الشحريين في الأرياف لوجدنا نصيبهم من الموجود من المباني نصيب الأسد وأكثر، ومن المزارع ما زاد على ذلك بكثير وكثير بأسماء متعددة من القبائل، التي لها قدم وباع، ولها السيادة والريادة والمكانة المرموقة في الشحر. فلا تنظر في مبنى إلا ويقال لك لفلان الشحري، ولا تنظر في شجرة إلا ويقال لك نبتة من أشجار أرض علان الشحري، وهذا ما جعل الترابط أوثق بين الجميع.



المنقعة بالماء، وتضاف عليها اليابسة بعدها؛ وذلك لمنع تسرب ماء المطر عبر السقوف، وتسمى هذه العملية بالـ(الودف)، ويكون مستوى السطح انسيابياً نحو الخارج. وتوضع قطع صغيرة من جذع الميدع لتصريف مياه الأمطار، وتسمى (مراعيض)، ومفردتها مرعاض، وأحياناً يستخدم الصفيح. ثم تلي ذلك عملية (الجبو)، وهي ارتفاع الجدران قليلاً بعد السقف؛ لاحتجاز ماء المطر وخروجه من المراعيض فقط، كما تُغطى رؤوس الجدران بالجص أحياناً لحفظ الجدران من التآكل. والجص عبارة عن حرق أحجار الخرشع الصغيرة غير السمكية بعد أن تُبنى على شكل دائرة، وتسقف به أيضاً على شكل قبة صغيرة، ويكون مجوفاً من الداخل، وله باب لإدخال الحطب، ثم إشعاله لتحترق جميع الحجارة، وهذا ما يسمى بالـ(المحراق).

(٣) الأبواب

عادة ما تكون أبواب المباني الريفية القديمة من خشب العلب، وبالذات الباب الخارجي، المسمى بالـ(السدة)،

(٢) السقوف

تستخدم جذوع أشجار النخيل، وأشجار النارجيل (الميدع)، وأحياناً أعواد (شجرة الصر) للسقوف في جميع أنواع المباني الريفية القديمة المذكورة؛ فالجذوع الكبيرة الحجم تقطع إلى أربع أجزاء طولية، والمتوسطة إلى جزأين، والصغيرة والخفيفة تبقى كما هي عليه لخفة وزنها، ثم تُعقد بالطين، وتُغطى بأغصان أشجار الرّاك، أو بجريد النخيل، ثم يغطى بخوص الحصير، أو كما يسمى عندهم (النبخ)؛ وهي أشجار غالباً ما تنبت في مجاري السيول وبالتحديد عند أماكن احتجاز المياه لمدة طويلة. وقد تكون فائدة الرّاك والحصير أو النبخ هو منع وصول حشرة الأرض إلى الخشب، ثم تُغطى هذه الأشجار بمشغفولات الخوص اليدوية المستخدمة للفرش، وتسمى (مكل أو سلقات)، وتفرد المكل بالـ(المكيل)، بعدما تنتهي صلاحيتها، ولا داعي من فرشها؛ وذلك لحفظ الطين من التساقط على الأرض، ثم تفرش على مشغفولات الخوص القاصة الحمراء

الذي لا يزرع في هذه المناطق لحرارة المناخ. ويسمى هذا المخلوط بالـ(البغل)، وأحياناً يخلط الطين بترسبات الجوابي الكبيرة المستخدمة لحفظ الماء، وهذه الترسبات تعرف ريفياً بالـ(الحمة)؛ ليعطيها الصلابة والقوة، ويربط المدر عند البناء بالطين أيضاً.

(ب) ومنها ما يبنى بالأحجار التي تستخدم لصناعة الجص، الذي يسمى عندهم بالـ(الخرشع) نسبة إلى مكان تواجده الذي يسمى (خرشعة)، وتجمع على (خراشع)، وتوضع على الجدران حسب حجمها حين استخراجها، وتستخدم مع هذه الأحجار الطين العادية المخلوطة بالطين الحمراء المعروفة ريفياً بالـ(القاصة الحمراء)، أو تستخدم الطين العادية الصالحة للزراعة مفردة نظراً لكثرتها كون هذه المناطق تغطيها هذه الطين، ويسمى مكان الخلط (المقلب أو المخمر)، وتنقل في وعاء خاص بها يسمى (الرعى).

(ج) ومنها ما يبنى بأحجار (الخرشع) فقط، بما يسمى عندهم بالـ(الترييش)، وتجمع على (تراييش)، من غير الماء والطين، أو أية مواد أخرى، وتستحوذ هذه العملية فقط على المباني الصغيرة جداً، أو أحواش مباني النوعين السابقين.

وتكون صيانة الجدران عن طريق (المحضة) بالطين، وعادة ما تقوم به النساء لا الرجال. والمحضة هي عملية طلاء الجدران بالطين المبلل بالماء في داخل البيت وليس خارجه، والمقتدر من الناس من يطلي جدرانه الداخلية بالجص أو بالنورة. وعادة ما تكون هذه الصيانة سنوية في شهر شعبان؛ لاستقبال شهر رمضان المبارك.



مثلها مثل أبواب المباني المدنية في صناعتها. وهي عبارة عن عدد من القطع المسطحة طويلاً، وتتماسك بقطعة عرضية صغيرة، وتترزين بمسامير الرصعة، وتعمل لها زائدتان صغيرتان من الطرفين الأعلى والأسفل، وتثبت بلوحيين من الأعلى والأسفل، يسمى واحدها (زوفر)، ولكل منهما حفرة من الجانبين؛ لتقابل هاتين الزائدتين، ويوضع في كل حفرة قطعة من الجلد لمنع الاحتكاك، كما تكون هناك فتحتان علوية وسفلية في الفردة اليسرى على أغلب الأحيان إذا كان الباب من فرديتين؛ وذلك لتثبيت هذه الفردة باستمرار بالقالودتين السفلى والعلوي في هذه الفردة، ولا تفتح إلا عند الضرورة. ويكون قفل السدة من الداخل من الخشب أيضاً، ويسمى (قالودة أو قولدة)، وتحت غلق صغير له اتجاهان داخلي وخارجي، يسمى (لولب).

أما من الخارج يكون القفل مصنوعاً - بعناية فائقة من نجار محترف - على شكل مستطيل مجوف مثبت بالباب، وبداخله قطعة صغيرة بها ثقب يسقط بها أعواد صغيرة عند الإغلاق، وآخر يقاطعه ليشكل علامة الجمع (+)، وله مفتاحه ومغلاقه الخاص به، المسمى (قليد)، وهو عبارة عن قطعة خشبية صغيرة يتراوح طولها بين ست إلى ثمان بوصات تقريباً، ومثبتة به أعواد صغيرة وقوية بحجم عود الكبريت من أحد الأطراف، تسمى (حناديد)، ومفردتها (حنوددة)، وظيفتها سحب أو دفع القطعة داخل المستطيل المجوف السالف ذكره عند الفتح أو الإغلاق.

ويكون لبعض المباني باب آخر صغير من الجهة الخلفية، يسمى (مسلف)، وهو أقل صناعة وجودة من (السدة)، وعادة ما يغلق على الحوش، وله

قالودة من الداخل ولولب فقط.

والمباني الريفية تتكون في أغلبها من دور واحد إلا ما ندر أو انفرد في البناء، وتبنى لها من الخارج بجانب السدة دكة للراحة والسمر. وتكون المباني مترابطة بعضها ببعض بجدران يسمى واحدها (سترة الوداع)، وفيه تكون فتحة (العكرة)، للاتصال والتواصل الاجتماعي بين الجيران، ويبلغ متوسط عدد المباني المترابطة أحياناً ستة مبانٍ لأسر مختلفة.

توصيف المبنى الريفي السكني من الداخل:

دائماً ما تكون المباني الريفية حسب حاجة الريفي لها، وهي واسعة المساحة إذا ما قورنت بمباني المدينة، بحيث يكون المبنى للسكن الأسري، وللحيوانات المملوكة لهم، وللتخزين أيضاً، وللاستعمالات الأخرى، وتبنى مباشرة على الأرض من غير كرسي وميدة، ويسمونه (ساس)، بحكم صلابته الأرض، إلا المباني الطينية فيبنى لها الساس من الحجر والطين.

١- السقيفة:

وهي المدخل الرئيس للمبنى السكني داخل السدة مباشرة، وبمناوبة ممر مسقوف للمبنى - وهو مبين من اسمها -، ويختلف حجمها ومساحتها من مبنى إلى آخر؛ بحيث تكون مساحتها على شكل مربع أو مستطيل بمسافة طول خشب النخيل المستخدم كسقف لها بالنسبة للعرض، أما بالنسبة للطول فيكون بطول نصف الضيقة، أو أقل بقليل حسب المساحة العامة للمبنى، ويستخدم سقفها للسنع - سناتي على ذكره عند الحديث عن الضيقة -، ولكل مبنى سقيفة واحدة، وأحياناً يكون المبنى من غير سقيفة.

٢- الحيوة:

وهي فناء واسع، يأتي بعد السقيفة مباشرة، أو بعد مدخل الباب (السدة)، ومن ميزاتها أنها تكون من غير سقف، وتستخدم للجلوسات الليلية أو النوم أيام الصيف والخريف، وفيها تكون المسامر واللقاءات والاجتماعات الأسرية في الليل نظراً لانشغالهم بالنهار، ويكثر استخدامها الليلي في شهر رمضان المبارك من تناول وجبة الإفطار إلى ما بعد السحور.

ولكونها غير مسقوفة فإنها تتعرض للأمطار لا محالة، ولهذا تكون أرضيتها بشكل انسيابي إلى أحد الجدران الخارجية؛ حيث يقوم البناء بعمل مجرى لمياه الأمطار مساوٍ لسطح أرضية الحيوة المنساب يسمى (بالسر)، وهو عبارة عن ثقب في الجدار الخارجي، لا يتجاوز قطره عن (ثلاث إلى أربع بوصات)، ويغلق عادة بقطعة من القماش طيلة أيام السنة، ولا ينزع إلا في أثناء المطر. وفي حالة أن المبنى مشارك الجدران مع الآخرين فيكون مرور الماء في السقيفة، ويكون السر تحت الباب الرئيس (السدة).

٣- المردم:

وهو عبارة عن ارتفاع بسيط للأرضية الفاصلة بين الحيوة وباب مدخل الضيقة لمنع دخول ماء المطر إلى الضيقة، وقد سمي المردم بهذا الاسم نتيجة لردمه بالحجارة الصغيرة والطين، ويكون بمقدار عرض الباب، وارتفاعه لا يزيد عن (اثني عشر بوصة)؛ ليسهل العبور عليه.

٤- الضيق:

ومفردتها (ضيقة) - بياء لينه - وهي عبارة عن الجزء الأساسي للمبنى الذي يكن الأسر، وتكون على شكل مستطيل، تختلف أطواله من مبنى إلى آخر حسب الاقتدار، ويتراوح طولها بين



37

العدد (9)
يوليو
سبتمبر
2018م

المواد، ووضع الثياب، وله باب سميك نوعاً ما، ويقفل بقالودة من الخارج وفيه:

– المودني: وهو عبارة عن حوض مبني داخل المخزن، ومطل بالبحر، يستخدم لحفظ التمور بعد تنقيتها، وله ثقب صغير من الأسفل مواز للأرض (سرا)؛ وذلك لخروج (رب) التمر إلى الخارج.

– المغسي: وهو عبارة عن اثنين من أعواد الممتري، أو الساج، أو خشب النخيل، ممتدة من الجدار إلى الجدار، ويوضع فيه الفرش وغيرها.

هذا وتفرش الضيق بالمكل أو السلق، وهي مشغولات يدوية من خوص النخيل أو العزف، والميسور الحال يفرشها بالحصير المصنوع في الخارج.

ط- المطبخ: ويكون مطبخ المبنى الريفي كبيراً إذا ما قورن بالمطبخ المدني، وفي جميع الأحوال يكون مسقوفاً مثل السقف نفسه للمبنى، ويوجد بداخله:

– دكة المراهة: وهي لا غنى عنها في الريف؛ حيث توضع عليها المراهة لطحن الحبوب يومياً للوجبات الغذائية. والمراهة عبارة عن حجرة كبيرة مقوَّسة تطحن عليها المرأة الحبوب، وبالذات حبوب الذرة والمسيبلي بحجرة طويلة أسطوانية الشكل، تصغر عند طرفيها، تسمى (العالِي)، وعملية الطحين على المراهة تقوم بها النساء، وتمر بعدة مراحل - سنذكرها عند الحديث عن الأعمال النسوية - قبل نقلها إلى التناز.

– الموقد: وهو عبارة عن ثلاث حجرات متساوية الحجم، توضع على الأرض بشكل مثلث، ويمحض غلافها بالطين من الخارج، وتستخدم لطهي الأكل. ويكون لبعض المباني ذات الأسر الكبيرة أكثر من موقد في المطبخ.

– المصنّاع: ويبنى داخل المطبخ على

وأعراضها (خمس عشرة بوصة)، وهي تستخدم لوضع الأشياء بداخلها ومنها السراج.

د – الرقعة أو التود: وهي عبارة عن عود من سعف النخيل، يتراوح طوله (خمس بوصات)، ويتميز بالقوة والصلابة، ويدق على الجدران لوضع الثياب عليه، أو أي شيء آخر يقوم الفرد بتعليقه.

هـ – السنج: وهو عبارة عن حبال من العطير تمتد في السقوف بعد ربطها في بعض الأخشاب، بحيث تربط بعد كل ست أو سبع خشبات في خشبة واحدة على طول الضيقة أو السقيفة، ويكون بين الحبل والحبل مسافة (عشر بوصات) تقريباً، أو أقل من ذلك حسب ما تقتضيه الضرورة؛ وذلك لتعليق التبغ المجفف بعد استخراجها من (العَرش) الخاصة به، ويظل في السنج مدة لا بأس بها، ثم يوضع في المخازن ريثما يأتي المشتري، أو ينقل إلى البائكة للتصنيع - سنأتي على التفصيل عند الحديث عن البائكة -.

و – الكُلاب: وهو حبل مربوط بإحدى الأخشاب من طرف الضيقة العلوي مدلى إلى أسفل، وفي طرفه مربوط الكُلاب، ويكون على ارتفاع قامة الإنسان، وفيه يعلق المدلاح (وهو وعاء من مشغولات الخوص اليدوية)، الذي يوضع بداخله ما تبقى من خبز الفطور مثلاً، أو البطاطا الحلوة المغمية (المدهورة)، وفي الأعياد لحفظ اللحم المخلل والمملح بعدما يعصب في عود من نخلة الشوغلي، التي تتميز بحجم أشواكها الكبيرة.

ز – العطفة: وهي مقتطع من الضيقة من مدخلها الأمامي، وفيها يجلس كبير السن والمريض لدفنها، وفيها يكون المخزن.

ح – المخزن: ويكون داخل عطفة الضيقة، ويستخدم كمستودع لخزن

(ستة إلى عشرة أمتار) في أقصى تقدير، وغالباً ما يكون اتجاهها بحرياً نجدياً لاستجلاب الهواء. ولكل ضيقة فتحتان كبيرتان، ويقال لكل منهما (فقر الضيقة)، والمقتدر من يعمل لكل فقر باباً، وقد يُكتفى بالباب الأمامي لفقر الضيقة، وعادة ما توضع قربة الماء على رقعة - سنأتي للحديث عنها - في جانب الفقر لتبريد ما فيها من ماء. ويكون في الضيقة بعض الأجزاء الثانوية للمبنى نذكر منها:

أ – الرقّاد: وهو الجزء المقتطع من الضيقة، الذي يؤدي إلى سطح المبنى (الريم)، وعادة ما يكون في طرفها الخلفي، ويسقف أحياناً ارتفاعه الأول - أو بتعبير البنائين (الزرقعة الأولى) - ويسمى الجزء المسقوف منه (الرويقة)، أو (الدهروس)، أو (الدرس)، ومنهم من يطلق عليها (تيحجة). وتطلق هذه المسميات على هذا المكان إن كان خالياً ولا يستغل للخزن، ولكن إن استخدم لوضع أدوات الزراعة أو غيرها فيقال له (مكان الوضع).

ب – المناور: وهي عبارة عن فتحات علوية في الجدار من جهة الخارج للضيق في المباني المتطرفة وغير المتوسطة، وتكاد تكون مربعة في الغالب بصلع (اثنتي عشرة بوصة) تقريباً، أو تزيد قليلاً، وقد اختصت مهامها للضوء والتهوية فقط، ولا مهام لها أخرى، ولا يزيد عددها عن ثلاثة مناور للضيقة الواحدة.

ج – الخلفة: وجمعها (خلاف وخلف)، وهي على شكل حفريات مستطيلة في جدران الضيقة، ويتفنن الباني في تشكيلها، منهم من يجعل ضلعها الأفقي مقوساً، ومنهم من يجعله مثلثاً، ومنهم من يبرز أضلاعها قليلاً نحو الخارج، وفي العموم لا تتجاوز أطوالها (عشرين بوصة) تقريباً،



شكل المخزن، ولكنه بحجم صغير جداً لا يتعدى حجم الطاولة المكتبية، ويسقف بألواح صغيرة، وتكون له فتحة واحدة فقط، وعادة ما يُبنى المصنّاع في إحدى الزوايا، وتسمى الزاوية عندهم بالـ (ضُبْرَة)، ويستخدم لتخزين الحواجات، والزيت، والحاجات الأخرى. - الرقعة (الوتد)، سبق وقد تحدثنا عنها في مكونات الضيقة، ولكنها في المطبخ يختلف استخدامها فقط، من حيث إنها لا يعلق عليها إلا أدوات الأكل من (تفلة، ومسارف، وققف... إلخ)، وهذه من المشغولات اليدوية الخوصية للنساء، وسنعرف عنها الكثير إذا ما تحدثنا عن أعمال النسوة.

- أدوات الشرب: وأهمها ترتيباً حسب سعتها: الكالية، والزير، والجحلة، والكوز، وكلها من الأعمال الخزفية، والمقتدر من يملك هذه الأدوات جميعها، بيد أن الزير والجحلة للجمع.

ي- الحمام التقليدي: ويسمى (زولي)، وهو لا يختلف من حيث الهيكل والاستخدام عن الحمام الحديث، بيد أن الاختلاف في المراحيض، واستخدام الماء، وما أضيف من أدوات متطورة. فالحمام التقليدي يُبنى من دورين مسقوفين بخشب النخل، ولمكان الاستعمال فتحة مستطيلة لا تتعدى أطوالها عن (أثني عشر بوصة في ست بوصات) تسمى (خمبارة) بقلب النون ميماً قبل الباء، ويجلس المرء على دكتين صغيرتين على امتداد هذه الفتحة المستطيلة، التي لا يتجاوز ارتفاعها عن (ست بوصات). ويكون الدور السفلي للبراز الذي يستخدم كسماد (دمان) للزراعة بعد التجفيف والتصفية، وفصل الأحجار الصغيرة منه، التي يسمونها (نجو)، ويطلق على هذا السماد زراعياً في الريف مصطلح (العنزة)، ثم إضافة الرماد، أو روث الأغنام عليه

قبل استخدامه كسماد للزراع. ومن المفيد أن تعلم أن سطح المكان المستخدم في الحمام التقليدي عادة ما يكون مجهزاً بالجص؛ لمنعه من الحفريات عند استخدام الماء؛ لطرد البول إلى الخارج من فتحة المرعاض. ك- الدرع: ويعني الحوش، ويقع في الجهة الخلفية للمبنى وفيه:

- التتار، أو التنور المستخدم لطهي الأكل وبالذات الخبز والسمك، وتختلف أحجامه باختلاف عدد أفراد الأسرة، وهو من الأعمال الخزفية، ولإشغال النار فيه لا بد من وجود الحطب الخفيف كحطب الراك والخنور وغيرها، إضافة إلى سعف النخيل اليابسة، وهي عندهم لها ثلاثة أقسام: الطرف الغليظ يسمى (الكرب)، والأصغر منه - أي العود - ويسمى (الجزم)، والباقي يسمى (خوص)، والسعفة بكاملها إذا كانت يابسة تسمى (قُصم)، وتجمع على (قصام)، وتسمى عملية الطهي في التتار (دهير)، أو (دهرة)، وهي من الأعمال الخاصة بالنساء.

- الرحى: وهي عبارة عن حجرتين دائريتي الشكل بـ (قطر اثنتي عشرة بوصة) تقريباً، توضعان فوق بعض، مثبت في الحجرة السفلى مسمار غليظ متجه نحو الأعلى، وفي الأخرى فتحة دائرية صغيرة تركب على المسمار، وأحياناً يكون لها قطعة حديد مثقوبة لمنع تآكل الحجرة العليا، وفيها تضع المرأة الحبوب للطحن، كما تُثبت في الحجرة العليا قطعة من الخشب تسمى (العالي) لتمسك به المرأة ويساعدها على دوران الرحى، وعادة ما تستخدم الرحى في طحن حبوب الحنطة (الدخن). - العريش: أو الزريبة، وفيها توضع الأغنام، وتكون في إحدى زوايا الدرع، وهو معمول من أخشاب النخيل كركائز، وسعفها للسقف.

وعلى الجانب الآخر يرمن الحمار في ثقب في الأرض، يسمى (خِيَّة)، إذا كانت الأرض جبلية، أو يثبت في الأرض قطعة من حديد، وتوضع بجانبه أدواته من (بردعة، وشوار، ولجام، وغيرها)، ووسط الدرع يستخدم لعرض التمور لأشعة الشمس؛ لتجفيفها على سعف النخيل، وتسمى (السرفة).

- الفاضلة: وهي المكان المسقوف بجذوع النخيل في جزء من الدرع؛ لغرض تنقية التمور، وتصفيتها من الشوائب بعد تجفيفها في السرفة؛ ليتم نقلها إلى المودي في المخزن، وأحياناً يكون في الفاضلة مخزن صغير؛ لحفظ الأغراض، أو الخل بعد تعبئته في أوعية مصنوعة من خزف، تسمى (مرطبات)، وواحدة (مرطبان).

- البئر: ويكون لأكثر المباني بئر خاصة به للغسل والوضوء، وتحفر على الحافة الخارجية لأحد الجدران، وتسور من الخارج بمواد البناء بنفسها للجدران، ويركب عليها الدلو (الغرب)، والرافعة (العجلة) المصنوعة من الخشب، إضافة إلى الحبل المصنوع من شجرة السلب، أو ليف النخيل، ويسمى (السره)، وتجمع على (سرين).

ثانياً: مباني الاستخدامات الأخرى وتوصيفاتها:

(١) المساجد:

والمواد المستخدمة في بناء جدران المساجد هي المواد المستخدمة في المباني السكنية نفسها من طين بنوعها وحجارة، بيد أنها تجصص من الداخل والخارج. أما السقوف فقديهما على شكل عكوف، تعتمد على قوائم عريضة، تسمى (سوارى)، وتنتهي بقباب، وما تلاها مباشرة من استحداث مسقوف بخشب الميدع لطوله، كما تعدد من سارية إلى أخرى ثلاث



٥ - الحمام:

وهي التسمية المتداولة للجزء المسقوف من المسجد، وفيه تؤدي الصلوات لكونه الجزء الرئيس في المسجد، وله بابان أحدهما كبير باتجاه الضاحي لدخول المصلين، والآخر صغير بجانب المحراب، يسمى (باب السلام)، ويدخل منه خطيب الجمعة. وفي الحمام يكون المحراب (القبلة)، وهو عبارة عن بناء محدب الشكل، يتجه تجويفه نحو الخارج في منتصف الجدار، ويتسع للإمام فقط، وبجانبه المنبر المبنى أو المصنوع من الخشب، وتكون للحمام مناوئ تساعد على التهوية والضوء.

٦ - المآذن:

ويسمونها (منارات)، ومفردتها منارة، وهي مبنى طويل أسطوانى الشكل مزين آخره العلوي بفتحات، أو عكوف صغيرة لتشكل السقف، وتتجه المنارة إلى عنان السماء، وتكون أكثر ارتفاعاً من المسجد نفسه، ويؤدي فيها الأذان للصلوات الخمس. والمآذن الرفيعة الأقدم منها عبارة عن درج يصعد في آخره المؤذن، وما تلتها من منارات قديمة هي ليست بذاك الارتفاع الذي نشهده اليوم في مآذن مساجدها الحديثة، التي تكثر فيها مكبرات الصوت نظراً لطلوع المؤذن إلى المستوى الأخير للمنارة ليؤذن لكل صلاة.

(٢) توصيف الحصون والقلاع:

والحصون والقلاع تكون مبنية بالمواد الخام نفسها، التي بنيت بها المساكن والمساجد، إلا أن الحصن والقلعة يتكونان من أكثر من دور، وعادة ما يبنيان على هضبة مرتفعة، وهما مخصصان للتحصين، وتسيير الأمور، والدفاع عن القرية، وقد كان للريف نصيبه من الحصون والقلاع، ففي قرية تبالة يوجد الحصن الذي ما زال

الأربعة - أشكال صغيرة كرمز للمسجد يميزه عن المسكن، وتكون له عدة أجزاء أهمها بالترتيب حسب الدخول:

١ - الباب العام:

وهو مدخل المسجد الرئيس - القديم منها على سطح الأرض -، وما تلاها يكون على دكة كبيرة، ويكون مُحسّن الصناعة عنه في المساكن، وفيه بعض النقش والتزيين، ويكون كبير الحجم.

٢ - بركة الماء:

وأول ما يستقبل المصلي بعد الباب الرئيس بركة الماء: لغسل الرجلين مما علق بها قبل الولوج إلى ساحة الحمامات، والبركة هي حوض للماء مربع الشكل مفتوح، وعمقها بقدر ما تغطي القدمين وجزءاً من الساقين إلى ما دون الركبتين.

٣ - أماكن الوضوء:

وتسمى عندهم (مقالد)، وهي عبارة عن برك مائية صغيرة، غير مسقوفة، ومغلقة بأبواب، ينقسم المقلد إلى قسمين متساويين في المساحة تقريباً: الأول كحوض للماء، والآخر مساو لسطح الماء؛ لكي يتسنى الوقوف عليه لخلع الثياب استعداداً للغسل، ويسمى (الراحة)، ويكون في أعلى الحوض رف؛ لوضع الثياب في أثناء الطهور أو الاغتسال، ويعد سقفاً صغيراً لحوض الماء. ودائماً ما يجدد فيها الماء باستمرار، ويسمى (تنشيطاً)، إن لم يكن الماء جارياً فيها على الدوام.

٤ - المصحن:

ويسمونه (الضاحي)، وهو فناء متسع غير مسقوف، يكون أكبر مساحة من الجزء المسقوف في المسجد (الحمام)، ويؤدي فيه المصلون الصلوات أيام الصيف والخريف ما عدا صلاة الجمعة والظهر والعصر فيؤدون فيها في الداخل نظراً لحرارة الشمس.

خشبات تقريباً من أقوى أخشاب السقف، وتعصب بحبل؛ لكي يوضع طرف السقفوف عليها، وتسمى (قواسم)، ومفردتها (قاسم).

والمساجد القديمة في الأرياف صغيرة وليست متسعة كما هي عليه اليوم، وتتكون من شقة أو شقتين لمواكبة عدد السكان، إضافة إلى الأجزاء الأخرى.

توصيف المسجد:

عادة ما يتكون الأقدم من هذه المساجد من غرفة واحدة فقط مسقوفة بالعكوف، وعليها قباب صغيرة، ويكون مكان الوضوء خارج المسجد - أي قرب البئر الخاصة بالمسجد -، وتكون حافة البئر مرتفعة عن سطح الأرض، وتركب في أعلى حافة البئر قطع من الخشب، تسمى (تشروع)، وتثبت عليها العجلة، التي تسمى (البكرة)، ولها مقود يساعد العامل على الذهاب والإياب من وإلى حافة البئر لشد السره في أثناء طلوع الماء في الدلو، وتسمى (نزاحة)، ثم ارخائها عند نزول الدلو إلى قاع البئر، وتسمى هذه العملية التقليدية بـ (السناءة)، كما يجدر بنا القول إن الدلو في أثناء السناءة يكون مثبتاً بعود يسمى (اللغة)، والعود مثبت به جبل طويل يحمله العامل بحيث إذا طلع الدلو مملوءاً بالماء يجر الحبل المثبت فيه لينسكب الماء في الحوض الخاص به، علماً بأن هذا الحوض متصل به ساقية (عتم)، يجري فيها الماء إلى مكان الوضوء (المقلد). وبجانب المقالد مكان الأذان، الذي يصعد إليه المؤذن على درج مكون من بضع درجات، ولا يكون للمسجد القديم منارة.

وما تلاها من مساجد يكون شكل البناء العام لها مستطيلاً، وتكون مسقوفة بجذوع الميادع، ويبنى على جوانب جدران سطوحها العلوية - أي أركانها



قائماً إلى هذه اللحظة، ويسمى (حصن القعيطي) - كما هو مخطوط على بابه الرئيس - وتوجد بها القلعة التي بقيت آثارها إلى اليوم، وتسمى (قلعة ابن الشيخ علي)، بينما في قرية معين المساجدة تهدم حصنها المسمى (القل)، وبقي منها بقايا من حصنين اثنين، يعتقد أنهما لآل بريك بسبب التسمية المتداولة، أما في قرية الحبس ما زالت بقايا الحصن موجودة فيها.

(٤) توصيف الأكوات:

وواحد (كوت)، وكلها مبنية من الطين الحمراء على شكل مدور فوق التلال المحيطة بالقرى، وبعضها الآخر مبني على سطح الأرض المستوية، ويقال لها (نُوب)، وتكون الأكوات على دورين، ورقادها عبارة أعواد بعضها فوق بعض في إحدى الزوايا لتنتهي بفتحة لمرور الإنسان منها إلى الدور العلوي. ويقال إن فيها فتحات صغيرة ترى منها الكوت الآخر. وتستخدم الأكوات كنقاط مراقبة للحراسة، وللأسكن أيضاً، وهي كثيرة العدد، ففي قرية معين المساجدة ومحيطها يوجد فيها ما يقارب من عشرة أكوات، ناهيك عن أكوات تباله والضارب باتجاه الشحر، التي تقارب هي الأخرى العشرة أكوات، وكلها ما زالت آثارها موجودة، وكلها تتشابه في شكلها، وفي موادها المستخدمة في البناء، وبالذات الطين الحمراء (القاصة)، وللفائدة أن تعرف أن الكوت أصغر من الحصن والقلعة مساحة.

(٥) توصيف المراتب:

ومفرد (مرتبة)، هي عبارة عن غرف صغيرة مبنية على المرتفعات من الحجر الصغير فقط والمترايط بعضه ببعض، ويبني جافاً من غير ماء، أو خلط بطين أو جص، ويسمى هذا

النوع من البناء محلياً بـ (الترييش)، وهي تستخدم لغرض شراحة الأرض المزروعة من الحيوانات والناس أيضاً.

(٦) توصيف السقايات:

وتُبنى من الحجر والجص على سطح الأرض المستوية، وتسقف بعكف، ويكون مكان الماء مهوى بفتحات من الاتجاهات الأربعة، وتشبه في بنائها الجزء العلوي لمنازة المسجدة، وارتفاعها في الغالب لا يزيد عن المترين، وهي كثيرة الانتشار في الأرياف، وعلى الطرقات السالكة.

(٧) توصيف العكوف الأرضية:

والبعض يسميها (المعشة)، وهي مبنية من الأحجار والجص على سطح الأرض، وفي مجرى السيول الصغيرة، يكون بأسفلها فتحات كبيرة لمرور السيل، ومن فوقها ساقية (عتم) بحسب عرض العكف؛ لري الزرع من المياه الطبيعية المتدفقة من العيون، وهي ما تشتهر بها الأرياف، وفوقها ينتقل المشاة من جهة إلى الأخرى المقابلة قاطعاً مجرى السيل.

(٨) توصيف البوانك:

ومفرد (بائكة)، وهي مبنية من الطين (المدر)، وأحياناً تُبنى بالطين مع الحجر، وتكون من دور واحد فقط، ولكنها تتميز عن المبانى الأخرى بارتفاعها العالي، وهي متسعة المساحة، ولها باب واحد كبير يسمى (السدة)، وتقوم السقوف على قوائم طويلة تسمى (السوارى)، ومفرد (سارية)، وليس بها عكوف، وإنما تسقف بأخشاب الميدع، وتُمدد على رأس السارية إلى الأخرى ثلاث من أقوى الأخشاب؛ حيث تُعصب بحبل؛ لوضع أحد أطراف أخشاب السقف عليها، وتسمى (قواسم)، ومفرد (قاسم)، وتتهوى البائكة بالمناور القليلة.

وتستخدم البائكة كمستودع خزن، وورشة لأعمال التبغ (التبناك) من فرز، وتنسيق، وتحديد جودته، ودرجاته، ويسمونه (تصنيع)، ولا يوجد مبنى البائكة إلا في القرى أو المدن التي تشتهر بزراعة وإنتاج التبغ في حضرموت، مثل مدينة غيل باوزير، ومعين المساجدة من أرياف الشحر.

(٩) توصيف الجوابي:

ومفرد (جابية)، وهي عبارة عن حفر كبيرة تحفر في الأرض وتبنى جوانبها من الحجارة والجص، وترتفع قليلاً عن سطح الأرض، كما يجصص قاعها بدقة وإتقان لمنع تسرب المياه، ووظيفتها حفظ مياه الري؛ كون الماء المتدفق إليها عن طريق الأفلاج (المعايين) ينبع من العيون باستمرار ليل نهار، وهي كثيرة ومنتشرة في كل الأرياف الشحرية.

وكل واحدة منها تقريباً على مساحة مربعة إجمالية (٤٤ متر مربعاً)، أو تزيد وربما تنقص عن ذلك، ولكن هذا الرقم يكاد يكون متوسط مساحة الواحدة، والكثير من الجوابي ما زال قائماً، ومنها ما اندثر وما زال آثارها باقية إلى اليوم.

(١٠) توصيف القباب والأضرحة:

والقباب التي نقصدها ما بُني كأضرحة للموتى، وهي مبنية من غرفة واحدة من المدر المجصص، أو من الحجارة والجص، وكلها تجصص من الداخل والخارج، ويكون لها أشكال في أركانها العلوية كالأشكال التي تُبنى على المساجد، ولها باب صغير، وأحياناً مناور من الأعلى، وبدخلها يرتفع بناء القبر نوعاً ما عن الأرض بالحجارة والجص، وهي خاصة وليست لجميع قبور الأموات، ولبعض هذه الأضرحة زيارات موسمية.



سطور عن (عناقيد العنب الأسود) في حضرموت



المعلمون السودانيون عناقيد العنب الأسود كما وصفهم الشاعر العربي الكبير نزار قباني يستحقون منا أن نكتب عنهم كشخصيات أسهمت بقسط وافر في صنع الجيل الحاضر من الصاعد، وأن نخلد أسماءهم في سجل بناة ذلك الجيل إلى جانب إخوانهم من المعلمين الحضارم.

إنني أرى أنهم أكبر من أن أكتب عنهم هذه السطور، فتعريفهم بهم هنا سيكون مجرد لقطات تحكي جزءاً محدوداً من عطاءاتهم التربوية، والتعليمية، والرياضية، رغماً من أن تلك الأيام مرت من غير أن نسجل شيئاً عنهم، كما أن الذاكرة قد انمحى منها الكثير مع تعاقب الأيام.

لقد كان لعطاءهم التعليمي والرياضي آفاق رحبة، أوجدوا لها مجالاً للانطلاق في كل مدن وقرى وبلدات حضرموت، التي وصلوا إليها وأقاموا بها، وما ابتغوا من ذلك غير التعليم، والنهوض بالأجيال سبيلاً.

إنهم عاشوا في مجتمع حضرمي كانت حياته كلها شظفاً وشقاءً وعناءً، لكنه كان رمزاً للأمان والطمأنينة والساحة لكل من يفد إليه... فهو بطبيعته مجتمع متضامن متكافل... بسيط خير.

بعدهم، وعندما يطلبون شيئاً يطلبونه بغير تعجيز، وعندما يكون هناك تقصير فلا يتذمرون أو يعاندون. لقد انصهروا في المجتمع الحضرمي من أول قدومهم إليه وكأنهم ولدوا فيه؛ لأنهم يتمتعون بدرجة كبيرة من التسامح، والتواضع، والأخلاق الفاضلة، ووجدوا في كل أنحاء حضرموت بيئة مدرسية، توافرت فيها الثوابت المشتركة بين المجتمع السوداني والمجتمع الحضرمي، وهي: اللغة، والدين، وبعض العادات والتقاليد، فأظهروا، ومارسوا فيها ما لديهم من

لقد فرض السودانيون بأخلاقهم وتواضعهم وحسن سيرتهم وجودهم على الساحة التعليمية والرياضية الحضرمية ساحلاً ووادياً، ولهذا ما استطاع مرور السنين الطويلة أن يمحو أسماءهم وذكرياتهم، كما امتلكوا وبجدارة ناصية القدرة التعليمية، والعطاء التعليمي المبههر، الذي ظل يشع حتى اليوم.

إن سلوكهم كما شاهدته وعاشته كله سـمـو: فهم يؤدون يومهم الدراسي وهم راضون، بعكس البعثات التعليمية العربية التي جاءت من



محمد علي باحميد



الأستاذ محمد طه الدقيل مدرب النادي الأهلي الرياضي

إبداعات مختلفة وطاقات متميزة، كما توافرت لهم كل عناصر العملية التعليمية: من طلبة مجدين مثابرين، ومادة علمية، ومناهج مكثفة، وطرق تدريس لديهم، سهلت المعرفة، والاستيعاب عند الطلاب، وإدارة شاملة مستوعبة لدورها، ونشاطات متنوعة أداروها، وأشرفوا عليها فجرت طاقات الطلاب ومواهبهم الكامنة لديهم. بعكس ما آل إليه مستوى التعليم اليوم ونعيشه، فنحن في شكوى دائمة يعلنها الكل، وفي مقدمتهم الطلاب أنفسهم، وأولياء الأمور على السواء.

لقد تسلاح ذلك الجيل بالعلم والمعرفة في وقت كانت لا توجد فيه وسائل إعلام مرئية، وإنما كانت توجد وسائل سمعية ومقروءة وفي نطاق ضيق جداً، بل كان الطلاب آنذاك مقتصرين في غالبهم على قراءة كتبهم المدرسية فقط.

أما جيل اليوم فنراه يتسلح بالخنجر والآلي بدلاً من الكتب والتراجم.. ويتشبع بدلاً من الآداب والخلق، بالقيم القبلية البائدة، وبدلاً من أن يحترم النشاط والعمل وقيمة الوقت، نجده يضع الوقت بين القات والدخان والفضائيات الماحقة له.

صحيح كان المعلمون السودانيون معلقين بتدخين السجائر إلا أنها كانت بالنسبة لطلاب ذلك الوقت شيئاً غريباً، بل كانت شيئاً محرماً، لكن بعض الطلاب، وهم قليل جداً يتعاطون السجائر خفية ومن وراء جدر؛ لأن المدخن في تلك الأيام يكون ناقصاً في أعين الناس، ومنبوذاً منهم، وخالياً من الأدب، ومتمرداً في نظر أهله.

عندما نكون في حصصنا الدراسية فإننا لا نستطيع أمامهم أن نستخرج أيأ من أفانين العبث والشقاوة بالرغم من أنه يوجد بالصف طلبة مكررة مهرة يملكون قدرة فائقة في الحيلة

القائم على الصدق والنزاهة والأمانة هو الذي يعد المتعلم الإعداد المطلوب والمرجوة له في مستقبل حياته.

جاء المعلمون السودانيون إلى حضرموت شباباً في مقتبل العمر.. يتميزون بصفاء الذهن والحيوية والنشاط، فكانت سنوات اغترابهم في حضرموت مرحلة مثمرة، ليست في مجال التعليم فحسب، وإنما كانت لهم قدرات شتى في مجال الرياضة، سواء كانت المدرسية أو الأهلية.

ففي المدارس تم تشكييل الفرق الرياضية، وتم تسميتها بأسماء رومانية: كالشاطي، والينبوع، والبحيرة، وبعضها بأسماء بعض الأعلام الأبطال: كخالد، وطارق، والوليد، وكان ذلك في ظروف مجتمعية، غير مستوعبة لمثل ذلك النشاط.

إن تشكييل تلك الفرق (المنازل) بالمدارس المتوسطة والثانوية كان هدفها تدريب الطلاب على ممارسة النشاطات الرياضية وإدارتها في مختلف الألعاب، حتى إذا ما تخرجوا سهل

والمشاغبة، إلا أنهم يجدون أنفسهم أمام أساتذة شداد غلاظ، يركز أسلوب تعليمهم على الشدة والترهيب والعقاب بدلاً من الترغيب والثواب. وعندما التحقت بسلك التدريس اقتبست منهم الشيء الكثير من طرق التدريس، وكذلك غلظتهم تلك مع الطلاب.

أما مسألة الغش في الامتحانات في أيامهم فهو يحط من قدر وقيمة الطالب، ولذا يتجنب معظم الطلاب الخوض فيه، ويركزون على استذكار دروسهم بدلاً من التفرغ لإعداد أوراق الغش، وإضاعة الوقت الطويل فيها.

لقد كان في عهدهم لا تسامح مع الغش، بل عدم تسهيله وتيسيره، بل كان بعض الطلاب يومها يبلغون عن زملائهم الذين يغشون، فتنزل عليهم العقوبات، وغالباً ما تكون قاسية.

إن استنكار معظم الطلاب لمحاولات الغش في الامتحانات كانت رادعاً لأولئك الغشاشين من أن يستمروا في محاولة الغش المقبحة. إن التعليم



مدرسة دار المعلمين بغيل باوزير



إقامته بالمكلا أن ينبش ما استطاع نبشه عن تاريخ والده من أرشيف الدولة القيعطية السياسي والتربوي، وطلع علينا منه بكتاب يحكي لنا تجربة والده الغنية في حضرموت تحت عنوان (القدال باشا ... معلم سوداني في حضرموت).

والى جانبه عمل وتعاون معه من أبناء وطنه الأساتذة الأفاضل: عوض عثمان مكي شقيق زوجة القدال، وبعد مؤسس الحركة المسرحية الحديثة بحضرموت، وحسين خوجلي، الذي تحمل مسؤولية إدارة المدرسة الوسطى بغيل باوزير لعشر سنوات، ويمتلك مهارات في تدريس مادة اللغة الإنجليزية، وسعيد أيوب القدال، والأستاذ محبوب زيادة حمور المدير الأول للثانوية الصغرى -مدرسة المعلمين- بغيل باوزير، وإبراهيم مجذوب مالك، وكان مديراً للمدرسة الوسطى بغيل باوزير لعام دراسي واحد، ١٩٦٠/٥٩م. وأحمد بابكر العمدة، وعبدالباقي يوسف نعمة، المدير الأول للمعهد الديني بغيل باوزير.

وفي سينون تحمل مسؤولية إدارة المدرسة الوسطى من السودانيين الأستاذ سيد أحمد الحردلو حسن، وذلك عام ١٩٥٩م، سنة التأسيس لها، وكذلك الأستاذ حسن صالح جاويش عام ١٩٦٥م، ثم الأستاذ عوض إسماعيل عام ١٩٦٦م.

الفكي، ومحمد نور عوض الله ومحمود شلال عبدالرحمن، وفي فريق شباب القطن الأستاذ علي منصور.

وقد قدم هذا العدد الملحوظ منهم عطاءاتهم ومهاراتهم في مجال الرياضة المدرسية والأهلية، ولهذا أجمع الناس في حضرموت كلما جاء ذكرهم على الثناء عليهم، والإشادة بهم، وأصبح الكلام عنهم لا ينضب أبداً، لكن للأسف الشديد رحلوا عنا إلى وطنهم الأم، ولم نكرمهم بما يستحقون عندما كانوا بيننا.

وبما أنني ذكرت بالأسماء الرموز التي أرست مداميك الرياضة في حضرموت، فإنه يجدر بي ولزماً علي أن أسجل هنا وأشير إلى أسماء بعض الرموز التربوية والتعليمية التي أرست مداميك التعليم النظامي الحكومي في حضرموت، والذين يأتي في مقدمتهم الشيخ القدال سعيد القدال، الذي جاء إلى المكلا عام ١٩٣٩م، وكان عمره ستاً وثلاثين سنة، ومكث بها حتى عام ١٩٥٧م؛ إذ عمل ناظراً للمعارف بالدولة القيعطية أحد عشر عاماً، وسكرتيراً للدولة سبع سنوات، وهو إلى جانب عمله بتلك الوظائف، فقد كان شاعراً وأديباً وسياسياً محنكاً. وقد توفي رحمه الله عليه في الخرطوم عام ١٩٧٥م.

بعد موته بسنين جاء ابنه محمد ليدرس في جامعة عدن، ومن ثم في جامعة حضرموت، واستطاع في أثناء

عليهم الاندماج في الأندية الرياضية الأهلية، وفي مختلف مؤسسات المجتمع المدني، وهذا ما قمت به ومارسته بعد تخرجي من المدرسة الثانوية؛ إذ شغلت منصب المسؤول الثقافي لبعض الأندية الرياضية بسينون، ومنصب الرئاسة فيها.

لقد خلق المدرسون السودانيون ومن خلال مشاركتهم في مجال الرياضة أجواء رحبة من المودة والألفة بينهم وبين من احتكوا بهم وعاشروهم من أبناء مختلف المناطق التي ذهبوا إليها في ساحل ووادي حضرموت، وكانت مشاركتهم في النشاط الرياضي يومئذ بلغت العنفوان. بل لعبوا أدواراً كبيرة في الارتقاء بالمستوى الرياضي للأندية، وتدريب لاعبيها، واللعب معهم، فكانوا ركن كل فريق رياضي في أنحاء كثيرة من حضرموت.

ففي المكلا اشتهر الأستاذ صالح أحمد إبراهيم الذي عرف بـ(صالح رياضة)، وفي الشحر الأستاذ عثمان سليمان مصطفى لاعب ومدرّب نادي شباب الجنوب. وفي غيل باوزير الأستاذ محمد طه الدقيل مدرب النادي الأهلي الرياضي، الذي خرج من تحت عباءته عبداللّه وفرج آل باعامر، وعمارو.. وسعيد باشطح.

وفي سينون كان الأستاذان حسن صالح جاويش وأحمد عبدالخالق أحمد لاعبي ومدرّبي نادي الأحقاف الرياضي بسينون، وقد علا شأنهما في المجتمع السيئون عندما لعبا ضمن فريق هذا النادي العريق.

وفي تريم وتاريخه كان الأساتذة: ياسين حاج ماجد، وعلاء، ومجذوب، وفي شباب حوطة أحمد بن زين الأستاذ هاشم محمد مساعد، وفي فريق نادي اتحاد شبام الأساتذة: محمد الشيخ بكري، وحسين مصطفى



الشيخ القدال سعيد القدال

وفي المكلا تحمل مسؤولية إدارة ثانوية المكلا الأستاذ عبدالقادر التلودي، وعمل مدرسين بها الأساتذة: محمد أبوزيد، مدرس الأدب الإنجليزي، وكان أيضاً مشرفاً على القسم الداخلي بها. ولي مع هذا الأستاذ حكاية طريفة، وهي: لقد كان مقررًا علينا في منهاج التربية الدينية للصف الرابع كتاب (شبهات حول الإسلام) للكاتب الإسلامي المعروف محمد قطب، هذا الكتاب الذي دخل بي إلى عالم الكتب الواسع، ومثل طلقة البداية لاقتناص بعض مؤلفات هذا الكاتب، فلم يمض ذلك العام الدراسي إلا وقد اقتنيت من مؤلفاته: (الإنسان بين العادية والإسلام)، و(جاهلية القرن العشرين)، و(معركة التقاليد) من كشك كان يقف بجوار (فندق الشعب) بديس المكلا. وقد أخفيتها عند الأستاذ الخلق، الذي كان يسكن في محيط حرم المدرسة خوفاً من أن تقع عليها أعين بعض الطلاب من جناح اليسار؛ إذ كان الصراع السياسي يومها يمجج بينه وبين جناح اليمين داخل تنظيم الجبهة القومية، ومحتدماً ومشتعلًا حتى النخاع. وما إن حلّ عليّ يوم الرحيل في نهاية العام الدراسي أخذت تلك الكتب من عند أستاذي القدير، وهربت بها إلى منزلي بمدينة سيئون، ولا تزال حتى اليوم تقف منتصبة في دولا ب مكتبي المنزلية.

والأستاذ محمد أبوزيد يعد من المعيار الثقيل بين مدرسي اللغة الإنجليزية، فقد حكى لنا من الأدب الإنجليزي رواية (روميوجوليت) لشكسبير، وكان مدرساً يخطبنا بأدب جم، يفوق مخاطبة الوالد لأبنة، وهذه هي طبيعته. كما أن طبيعته تدفعه كثيراً إلى تقديم أي مساعدة ممكنة، فهو بحق كان معلماً ورعاً له صلابة في الدين.

وهناك الأستاذ حسين إبراهيم مدرساً لمادة الجغرافيا، والأستاذ

عيسى، الذي قام بعمل متواصل، لم يتوقف أو ينقطع لترسيخ وضعها؛ إذ استطاع توفير الأولويات الأساسية قدر المستطاع؛ لتسيير الدراسة على الوجه الأكمل، فكان بجهد هذا الرجل الأول، الذي أسس، والقائد الأول لنشأة التعليم الثانوي في وادي حضرموت.

إننا نحفظ له حتى اليوم بشعور طيب، بالعودة، والعرفان الجميل، والامتنان التام لكل ما قدمه.

لقد عمل تحت إدارته الأساتذة: إسماعيل مكي كنني مدرساً لمادة العلوم، وصالح محمد شبور، الذي لم يكن بيننا له كاره، فقد وسعنا بحسن خلقه، وتواضعه، ولين معاملته، وكان في أثناء تأديته لدرسه يعطيه شيئاً من المرح والمزاح بمقدار ما يعطى الطعام من الملح. وقد قال عنه شاعر الصف الزميل أبوبكر محسن الحامد عندما مرض وغاب عنا أياماً:

(ما للشبابير غابت عن مجالسنا ..

أواه لو يرجع الشبور أواه)

محمد أحمد الفكي مدرس مادة الفنون، التي تعد مادة أساسية في المنهج السوداني للمرحلة الثانوية؛ حيث يدخل الطلاب امتحاناً فيها كأي مادة دراسية أخرى في نهاية المرحلة (الصف الرابع)، ويتم احتساب درجاتها. أما اليوم فهذه المادة أصبحت الأكثر مهانة بين المواد الدراسية الأخرى، مما جعل مدرسي الرياضيات، والعلوم يسطون على حصصها.

ومما يؤسف له أنني التقيت بالمعلم (الفكي) في السنة الرابعة الأخيرة لإكمال المرحلة الثانوية، التي جعلتني ألفت وباهتمام إلى كل المواد الدراسية الأخرى، ولهذا لم أتمكن من الاستفادة من ذلك المعلم الاستفادة الكبرى.

وإلى جانب هؤلاء كوكبة أخرى، وقائمة طويلة لا يمكن حصرها.

وعندما افتتحت مدرسة سيئون الثانوية عام ١٩٦٥م كان المدير الأول لها الأستاذ عبدالفتاح أحمد



45

العدد (9)
يوليو
سبتمبر
2018م

نبت من غرس المدرسين السودانيين، استمر طويلاً يغذي الحياة التعليمية.. والرياضية في حضرموت.

إن هذه السطور هي ذكريات، ظلت تتوهج في الذاكرة رغم ما تراكم فوقها من غبار السنين، وبما أنها ذكريات قد طويناها أرى لابد لنا أن ننشرها وتذكرها، بعكس من يقول إنه ماض علينا أن نهيل عليه التراب، وأن نسدل ستائر النسيان عليه.

لاشك أن معظم أولئك المعلمين اليوم قد توالى رحيلهم عن دنيانا، ومنهم من امتد به العمر حتى يومنا ولم يعد يخرج من بيته إما لمرض أقعده، أو شيخوخة طالته.. فرحم الله من مات منهم. وأعطى الأحياء الصحة والعمر المديد.

لقد أردت من كتابة هذه السطور عنهم أن يظل علم البعثات التعليمية السودانية يرفرف بعد فراقهم لنا، لا أن تطويه الأيام والسنون.

لقد رحلوا إلى وطنهم الأم، وانطوت صفحاتهم، ولكن ظلت لهم مكانتهم الخاصة بين تلاميذهم وطلابهم الذين تلقوا العلم على أيديهم، كما ظل إيقاعهم الرياضي يدق حتى اليوم، فنحن نكن لهم كل التقدير والتبجيل والاحترام، وستظل مباني (بنداعرا) وثانويتي المكلا وسينون تذكركم بهم، وشاهداً على بصماتهم التي تتراءى لنا في كل منعطف وزاوية فيها، وكلما وقفنا في ساحاتها الرحبة والواسعة.

وأختتم هذه السطور بما قاله الدكتور غازي القصيبي عليه رحمة الله في مذكراته (حياة في الإدارة) حيث قال: «علاقة الطالب بالمدرس علاقة حميمة فريدة، تستمر عبر السنين. لا تزال فرحتي باللغة عندما يتقدم أحد مني ويخبرني أنه كان من طلبتي، وفرحتي لا تعرف الحدود عندما أجد طالباً من طلبتي وقد نبغ في ميدان من الميادين».

كان خطاطاً بارعاً، يكتب بكلتا يديه خطاً عربياً منضبطاً، وبرسم واحد له، فهو عندما تصل يده اليمنى بالطبشورة إلى وسط السبورة تجده يكمل الكتابة في النصف الآخر منها بيده اليسرى، من غير أن تلحظ أي تباين بين الحروف، أو خلل في نوعية الخط، أو قواعد كتابته.

كانت صلتة بالرياضة قوية، فعندما انتقل إلى المكلا مدرساً بثانويتها انضم إلى سلك التحكيم لمباريات كرة القدم. وفي عدن عمل في السلك الدبلوماسي السوداني كما أخبرني بهذا أحد الزملاء.

لقد عمل المعلمون السودانيون بحضرموت ولم يكن عليهم رقيب إلا من ضميرهم، فكانوا بحق معلمين أفاضل، أعطوا حضرموت أكثر مما أخذوا منها.

لقد جعلوا الطلاب يقبلون على المدرسة صباحاً وعصراً وليلاً وهم في غاية الحماس والشوق والانشرح؛ لأنهم كانوا معلمين مثابرين، ويتمتعون بحيوية العطاء الفياض، مما جعل الطلاب ينجذبون إليهم، ويحملون الذكريات لهم، فهم رجال كرام يبدلون ما يقودون عليه، فكانت إفادتهم، والاستفادة منهم متعددة وكثيرة، بل إن السنوات التي عاشوها بيننا لا يمكن أن تقاس بطولها أو قصرها، ولكن يمكننا أن نقيسها بما عملوه خلالها، وما حفروه في ذاكرة أجيالنا.

إن نشاطهم في المدارس المتوسطة والثانوية لم يقتصر على حشو أذهان الطلاب بالمعارف والمعلومات، بل زودهم بالكثير من ألوان المهارات.. والقدرات والنشاطات المتعددة المختلفة، بل يمكنني القول -وبصوت عال- إن النهضة التعليمية الحكومية ... والحركة الرياضية المدرسية وجزءاً كبيراً من الرياضة الأهلية، هي جميعاً

والى جانب هذين المدرسين (كنني، وشبور)، يقف مدرس آخر، هو الأستاذ ميرغني النور جاويش، الذي كان نموذجاً للمعلم الحقيقي، فكان صوته يجلجل عندما يقرأ علينا بعض النصوص الشعرية، التي غرست في داخلي محبة الأدب، وقراءة الشعر.

في ذات يوم دخل إلى الصف، وكان يتأبط مجلة لم نعرفها من قبل، هي مجلة (الأداب) البيروتية، لصاحبها سهيل إدريس، فقرأ علينا منها رائعة نزار قباني، قصيدته السياسية النارية (هوامش على دفتر النكسة)، وفور انتهائه منها تملكني الإعجاب بها، وقمت ومعي بعض الزملاء بنسخ القصيدة بواسطة (ورق الكربون)، وتم توزيعها على عدد كبير من الطلاب. فبهذه القصيدة سمعنا منه ولأول مرة شعراً لم نعرفه، ولم نقرأه من قبل، ألا وهو (الشعر الحر).

بعد سماعي لهذه القصيدة تعمق الولوج، واستحكمت حلقاته بشعر نزار قباني، فوليت وجهي شطر شعره السياسي، وبقيت على هذا إلى أن رحل عن دنيانا.

عرف الأستاذ ميرغني بالانفعال، وشدة الحرارة، فهو يمكن وصفه كالحطب ينتظر أن تلامسه النار فيشتعل، لكن عصبية تلك تغوص في محيط عطاءاته ومهاراته المتعددة والمتنوعة. فعندما علمنا باسمه تحول اسمه إلى مادة يتندر بها الطلاب، ويؤلفون حوله النكات؛ حيث طفا فوق أسماء المعلمين الآخرين، فمنهم من كان يقول (مرغني) (بايمرغك)، حتى دخل علينا الصف في يوم من الأيام، وكأني به قد سمع ما تلوكه السنة الطلاب حول اسمه، فأمسك بالطبشورة وكتب اسمه على السبورة، ناطقاً به (أميرغني)، وقال لنا وبحزم هذا هو اسمي فالترزنا الصمت.

عن علي غداڤ و سرديات التشكيل



د. سعيد الجريري

زحام اليوميات الروتيني، كأنه في خلوات الوحي اللذيذ، يماهي ذاته ووعيه بذوات موازية في الفن والتاريخ، معلياً لغة المتخيل التشكيلي في فضاء الغموض الأسر. إنه يعيد تشكيل قراءة الأثر مثلاً ليضيف شيفرته الخاصة، علامة على التجاوز والمغايرة، فهو يتسق مع تمثيل "الأسد مجموعة خراف مهضومة"، تشكلياً بمستوى عال لا في السياق العربي والإسلامي (الشرقي) قديمه وحديثه، وإنما في السياق العالمي أيضاً.

التواضع الذي ينمازان به، على ما لتجربة كل منهما من خصوصية في مجاله، من اقتران بين البعد الإبداعي والبعد الأكاديمي، في تكاملهما إذ ينتجان اللوحة والأغنية.

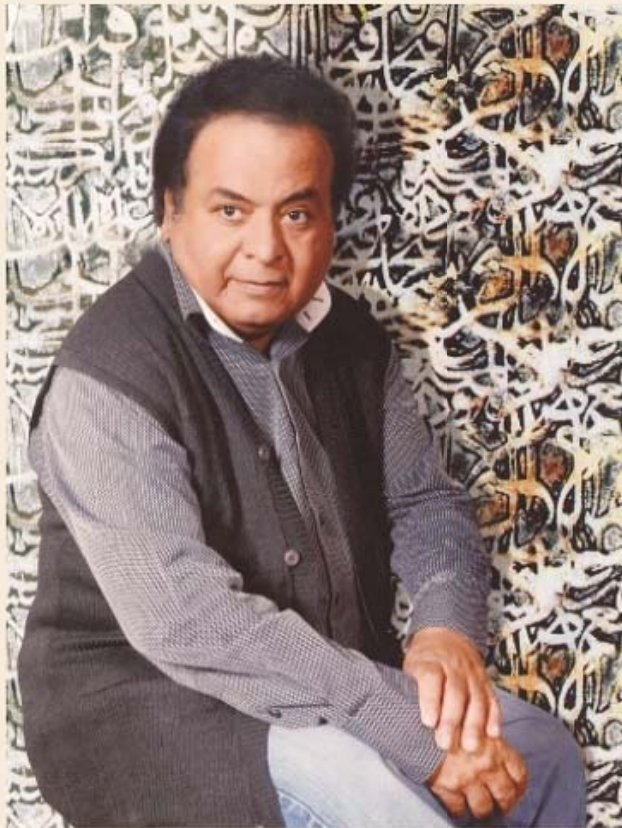
*

غداڤ الفنان قارئ منتج أيضاً، يستلهم أفكاره من خلفيات ثقافية وحضارية، تمكنه من تفعيل المتخيل الجمالي، بحيث لا تتشابه أعماله، ولا تماثل أعمال الآخرين، وهو في مشاريعه التي يفرد لها طاقته الخلاقة، منقطعاً عن

أن تكون في حضرة الفنان التشكيلي علي غداڤ فانت في حضرة الدهشة الجمالية العالية الكعب، فهو كائن بقدر ما فيه من هدوء يضيء عليك سكوناً شاملاً، يعمور في أعماله الفنية كنهر يترأى لك ساكناً وهو تيارات تجري في الأعماق ضاحجةً بالجمال والعمق والإدهاش. وهو حين يحدثك عن تجربته المعقدة مع التشكيل تتوقد عيناه اللتان تقررتا كل ضوء وظل ولون وهجس ومعنى ورمز وحكاية، حتى لتشعر أنك تصغي إلى نبي، لكن ممن يسبحون في الأرض بالريشة والإزميل.

*

البارحة كنت في حضرته في مدينة ساسنهام الهولندية، على موعد طالما انتظرت منذ أن سمعت عنه، وعن فرادته المبكرة في المكلا وعدن وبغداد والكويت ثم هولندا، فطللت على ما يشبه اليقين بأن سنلتقي ذات يوم، وها قد تم اللقاء، والإصغاء المستغرق لتفاصيل "غداڤ" الجميلة - بحضور ومشاركة قرينته ورفيقة دربه الفنانة التشكيلية العراقية أم أوسان - فداخلني الشعور نفسه، عندما أصغيت لأول مرة إلى تفاصيل عبدالرب إدريس الجميلة، قبل أكثر من عشر سنوات في القاهرة، فبين شخصيتي هذين المبدعين تشابه، من حيث فطرية





*

لا تحيط الكلمات، في سياق كهذا، بما لغداف من مكانة، ولكن حسبها أن تسجل انطباعاً أولياً عن قامّة إبداعية فريدة، في مجالها.



الذي كان يرى في قدرات غداف محققاً أفكار المثقف الطليعي وأحلامه في التحديث. ولأن غدافاً عصي على الدوران في اليومي الروتيني الذي يستهلك الموهوب، فقد كان الانطلاق نحو التأهيل الأكاديمي لينتقل من محطة فنية إلى أخرى في مشارق الأرض ومغاربها، محققاً ذاته المبدعة في تألقها في موطن فان جوخ وفناني عصر النهضة والفن الحديث والمعاصر، متميزاً بجمعه بين ثقافة شرقية وتقنيات غربية تتساهمان في إنتاج فرادة ما يبده.



*

رحلة إبداعه ممتدة في الأفق، منطلقة في الاتجاهات، مشغلة على سرديات تشكيلية يوظف فيها بمهارة واحترافية، إسقاطاته القرآنية للمرويات والمحكيات، فلا يحول تجريد مثلاً عن تسريد الحكاية والتدوين بلغة الألوان، ليضع المتلقي في قلب المتعة المحفوفة بمهواة سحيقة، لا تفتأ أن تعلو به كأنها أرجوحة جمالية، على حافة شعرية.

ولأن لغداف كونه الفني الخاص، فوقته مترع بالاشتغال على أفكار تلاحقه، ويلحقها في كل آن، ولعله لذلك يتخذ مذكرة على مقربة من سرير يدون فيها كل شارة من أفكاره وواردة، ثم يتعهدا بمراجعة أي مصدر فنياً كان أم تاريخياً حتى يجليها كما ينبغي لجلال جمالها.

*

علي غداف المكلاوي الحضرمي الهولندي كان منذ البدء يرسل إشارات ضمنية دالة على أنه لم يخلق لمستوى من الحياة نمطي أو روتيني، فهو في ذاكرة جيله في المكلا ذلك الفتى والشاب الأنيق المتميز ذو المواهب اللافتة، ثم هو المؤسس في مجال الفنون في عدن، في عهد الرائد علي عبدالرزاق باذيب وزير الثقافة

اللغة العربية قواعد وممارسة

هذه الملكة، ويجيد الفئتين من المنظوم والمنثور، وهو لا يحسن إعراب الفاعل، من المفعول، والمرفوع من المجرور، ولا شيئاً من قوانين صناعة العربية. فمن هذا تعلم أن تلك الملكة هي غير صناعة العربية، وأنها مستغنية عنها بالجملة». (المقدمة: ٣٢١).

أي إن قواعد النحو، والصرف ينبغي أن تكون خادمة النص اللغوي المثالي، ومحكمة ألفاظه، وليس العكس.

وإن كان الأمر كذلك فهذا يلزمنا أن نبحث عن اللغة المثالية، ونستمع إلى أصحابها؛ لكي نحكيها، ونرتقي بالسنتنا لتجاربها. وهيات أن نجد تلك اللغة! ذلك أن اللغة العربية الفصحى (المثالية) - في الحقيقة - انقرضت بانقراض أصحابها. وأصحابها هم الذين عاشوا خلال الحقبة الممتدة من عصر ما قبل الإسلام إلى نهاية القرن الثاني الهجري. هذا فيما يخص أهل الحضرة. أما فيما يخص أهل المدر (أي البوادي) فتمتد حقبة فصاحتهم حتى القرن الرابع الهجري. (ينظر: الرواية والاستشهاد باللغة: ١٥، ٣٤).

أي إننا فقدنا هذه اللغة الراقية منذ حوالي أحد عشر قرناً! وحلت محلها اللهجات العامية، والعريزية!

وهذه الحقيقة قد تفضي إلى العزوف عنها، والاستسلام للتحدث باللهجات المحلية، وإحداث ألفاظ لا تمت للغتنا الفصيحة بأي سبب، أو نسب. والأشد نكايّة من ذلك أن نركن إلى لغات غيرنا! كي نستجدي منهم التحضر والرقي!

الأخر: اللغة أم قواعدها؟ لهداه فكره إلى أن الأول سبق الآخر.

وقد فطن العلامة (ابن خلدون) المتوفى سنة (٨٠٨ هـ)، أي قبل ثمانية قرون تقريباً، بفكر ثاقب، إلى أن العرب الأوائل لم يمتلكوا الفصاحة في كلامهم سليقة، كما ظن كثير منهم قديماً وحديثاً، وإنما امتلكوها بعد سماع، ومراس طويّلين؛ إذ يقول: «يظن كثير من المغفلين ممن لم يعرف شأن الملكات أن الصواب للعرب في لغتهم: إعراباً، وبلاغة أمر طبيعي، ويقول: كانت العرب تنطق بالطبع، وليس كذلك، وإنما هي ملكة لسانية في نظم الكلام، تمكنت، ورسخت، فظهرت، في بادي الرأي، أنها جبلة، وطبع، وهذه الملكة... إنما تحصل بممارسة كلام العرب، وتكرره على السمع، والتفطن لخواص تراكيبه. وليست تحصل بمعرفة القوانين العلمية في ذلك، التي استنبطها أهل صناعة اللسان». (مقدمة ابن خلدون: ٣١٣).

ويضيف إلى ما سبق بقوله: «فإن العلم بقوانين الإعراب إنما هو علم بكيفية العمل، وليس هو نفس العمل، ولذلك نجد كثيراً من جهابذة النحاة، والمهرة في صناعة العربية، المحيطين علماً بتلك القوانين، إذا سئل في كتابة سطرين إلى أخيه، أو ذي مودته، أو شكوى ظلامه، أو قصد من قصوده، أخطأ فيها عن الصواب، وأكثر من اللحن، ولم يجد تأليف الكلام لذلك، والعبارة عن مقصوده على أساليب اللسان العربي. وكذا نجد كثيراً ممن يحسن



د. محمد علوي بن يحيى

كم كنت أتمنى ألا يخص يوم من أيام السنة بالاحتفال بلغتنا الأم (لغة الضاد)، وتهمّل في سائر أيام السنة؛ ذلك لأنها لغة القرآن الكريم. هذا الكتاب المقدس الذي ينبغي ألا تهجر قراءته في مجمل أيام السنة، ولا يتأتى أن تقرأ كلماته إلا بلغة عربية مبيّنة فصيحة، فحري بأمة القرآن أن تتكلم في أيام السنة كلها بلغة القرآن.

بيد أن ثمة مشكلة عويصة تعترض إنفاذ هذا الهدف، هي:

كيف يمكن لعرب القرن الخامس عشر الهجري أن يلفظوا بفصاحة عرب القرن الأول الهجري. وما قبله؟

ولعل الجواب المتبادر إلى أذهان الكثيرين ممن حظوا بنصيب من دراسة هذه اللغة، هو أن يلجأ كل من يروم دراسة هذه اللغة، إلى دراسة قواعدِها الممثلة في علمي: النحو، والصرف.

غير أن الجواب الذي يبدو لي واقعياً، هو (مع الأسف) غير ذلك!

إذ لو سأل كل واحد نفسه: أيهما سبق



والحوارية، في اللغة العربية، وحته على ممارستها، في كل المحافل، والمناسبات، ولا سيما الرسمية منها. (ينظر: فصول في فقه العربية: ٤٢٣).

من خلال عرض الإجراءات العلاجية السابقة، التي تهدف إلى الرقي بالمستوى اللغوي، لدى الشعوب العربية، نجد أن امتلاك ناصية اللغة الفصيحة ينبغي أن يحصل بتضافر الملكات اللغوية الأربع: السماع، والكلام، والقراءة، والكتابة. يضاف إليها تنمية ملكة الحفظ لشيء من المنظوم والمنثور. من كلام العرب الفصحاء، والبناء عليه، ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً.

أخيراً أرجو أن أكون قد وفقت لإجلاء ما ينبغي أن تكون عليه لغتنا الشريفة، ووضعها في الموضوع الذي تليق به، بين اللغات العالمية الحية. وألاً تكتفي الجهات المعنية بإقامة مثل هذه المؤتمرات، والندوات، بأرشفتها، وحفظها رهينة الأدرج، والأرفف، وإنما تعمل على تنفيذها بكل ما تملك من إمكانات، وطاقات، على مستوى المواقع التعليمية، والثقافية، والإعلامية، كافة، إن أردت ذلك؛ وصدق الشاعر إذ يقول:

وما نيل المطالب بالتمني
ولكن تؤخذ الدنيا غلاباً

قائمة الكتب والأبحاث المنشورة:

- ١- الرواية والاستشهاد باللغة، محمد عيد، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٧٦م.
- ٢- فصول في فقه العربية، رمضان عبدالنور، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط ١، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
- ٣- في قضايا اللغة التربوية، محمود السيد، الناشر: وكالة المطبوعات، الكويت، د.ت.
- ٤- مقدمة ابن خلدون، لعبد الرحمن بن خلدون المغربي (٨٠٨هـ)، المطبعة الخيرية، القاهرة، ط ١، ١٣٢٢هـ.
- ٥- النحو العربي ودوره في تدريس اللغة العربية وفهم نظامها، علي أحمد مذكور، بحث منشور على الشبكة العنكبوتية، يوم الثلاثاء: ٢٦ ربيع الآخر ١٤٢٥هـ / ١٥ حزيران ٢٠٠٤م، الرابط (Majma.org).

* أستاذ علم اللغة والنحو العربي المشارك قسم اللغة العربية وأدبها - كلية الآداب / جامعة (عدن)

رابعاً- أن ينمى مستوى الإبداع الكلامي، لدى المعلم؛ عن طريق إلزام القائمين على إدارة المرافق التعليمية، بنوعيتها: التربوي، والجامعي - جميع المعلمين بإلقاء دروسهم لتلاميذهم، وطلابهم، بلغة عربية فصيحة سهلة، داخل جدران مقراتهم التعليمية. وألاً يقتصروا على مدرسي مادة (اللغة العربية)؛ لما في ذلك من إشعار مدرسي المواد، والتخصصات الأخرى أنهم مشتركون في هذه المسؤولية العظيمة. (ينظر: في قضايا اللغة التربوية: ٢٩-٣٠).

خامساً- أن ينمى مستوى المتعلم في قراءة النصوص العربية وكتابتها؛ من خلال تخصيص القائمين على العملية التعليمية حصصاً، ومحاضرات للقراءة الجهرية، والكتابة التعبيرية، بنوعيتها: العلمي، والأدبي، والاستعانة، في ذلك، بنصوص راقية من تراثنا العربي.

سادساً- أن يعنى المختصون بوضع المناهج التعليمية، بضبط النصوص العربية المكتوبة، ضبطاً صرفياً ونحويًا، ووضع علامات الترقيم في ثناياها، كلما دعت الحاجة إليها؛ لكون تلك الحركات والعلامات إنما هي أصوات ممثلة في رموز مكتوبة، ترشد المتعلم إلى الطريقة السليمة في قراءتها، وتفهمها.

سابعاً- أن تسهم وسائل الإعلام المرئية، والمسموعة، والمكتوبة، إسهاماً فاعلاً في خلق بيئة لغوية فصيحة؛ بحيث لا يسمع المستمع، ولا يشاهد المشاهد شيئاً من البرامج الإخبارية، أو العلمية، أو الترفيهية، إلا بلغة عربية فصيحة، تخلو تماماً من الألفاظ العامية، المنبثة عن أي أصل فصيح، أو الألفاظ الأعجمية الدخيلة على أصالة لغتنا الأم. وهذا لن يتأتى - من وجهة نظري - إلا إذا اضطلعت وزارات الإعلام، في الدول العربية عموماً، وفي دولتنا خصوصاً، بمهامها الإيجابية الرئيسية، ومن أهمها سن قوانين تلزم كل من يتصدى للبروز في وسائل الإعلام كافة، أن يخضع لدورات مكثفة، في تنمية مهاراته القرائية، والكتابية،

غير أن ما يبقي ماء وجه لغتنا عذبا، زلألاً، هو أن أسلافنا، من علماء اللغة، والأدب، لم ينسوننا، وإنما تركوا لنا إرثهم اللغوي، ولكنه غير مسموع، وإنما مكتوب؛ لسبب بسيط، هو أنهم لما حرموا من وسائل الحفظ الصوتية والمرئية التي أتاحت لنا، في هذا العصر المفعم بالوسائل؛ اضطروا إلى استعمال وسيلة أدنى منها، فلجأوا إلى الكتابة.

ومع هذا أبقوا لنا ما يحيي في نفوسنا الأمل في إعادة خلق هذه اللغة الشريفة، وبث الروح فيها.

وهذا الأمر لن يتأتى، من وجهة نظري، إلا بخطوات عملية جريئة، يمكن حصرها في الآتي:

أولاً- أن يوجه اهتمام الراغب في تعلم اللغة العربية إلى الشروع في تعلمها عن طريق سماعها، من معلم متقن لها، ثم محاكاته عن طريق الكلام، ثم اللجوء إلى قراءة نصوص نموذجية، مما يزخر بها تراثنا العربي، سواء قرأنا، أو حديثاً، أو شعراً، أو نثراً. ثم كتابتها كتابة سليمة. (ينظر: النحو العربي ودوره في تدريس اللغة العربية وفهم نظامها: ١٩).

ثانياً- أن تذكى ملكة الإبداع لدى متعلم هذه اللغة؛ عن طريق تنمية ملكة القياس لديه، أي أن ينشئ كلاماً محدثاً، لم يبلغ سمعه، على ما اختزنه في ذاكرته من كلام مسموع، تحت إشراف معلم، يضطلع بمهمة إصلاح ما قد يقع من المتعلم من أخطاء معجمية، أو نحوية، أو صرفية، أو صوتية.

ثالثاً- أن ينمى مستوى الإبداع الكلامي لدى المتعلم؛ عن طريق توجيه المسؤولين، في مجالي التربية والتعليم، ووزارة التعليم العالي، إلى سن قوانين تلزم تلاميذ مدارس التعليم الأساسي، والثانوي، وطلاب الجامعات، بنوعيتها: الحكومية، والأهلية - على ممارسة التكلم بلغة عربية سهلة، داخل جدران مقراتهم التعليمية (في أقل تقدير)؛ لكون ملكة الممارسة الواقعية للغة لا تنفك عن تعلم قواعدها. بل إنها تقدم عليها. (ينظر: من قضايا اللغة التربوية: ٢٩).



العلاقة الوجدانية بين الإمام الحبشي وتلميذه القاضي عبدالله باحسن جمل الليل

يَعُدُّ الحديث عن الأمور الوجدانية والروحية في الأشخاص من الأمور ذات الطرق الوعرة، والقفار الموحشة، فليس من السهل استقراء وجدانية إنسان عادي، فما بالك بعلم ورمز من أعلام الزمان. نتحدث في هذه العجالة عن تلك العلاقة الوجدانية التي ربطت بين علمين من أعلام حضرموت في القرنين الثالث عشر والرابع عشر للهجرة، وهما الإمام الجليل علي بن محمد الحبشي، والقاضي الأديب عبدالله بن محمد باحسن جمل الليل، وذلك من خلال بعض ما حواه ديوان القاضي باحسن (القوافي الزهيرة) (١) من قصائد، وهذه العلاقة تُعدُّ أنموذجاً مصغراً من العلاقة العلمية والوجدانية بين المدينتين (سيئون والشحر). قبل أن نتحدث عما كان بين الشيخ وتلميذه من العلاقة نعطي ومضات من السيرة العطرة لكلا العلمين محور الدراسة.

والعمرة)، وديوانه (الجوهر المكنون والسّر المصون)، و(حزب الفتح الكبير)، و(الدعاء المستجاب بآيات الكتاب)، وله مكاتبات ورسائل أخرى، من أهم إنجازاته وإسهاماته في نشر التعليم وتطويره في حضرموت تأسيسه رباط العلم الشريف سنة ١٢٩٦ هـ، توفي ظهر يوم الأحد ٢٠ ربيع ثاني ١٣٣٣ هـ رحمه الله.

أما التلميذ فهو السيد القاضي المؤرخ الأديب عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبي بكر باحسن جمل الليل، ولد بمدينة الشحر سنة ١٢٧٨ هـ، وقد بشر به قبل مولده السيد العلامة عبد القادر بن أحمد بن طاهر العلوي، المتوفى سنة ١٣٠٠ هـ، وذلك بإرسال بيتين من الشعر إلى والد المترجم، قال فيهما:

يا باحسن نلت المنن

ولن ترى أدنى حزن

وعن قريب يا أخي

يأتي لك الابن حسن

قال صاحب تاريخ الشعراء معلقاً: يقول في تاريخه (أي باحسن) أن أهله استحسبوا أن يسموه عبد الله؛ تبركاً باسم جدّه عبد الله، لا باسم حسن كما سمّاه لهم.

بالعلم، فكان أخذه عن أكابر علماء عصره، منهم والده العلامة مفتي الشافعية بالحجاز محمد بن حسين الحبشي، والحبیب العلامة عبد الله بن حسين بن طاهر، والحبیب العلامة الحسن بن صالح البحر الجفري، والحبیب العلامة محسن بن علوي السقاف، وكما قرأ على الحبیب شيخ بن عمر السقاف، وعلى الشيخ الفقيه محمد بن عبد الله الخطيب، ورحل إلى الحجاز وأخذ بها عن السيد العلامة أحمد بن زيني دحلان، ثم اتصل وأخذ على يد شيخ فقه الحبیب العلامة أبي بكر بن عبد الله العطاس.

أخذ عن المترجم بعد تشبّعه وتشربه العلوم نخبة من التلاميذ، منهم من مدينة الشحر العلامة محمد بن عمر بن سلم -مؤسس الرباط بمدينة غيل باوزير-، والشيخ حسن بن خميس السعدي، والشيخ النخوي محمد بن سعيد باطويح، والشيخ القاضي محمد بن عمر العماري، والسيد الورع أحمد بن عبد الله بن إسماعيل، وأخوه علي، بالإضافة إلى القاضي الأديب المؤرخ عبدالله بن محمد جمل الليل وغيرهم، ومن مؤلفاته (سمط الدرر)، و(الموائد الرمضانية)، و(مقدمة في الحج



عادل حاج باعكيم

نتحدث في هذه العجالة عن تلك العلاقة الوجدانية التي ربطت بين علمين من أعلام حضرموت في القرنين الثالث عشر والرابع عشر للهجرة، وهما الإمام الجليل علي بن محمد الحبشي، والقاضي الأديب عبدالله بن محمد باحسن جمل الليل، وذلك من خلال بعض ما حواه ديوان القاضي باحسن (القوافي الزهيرة) (١) من قصائد، وهذه العلاقة تُعدُّ أنموذجاً مصغراً من العلاقة العلمية والوجدانية بين المدينتين (سيئون والشحر). قبل أن نتحدث عما كان بين الشيخ وتلميذه من العلاقة نعطي ومضات من السيرة العطرة لكلا العلمين محور الدراسة.

الإمام المتفرد علي بن محمد بن حسين الحبشي، ولد يوم الجمعة ٢٤ شوال ١٢٥٩ هـ، ونشأ في بيئة زاخرة



51

العدد (9)
يوليو
سبتمبر
2018م

يا بروحي من شاذن قد تولّى
مهجتي وانبرى يجر عنانه
تائهاً لاهياً وليس بلائي
نحو حب له غدا في امتحانه
يا عجيب العجيب إذ كان غيري
يتواسى بالجوهر من إحسانه
ما دوائي إلا الوصال وإلا
أنا مأسوره بقبير رصانه
إن شكوت الحبيب شكواي عارٌ
عند أهل الهوى وفي ذا إهانه
هكذا قاضي المحبين أقضى
ولهذا شيدت له أركانه
يا ملك الجمال رفقا بحالي
إنني لا أطيق حمل الرزانه
إن حكم الهوى محين فمن ذا
يحمل الصبر من أذى أعوانه
فأحسن اللطف بي فديتك روعي
واجعل الصب رائقاً في أمانه
فمتى كنت بي شقيقاً فاني
حزت فوزي وطاب أنسي بأنه
أي وإلا فقد ركنت إلى من
شيد الله في العلا بنيانه
ثم قال:
الإمام الهمام غوث البرايا
جهبذي العلوم في عرفانه
بحر علم يموج في كل فن
فلذا يعلوا على أقرانه
حائز الفضل كم له من هباتٍ
سابغات كالسحب في هتانه
فهو في ذا الزمان معدوم ند
كيف أن قد يكون عقد جمانه
مذ نشأ في الأنام ساعاً منياً
في المعالي وناف عن أقرانه
من أبي بكر المعالي تلقاً
ها وأرواه من كؤوس دنانه
وختم قصيدته بقوله:
يا ابن خير الوري وافاك نظم
من كثير الذنوب يرجو أمانه
عبد سوء فعله كل نقص
ضيع العمر في هوى طغيانه
ما له حيلة إلى الفوز إلا
حبكم حيث كان داخل جنانه

سيرة الإمام الحبشي، والقاضي
باحسن نعرج على النقطة التي تدور
حولها هذه العجالة، وهي العلاقة
الوجدانية بن الشيخ وتلميذه.
بعد أن تلقى القاضي باحسن بدايات
التعليم في مدينته الشحر، بدأ يسعى
خلف العلماء في قطرنا الحضرمي،
فكان يختار من بينهم الدرر الثمينة؛
ليقتني منها ما أمكنه، ومن المعلوم
أن من أبرز العلماء في ذلك الزمان
الإمام علي بن محمد الحبشي، الذي
كان حامل لواء العلم بمدينة سيئون،
عندما علم المريد بخبر هذه الجوهرة
النادرة، والكنز الثمين، شد العزم،
ونذهب يسعى إليه راجياً منه قبوله بين
تلامذته ومريديه فكان له ذلك.
مكث القاضي باحسن في بساتين
أستاذه الحبشي، ورياض رباطه
المسمى بـ(رباط العلم الشريف) مدة
من الزمن، يرتع، ويتزود من ينابيع
المعرفة، بـعدها عاد إلى مدينته،
وتولى نيابة القضاء بها، ثم أضاف له
السلطان غالب بن عوض القعيطي
المأذونية أيضاً، فأصبح قاضياً ومأذوناً
في آن واحد. كان لذلك الشيخ -
الحبشي - حضور في كل دقائق مريده،
جعله ذلك ينسج الشعر كلما اشتد به
الشوق إلى ربوع من يحب، فقال يوماً -
حينما اشتد به ذلك الشوق يمتدح
شيخه الإمام الحبشي - قصيدة عبّر
فيها عن مكنونات وجدانه، جاء في
مطلعها:

ما لقلبي يَجول في خفقانه
ما بهذا عهدته ما لشأنه
خلته كالغريق في لُج بحر
أو كفلك يموج في طوفانه
إلى أن قال:
إنني مشغف بحب غزال
صادني واعتدى عليّ بسانه
فأنا مغرم به طول وقتي
هل تراني أكون من غلمانه

تلقى القاضي باحسن تعليمه في
مدينة الشحر، وسيئون، وتريم، وغيرها
من مناطق القطر الحضرمي، بدأ
التلقي في أحد كتاتيب مدينة الشحر،
ثم جعل يبحث عن العلماء، فأخذ
عنهم، واستفاد منهم، واتصل بهم،
إلى أن توسع في فهم بعض العلوم،
منها: الفقه، والتفسير، والحديث،
والنحو، وبقية فروع العربية،
والتصوف، من أشياخه الأفاضل: والده
السيد الفاضل محمد باحسن المتوفى
سنة ١٢٩٦ هـ، والشيخ الولي عمر
باسلامة المتوفى سنة ١٣٠٠ هـ،
والسيد القاضي محمد بن أحمد بن
محمد الشاطري المتوفى سنة
١٣١٩ هـ، والحبيب العالم شيخان بن
علي السقاف المتوفى سنة ١٣١٤ هـ،
والسيد العالم الفاضل عبد الله بن
سالم عبيد المتوفى سنة ١٣٠٦ هـ،
والحبيب جعفر بن محمد العطاس
المتوفى سنة ١٣٢٣ هـ، والعلامة
القاضي ناصر بن صالح بن الشيخ علي
ابن هريرة المتوفى سنة ١٣١٠ هـ،
والإمام المسند عيروس بن عمر
الحبشي المتوفى سنة ١٣١٤ هـ،
والإمام علي بن محمد الحبشي
المتوفى سنة ١٣٣٣ هـ، كما تقدّم،
والحبيب العلامة علوي بن عبد الرحمن
المشهور المتوفى سنة ١٣٤١ هـ،
والحبيب عبد الله بن محسن السقاف
المتوفى سنة ١٣١٣ هـ وغيرهم.
تولى القضاء والمأذونية في الشحر،
وكان محموداً في عمله ذلك، أما عن
مؤلفاته فمنها (نشر النفحات المسكية
في أخبار الشحر المحمية)، و(تنبيه
العقلاء بشرح ما جرى على بعض أبناء
الفضلاء) و(مقامات أدبية)، وديوانه
(القوافي الزهيرة)، وله فتاوى ومكاتبات
غير مجموعة، توفي ببندر الشحر يوم
الاثنين ١٧ ربيع الثاني سنة ١٣٤٧ هـ.
والآن وبعد أن تعرفنا على نُفّ من



فأقبلوني وسثروا عن عيوبي

إن ذا النقص غارق في رهانه
وأدركوني بسرعة الغوث منكم
وأعدروا من أطلال في هديانه
إنني أشتاق قريبكم يا سروري
بل وأنسي إن حان حين أوانه
هذه القصيدة قالها باحسن في
الشعر؛ حيث اشتد به الوجد هناك، ثم
أرسلها إلى سنيين، وذلك يوم
الخميس ٤ شهر ربيع الأول سنة
١٣٠٩ هـ - كما جاء في الديوان -
والقارئ لهذه القصيدة يتبين - ومن
الكلمات الأولى - أن باحسن قد عجن
قلبه بحب شيخه الحبشي .

عظمت المحبة بين الرجلين إلى
درجة لا نستطيع وصفها، فقد كان
القاضي باحسن يشهد شيخه الحبشي
في كل من كان يراهم معن تعرف
عليهم في حضرة شيخه، فقال عندما
وصل السيد الشريف عبد الله ابن
الإمام علي الحبشي إلى بندر الشحر في
١٦ شهر شعبان سنة ١٣٠٩ هـ
قصيدة يمدح بها شيخه الإمام
الحبشي، جاء في مطلعها:

جاءت تجر ذيول الثيه والعجب

هيفاء مياسة الأعطاف كالقضب

تختال في مشيها زهواً وقد خلجت

شمس الضى إذ نفت عن وجهها الحجب

تسفر عن غرة تحكي الهلال إذا

أقام معتدلاً لم يلفه شوب

رشيقة القد لا داني لها مثل

وفي مباسمها نوع من الضرب

في لحظها سحر هاروت فكم رشقت

صباً بأسهامها أضى إلى العطب

فيا لها غادة من حسن منطقها

مالت غصون لها من غير ما طرب

فقلت لما سباني حسن منظرها

الله أكبر كم ذا فيك من عجب

أومت إلي بطرف ناعس دعج

وافتر مبسمها الخالص الذهب

فقلت كم في رعاك الله من ولهي

فإنني لا أسوغ الجد باللعب

إلى أن قال :

مالي ومالك إنني قد ولعت بمن

في حبهم غاية المامول والطلب

من لهجت السن الشعر بمدحهم

أهل الكمالات والتفضيل والقرب

نسل البتول وأبناء الرسول هم الـ

قوم الفحول فها هم غرة الحقب

فما مديحي لهم والله شرفهم

نص الكتاب الذي يعلو على الكتب

فهم نجوم لأهل الأرض قاطبة

وهم أمان من الأوصاب والنكب

منهم إمام الوري الغوث الذي ابتهجت

بنوره سائر الأعجام والعرب

سر النبوة أكسير الوجود ومن

سما بمجد له عال على الشهب

أعني به حبشي الأصل من رسخت

أقدامه في علوم الكسب والوهب

أبو المهدب عبد الله سيدنا الراقي

إلى رتبة من دونها الرتب

طود العلوم ولا قاح الفهم ومقدام

القدوم بلا شك ولا ريب

به هدى الله كم من حائر وكفى

شر الأعادي وزالت عنا الكرب

وهو الغياث الذي لا زال نائله

يرفل في حالة الأفراح والخصب

يا سيدي يا علي القدر يا سندي

هيا بكم عل أن يقضى لي الأرب

فأنت كهفي ومأمولي ومستندي

وليس لي سبب بل أنتم سببي

إلى آخر ما قال في تلك القصيدة

الرائعة.

ومن مظاهر ولع القاضي باحسن

بشيخه الحبشي أن قام بتعجيز

وتصدير قصيدة شيخه الإمام الحبشي

التي مطلعها (يا جامع الشمع يا كنز

القديم) وسبب اختيار باحسن لهذه

القصيدة واضح وهو ولعه بها، كما أنه

يشعر أنها من روح شيخه الذي يطلب

دائماً الاجتماع به - في الحقيقة أم في

غيرها - حيث أراد بتعجيزه لها أن يمزج

الشوقين والرجاءين معاً ليتم اللقاء هنا

وهناك، وذلك كان بتاريخ ١٧ شوال

سنة ١٣١٢ هـ، قال في مطلع هذا

التعجيز والتصدير:

يا جامع الشمع يا كنز العديم

يا مستجيب الدعا عند الطلاب

أسألك بأسمائك يا الفرد العليم

افتح لنا يا إلهي كل باب

أسلك بنا نهج من هم في تريم

من كل عارف إلى التقوى أناب

بهم نرى الفوز في دار النعيم

أجدادنا نعم هاديك النساب

من كل عارف صراطه مستقيم

زافي المزاي نقي صافي الجنب

مجنوب للقرب في الحضرة لزيـم

سكران أسكره كاسات الشراب

مثل الإمام الذي مجده فخير

شيخ المعارف مزيل الارتباب

مقدم القوم ذو الجاه العظيم

فقيها هو إمام أهل الكتاب

يا مرجحاً جاءتنا حكمة حكيم

أضحي لها القلب يا ندمان حاب

فيها الهنا والبشارة من قديم

حوت من أسرارنا فصل الخطاب

عسى بها يشتهي القلب السقيم

نحظى بكل المقاصد في المناب

ينزاح عنا الكدر ذاك الوخيم

يعود في الأنس ما قد كان غاب

إلى آخر ما قال .

ومما أدهشني في تلك العلاقة

الوجدانية التي كانت بين الشيخ

والمرید هو أن القاضي باحسن عندما

بلغه خبر وفاة ابنه سالم، وهو حينئذ

بمدينة سينون قال قصيدة يمدح بها

شيخه الإمام الحبشي؛ وذلك ليسلي

بها نفسه ويصبرها، ويجعلها تستكين

من هول ذلك الخبر الفظيع، قال

باحسن في الديوان ما نصه: " قال -

عامله الله بإحسانه - وهو إذ ذاك

بسينون حين بلغته وفاة ولده السيد

سالم، فقال يمدح السيد الشريف

الجليل الحبيب علي بن محمد الحبشي

- نفع الله به - في ربيع الأول سنة

١٣١٠ هـ، والقصيدة التي نتحدث



53

العدد (9)
يوليو
سبتمبر
2018م

لا أستطيع امتداحاً حيث قلت فقد
أثنت على ذاته السبع القراءات
ماذا أقول إذا عدت فضائله
وقد أتت بمزاياه الزيادات
فلتبكه كتب الحداد أجمعها
ولتبكه في الدجى منه المقامات
كانت به ساحة الأشراف زاهرة
وفي الرياض لأهل العلم رايات
كان طلابه العلم الذين به
إذا استداروا على التدريس هالات
وكيف لا وعلي القدر قائدهم
وقد رعتهم من الله العنايات
وإنما حكمة الأقدار جارية
في طيها لذوي الأبصار آيات
أه على ذلك الشهم الذي انصدت
قلوبنا وأذابتها الحرات
أه على ذلك الفرد الذي ابتهجت
بنوره الأرض وانجالت ظلمات
فالله يغمر قبراً ضم جثته
بسايغ الرحمت المستجيدات
ويخلف الكل بالخيرات أجمعها
فضلاً وتمحي به عنا الخطيئات
بحقه نسال الرحمن يشملنا
بعفوه وتوافينا السعادات
وصل ربّي على المختار شافعنا
ما حن رعد وما سحت غمامات
والأل والصحب والأتباع أجمعهم
ومن بهم تندفع عنا الملمات
ما قال مكلوم قلب زاده حرق
سيف المنية أضحت منه سطوات

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين (١٢).

الهوامش:

- ١ - هذا الديوان قمنا بدراسته وتحقيقه مؤخراً وسيطبع قريباً بإذن الله تعالى .
- ٢ - أصل هذا المقال محاضرة ألقاها الكاتب ضمن فعاليات ندوة (دور رباط العلم الشريف في نشر الإسلام وخدمة العلم، تلاميذه وخريجيه أنموذج)، نظمها رباط العلم الشريف بسيئون بمناسبة الذكرى ١٠٦ لوفاة مؤسسه الإمام الحشبي، بتاريخ ٥ يناير ٢٠١٨ م.

قال باحسن تقديماً لتلك المرثية -
التي نسجها بتاريخ ٨ جمادى الأولى
سنة ١٣٣٣ هـ - ما نصه : " قال مرثياً
للسيد الإمام الجليل الفاضل، سلاله
الأفاضل، العارف بالله ورسوله،
القطب الشهير، سيدنا وبركتنا
الحبيب علي بن محمد بن حسين
الحشبي نفغنا الله بسرّه ولا حرمانا
بركته آمين "، والآل لا بد علينا أن
نختتم بالأبيات وهي :

سيف المنية أضحت منه سطوات
فكم له في الوري بالقهر غارات
(كل ابن أنثى وإن طالت سلامته)
لا بد أن تنقضي للعمر أوقات
لا تعزز بصفا الأيام مبتهجا
فلدهور صروف بل وحالات
ما أنفس العمر لولا الموت يرخصه
وما الذ الصفا لولا المنيات
يكفيك إنا وإن قمنا على وجل
أيامنا والليال مستعارات
أف لدار صفاها بعده كدر
بل كل أيامها تمضي كدورات
بيننا جرى المرء في تاراته فرحاً
لا وفاجاته في الحال آفات
يا هل ترى هل لهذي الدار من أسف
كنا وإن أقبلت منها مسرات
فأربا بنفسك معاً أنت أمله

منها وتكفيك للزجر إشارات
أو ما علمت بطود العلم دك وقد
بكت عليه الأراضي والسموات
حبيبنا طيب الذات الكريم ومن
له على هامة العليا مقامات
ملجا الوفود وإكسير الوجود
ومرأة الشهود وينبوع الكرامات
السيد الغوث قطب الوقت من رسخت
أقدامه وله في المجد عادات
عالي المقام علي الذات سيدنا
زاكي الصفات الحميدات السنيات
العالم العامل القطب الشهير ومن
في الخافقين له بالنور شارات
بحر العلوم رحيق القرب مشربه
فمن معاليه تنبيك الفتوحات

عنها هي :

عبرتي عبرتي لما قد دهاني
مذ ترحلت عن ربا أوطاني
قد دهنتي هموم والله منها
ما يشيب الرضيع ممأ عراني
يا لقومي ولم أقل يا لقومي
حيث أني أجول في أحزاني
غير أني حلت في ربع من قد
ترجمت فضله حروف العثاني
من ترقى صهي ذرا المجد حقاً
عالي المجد ذو العطا الرباني
سيدي قدوتي ملاذي وغوثي
ملجني من جميع إنس وجان
يا حبيبي هذا عبيدك يرجو
منك عطفاً مع رحمة وامتنان
جا إليك يرجو نوالك فضلاً
قل نعم سائلي عطيت الأماني
أنت والله في المعالي علياً
ما مديحي بل فيك كلت لساني
غير أني أقول في كل حين
أنت في العالمين عقد جماني
فاقض يا سيدي شؤوني جميعاً
إنني لا رجوت غيرك ثاني
واسأل الله أن يبدل عسري
منه باليسر لي ويصلح شأني
وعليك السلام مئي دواماً
دائم الدهر في مدى الأزمان
هذه القصيدة تجسد عمق العلاقة
التي كانت بين باحسن والحشبي،
فعندما يغيب العالم بأسره وبجملته
من أمام باحسن، ولم يشاهد في هذه
الأرض بأكملها سوى شيخه الحشبي،
فلا داعي بعدها نعد الشواهد والأدلة
التي نعصدها بها قولنا: " إنهما ارتبطا
وجدانياً، بل عجت محبة الإمام
الحشبي في كل وجزء القاضي
باحسن "، مع أن في ديوان باحسن
الموسوم بـ (القوافي الزهيرة)، الذي
قمنا بتحقيقه مؤخراً قصائد عديدة لم
نتطرق لها في هذه العجالة، إلا أننا
سنختتم حديثنا هذا بالمرثية التي
نظمها القاضي باحسن في شيخه .



الصلات التجارية بين حضرموت والهند

تاريخها - وأثرها في رفر النهضة المباركة

منذ العصور التاريخية القديمة حتى عصر السيادة الإسلامية

(دراسة حضارية في ضوء المعطيات الأثرية والنقشية والمدونات التاريخية)

(٢ - ٢)



أ.د. محمد بن هاوي باوزير*

في عصر السيادة الإسلامية حتى مطلع العصر الحديث

(١) - العرب والحضارة..

ودورهم في انتشار الإسلام في الهند، كانت الاتصالات بين العرب قبيل الإسلام (العصر الجاهلي) والهند مستمرة كعادتها، وفي هذه الحقبة التي نتحدث عنها انتشرت في بلاد العرب طائفة من الهنود، عُرفت باسم (الزط)، فقد اشتهر هؤلاء القوم بالحرب والبطولة، وكانوا يقطنون من قبل في جبال السند وبلوچستان.. وقد أكدت بعض الأحاديث النبوية عن وجود قوم الزط في عصر الرسول (صلى الله عليه وسلم)، ومزاولة بعضهم مهنة الطب، وقد دخل كثير منهم في جيش المسلمين أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأسلموا وحسن إسلامهم، وبهذا اشتهروا في بلاد العرب، ونالوا منزلة كبيرة^(١).

إذن فالهنود المعروفون بـ(قوم الزط) كانوا أول طائفة هندية لها شرف سبق للتعرف على الإسلام، واعتناقه قبل دخول الفتح الإسلامي للهند، بل يبدو أنهم كانوا مشاركين مع طلائع المسلمين، الذين حملوا لواء الدعوة الإسلامية في قارة آسيا. وفي صدر الإسلام بدأت الفتوحات الإسلامية تتجه صوب الهند عبر البحر، ويبدو أن البداية كانت في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه.. وعلى الرغم من هذه العناية، التي وجهت إلى الهند فلم يأت دور فتحها الفعلي إلا في عصر الوليد بن عبد الملك، وبأمر حاكمه على العراق وهو الحجاج بن يوسف، الذي أسند هذه المهمة إلى محمد بن القاسم، أعظم فاتح وقائد في تاريخ الفتوحات الإسلامية، وقد بدأ ذلك في عام ٩٣ هـ ففتح بلداناً كثيرة في ولاية السند، وأرسى فيها قواعد دولة إسلامية عربية، ظلت تنمو وتزدهر قروناً طويلة.. وهكذا توالى الفتوحات الإسلامية حتى انتشر الإسلام في أجزاء واسعة من شبه القارة الهندية. وقد كان لعرب الجزيرة العربية وخاصة التجار والمهاجرين الحضارة دور كبير في نشر الإسلام، وإرساء دعائمه في بلاد الهند^(٢).

لقد وصل الإسلام إلى قارة آسيا وبلدانها المعروفة، مثل: الهند، والسند،

والصين، وإندونيسيا وماليزيا.. وغيرها من دول جنوب شرق آسيا، وقد حدث ذلك عبر مجموعة من العوامل، أهمها: النشاط التجاري - للتجار العرب ومنهم الحضارة، وغيرهم، وعن طريق الفتوحات الإسلامية، وكذا عن طريق الرحالة والدعاة، وعن طريق العلاقات الاجتماعية بالأهالي، وأيضاً المدارس والمعاهد الإسلامية، التي فتحها المسلمون العرب، ومنهم الحضارة كان لها دور كبير في انتشار الإسلام في أنحاء آسيا.. وغيرها من العوامل.

أما عن تأثير العقلية الإسلامية والشرعية الإسلامية في أهل الهند بعد الفتح الإسلامي، فقد كان واضحاً وملموساً في الاتجاه إلى التوحيد، ونزعات الاحترام للمرأة وحقوقها، والاعتراف بمبدأ المساواة بين طبقات البشر، إلى غير ذلك مما سبق إليه الإسلام، وامتازت به شريعته ومدنيته. وبهذا الصدد يقول الباحث الهندي (K. M Panikkar) -سفير الهند في مصر سابقاً، وهو يتحدث عن تأثير عقيدة التوحيد الإسلامية في عقلية الشعب الهندي ودياناته: «من الواضح المقرر أن تأثير الإسلام في الديانة الهندوكية كان عميقاً في هذا العهد (الإسلامي)، إن فكرة عبادة الله في الهنادك مدينة للإسلام، إن قادة الفكر



55

العدد (9)
يوليو
سبتمبر
2018م

القديمة) كانوا أول من احتكر تجارة الشرق (الهند وسيلان)، وتجارة شرقي أفريقيا، وقد ارتبطت الموانئ الحضرية القديمة، كمينائي قنا وسمهرم بعلاقة تجارية مع الموانئ الهندية، وأقدم إشارة للطريق البحري الذي يربط الموانئ الحضرية بالموانئ الهندية وردت في المصادر الكلاسيكية، التي تعود إلى القرن الأول الميلادي، ويذكر ذلك القول (بلييني) في كتابه (التاريخ الطبيعي)، عندما ذكر ميناء قنا كأحد المحطات التجارية البحرية بين مصر والهند، كذلك أشار إلى أن عرب الجنوب قد استقروا في سيلان منذ القرن الأول الميلادي (٩).

ولعل أبرز تلك المصادر الكلاسيكية هو كتاب الطواف (دليل البحر الأثري)، فقد ذكر ميناء قنا وسمهرم، وسقطري، وعلاقاتها التجارية مع الموانئ الهندية، كما أشار مؤلف الكتاب إلى أن عرب الجنوب كانوا موجودين بكثرة في ساحل مالابار الهندي، وفي سيلان، وهو الأمر الذي جعلهم أسياد الساحل، والمحتكرين الأساسيين للتجارة الشرقية (١٠)، ولعل الشواهد كثيرة عن الصلات والعلاقات بين حضرموت والهند. ومن الجدير ذكره أيضاً أن عرب الجنوب من حضارة وعمايين وغيرهم لم تقتصر تجارتهم البحرية على الهند فحسب، بل تعدت تجارتهم إلى القرن الأفريقي وساحل أفريقيا الشرقي، وجزر الملايو، وإندونيسيا وصولاً إلى السواحل الصينية، وكانت لهم جاليات فيها، وصلات قوية بأهل تلك البلاد (١١).

غير أن الاضمحلال قد أصاب عرب الجنوب والحضارة عامة منذ القرن الرابع الميلادي بسبب الاضطرابات الداخلية، والتدخل الخارجي - البيزنطي والحبيشي -، ومناوشة عرب الجنوب في بلادهم لحقبة طويلة من الزمن بقصد السيطرة على مدخل البحر الأحمر في باب المندب، حتى انتهى الأمر بنجاح الأبحاش في أن يحلوا محل عرب

٢ الصلات القديمة بين حضرموت والهند.. أساساً ورافداً للهجرات المتبادلة في العصرين الوسيط والحديث:

عرفت العربية الجنوبية، وخاصة مملكة حضرموت القديمة، وعبر تاريخها الطويل بأن أهلها من أنشط شعوب العالم في النشاط التجاري، وقد ساعدتهم على هذا التفوق في هذا المجال، الموقع الجغرافي والاستراتيجي المهم لبلادهم، فكان له عظيم الأثر على المستوى العالمي، فهي تتوسط ثلاث قارات، كانت مهد الحضارة منذ القدم، وهي: آسيا، وأفريقيا، وأوروبا، وهي بذلك همزة وصل بين حضارات الهند وجنوب شرق آسيا وشرقي أفريقيا، وحضارات البحر المتوسط، ووادي النيل، وبلاد الرافدين، ولهذا احتلت العربية الجنوبية موقعاً جغرافياً ممتازاً على طريق الملاحة العالمية منذ أقدم العصور (١٢).

وإذا كان البحر الأحمر لتقارب شاطئيه قد شكّل ممراً سهلاً لعرب الجنوب الساكنين عليه إلى بلاد أفريقيا، فإن شواطئ بلاد العرب الجنوبية المطلة على خليج عدن وحوض المحيط الهندي، كانت هي أيضاً منطلقاً وطريقاً إلى بلدان السواحل الهندية وما يليها شرقاً (١٣)، حيث كان للبحر العربي المتصل بالمحيط الهندي أثر متميز عبر التاريخ؛ إذ أسهم بربط عرب الجنوب، وبخاصة الحضارة بالهند وشرق آسيا. إذن لم تكن مياه المحيط الهندي منذ القدم ميهاً مجهولة، مثل الأطلسي (بحر الظلمات)، أو الهادي، بل كان طريقاً للبحارة منذ آلاف السنين، ولهذا لعب المحيط الهندي دوراً كبيراً في عملية التواصل الحضاري، وكانت التجارة أبرز مظاهر النشاط في المحيط الهندي، بل يبدو أن هذا النشاط (التجاري) هو المظهر الوحيد، الذي نقل المظاهر الدينية، والثقافية، والحضارية، فضلاً عن الهجرات (١٤).

ويبدو أن عرب الجنوب وخاصة الحضارة (أهل مملكة حضرموت

والدين في هذا العصر - وإن سموا ألهتهم بأسماء شتى - قد دعوا إلى عبادة الله، وصرحوا بأن الإله واحد، وهو يستحق العبادة، ومنه تطلب النجاة والسعادة، وقد ظهر هذا التأثير في الديانات والدعوات، التي ظهرت في الهند في العهد الإسلامي، كديانة (Bhagti)، ودعوة (أكبير) (١٥).

ويقول رئيس وزراء الهند (سابقاً) جواهر لال نهرو في كتابه (Discovery of India):

«إن دخول الغزاة الذين جاءوا من شمال غرب الهند قد انتشروا في المجتمع الهندوكي، إنه قد أظهر انقسام الطبقات واللمس المنبوذ، وحب الاعتزال عن العالم الذي كانت تعيش فيه الهند، إن نظرية الأخوة الإسلامية، والمساواة، التي كان المسلمون يؤمنون بها، ويعيشون فيها أثرت في أذهان الهندوس تأثيراً عميقاً، وكان أكثر خضوعاً لهذا التأثير البؤساء، الذين حرم عليهم المجتمع الهندي المساواة، والتمتع بالحقوق الإنسانية». ويقول كاتب عصري وهو (N. C. Mehta) في كتابه (الحضارة الهندية والإسلام) (Indian Civilization and Islam): «إن الإسلام قد حمل إلى الهند مشعلاً من نور، قد انجلت به الظلمات، التي كانت تغشى الحياة الإنسانية، في عصر ماتت فيه المدن القديمة إلى الانحطاط والتدلي، وأصبحت الغايات الفاضلة معتقدات فكرية؛ لقد كانت فتوح الإسلام في عالم الأفكار أوسع وأعظم منها في حقل السياسة، شأنه في الأقطار الأخرى، لقد كان من سوء الحظ أن ظل تاريخ الإسلام في هذا القطر (الهندي) مرتبطاً بالحكومة، فبقيت حقيقة الإسلام في حجاب، وبقيت هباته وأياديه الجميلة مخفية عن الأنظار». ولا يستطيع دين من الأديان، ومدنية من المدنيات تعيش في العالم المتمدن المعمور أن تدعي أنها لم تتأثر بالإسلام والمسلمين في قليل ولا كثير (١٦).



الجنوب والحضارة عامة في نقل تجارة الهند لعدة من الزمن؛ بل انتقلت لاحقاً تلك السيطرة إلى الفرس بعد نجاحهم في طرد الحبشة من بلاد العرب الجنوبية في نهاية القرن السادس الميلادي، وأقاموا حكمهم فيها حتى بزوغ فجر الإسلام (١٢).

ولكن بعد مدة من ذلك الركود والاضمحلال، ومع ظهور الإسلام، واستجابة لتعاليم الإسلام في طلب العلم، واستقصاء أخبار وأحوال الأقطار والأمم، وتشجيعه للأسفار، ومعرفته أخبار البحار، نهض الحضارة، ومعهم من جنوب الجزيرة العربية إخوانهم العمانيون وغيرهم من العرب، واستعادوا لذلك النشاط التجاري البحري حيويته، ومكانته السابقة، حتى وصل قمة الرقي والازدهار. ففي عصر السيادة الإسلامية (العصور الوسطى)، وبعد أن أسلم أهل اليمن وحضرموت نجد أن تجارتهم قد وصلت حينذاك إلى قمة ازدهارها، وكانوا يصدرون البضائع إلى الخليج العربي، ومصر، والسند، ومالابار، وسيلان، وجاوا، والصين وغيرها من البلدان النائية. وفي كل بلد نزلوا فيه قاموا بالدعوة إلى الإسلام، ونشروا تعاليمهم بطريقة سليمة وودية، وبهذه الطريقة وصل صوت الإسلام إلى الهند وسيلان عقب انبثاق فجره من جزيرة العرب... (١٣).

وقد لعبت الموانئ الحضرمية دوراً كبيراً في ذلك النشاط التجاري البحري في عصري: السيادة الإسلامية (الوسيطة)، والحديث، والموانئ هي: الشحر، والمكلا، والهامي. من المرجح أن التخلي عن قننا قد جرى في بداية القرن السابع الميلادي، أو ربما قبل ذلك بقليل تقريباً إثر انقلابات سياسية ودينية، كانت تؤثر آنئذ على مجموع حياة الجزيرة العربية، مؤدية إلى تغييرات في العلاقات والشبكات التجارية. ومع دخول الإسلام انهارت عدة منشآت قبل الإسلام، في حين

ظهرت منشآت أخرى وازدهرت، واستبدلت تلك القديمة بمنشآت جديدة، كمينائي الشحر والهامي وبعدهما المكلا (١٤). وهكذا تميز الشريط الساحلي الحضرمي بوجود عدد من الموانئ التجارية المهمة، ولا شك أن أقدمها ميناء قنا الميناء الرئيس لمملكة حضرموت القديمة، أما الموانئ الأخرى فمنها:

ميناء الشحر:

وهو ساحل حضرموت الممتد بينها وبين عُمان، وكانت الشحر تطلق على جميع سواحل حضرموت، وأرض المهرة، وعُمان (١٥). وكان ميناء الشحر ميناء رئيساً على خطوط التجارة العالمية، وهذا الميناء أصبح لاحقاً اسماً للمدينة، بل أضفى على المدينة هذه الأهمية (١٦). وهكذا كانت الشحر تتمتع بأهمية كبيرة؛ حيث كانت تقوم بدور التبادل التجاري بين الهند، والخليج العربي، ومصر، ومشرق أفريقيا، وكانت مثل ميناء (ترانزيت) إلى ومن أقطار خارجية عديدة، في مقدمتها الهند وشرق أفريقيا وجنوبها، وازدهرت فيها تجارة اللبان، حتى أن البعض كان يطلق عليها أرض اللبان، وحتى أن البعض كان يطلق عليها أرض اللبان، ينسب إليها (اللبان الشحري)، وبهذا الصدد يقال عن الشحر (١٧):

أذهب إلى الشحر ودع عمانا

إن لم تجد ثمرًا تجد لبانا
وإلى جانب تجارتهم في اللبان وسلع أخرى، ازدهرت أيضاً في ميناء الشحر تجارة الدقيق، بل كانت من أهم وارداتها (١٨). وهكذا ظلت الشحر ولحقة طويلة (قديمًا، ووسيطًا، وحديثًا) حاضرة حضرموت، ومركزها التجاري على العالم الخارجي، تستقبل العديد من السفن والمراكب القادمة من مناطق عديدة من أفريقيا، والهند، والشرق الأقصى، وعدن والخليج العربي (١٩). ولاحقاً ضعفت أهمية ميناء الشحر في النشاط التجاري الحضرمي وحل محلها ميناء المكلا، فأصبحت المكلا حاضرة

السلطنة القيعيطية وميناءها الرئيس، بل ملتقى لطرق التجارة البحرية القادمة من سواحل شرق أفريقيا وعدن من جهة، وسواحل الخليج العربي والهند وشرق آسيا من جهة أخرى (٢٠).

ميناء بروم:

تقع بروم غربي مدينة المكلا بنحو ٢٥ كلم، ومينائها موغل في القدم، فقد جاء ذكره في خريطة الرحالة اليوناني بطليموس، التي وضعها في أجواء سنة ١٤٠م كميناء تجاري تؤمه السفن عابرة المحيط الهندي. لذلك كانت بروم من الموانئ ذات الأهمية في ملاحه حضرموت منذ القدم؛ حيث جاء ذكرها في سجلات الملاحين العرب وخاصة الحضارة والخليجيين بأنها ميناء أريب (مكان حفظ السفن عند اشتداد الرياح الموسمية الجنوبية الغربية المعروفة عند الملاحيين بالزيب)، أي مكان صون وحفظ السفن، ومكان السقيا والتزود بالماء). وقد اشتهرت مدينة بروم بأنها محضن للسفن الشراعية، وهي العرسي الأمن لها حتى يوم الناس هذا؛ لحفظها من الزوابع البحرية والرياح التي تهب على البحر العربي في فصل الصيف أو الخريف كما يسميه الحضارم (٢١).

ميناء الهامي:

تقع مدينة الهامي ومينائها إلى الشرق من الشحر، اشتهرت بأنها مصنع للملاحين الماهرين أكثر منها ميناء تجاري، وقد لعب ملاحو الهامي دوراً كبيراً في الملاحة البحرية منذ فجر التاريخ، فهم الذين يسيرون الخط التجاري القديم بين الشحر، والهند، والخليج، وشرق أفريقيا وجنوبها، ولقد عُرف أهل الهامي بروح المغامرة البحرية، واشتهروا في حضرموت بأنهم ذوو الحرف الأربع، أي أن ابن الهامي ملاح بحري، وصائد سمك، وفلاح، وتاجر صغير، غير أنهم اشتهروا بالملاحة، وقد أنجبت الهامي مشاهير الملاحين أو الريابنة الحضارم ومنهم:



57

العدد (9)

يوليو
سبتمبر
2018م

الزعامة العلمية والدينية، ومشاركتهم في الحياة الاقتصادية، واشترآهم في الجيش الهندي - حيدر آباد... انظر: محمد أحمد الشاطري: دراسة شاملة عن الهجرة الحضرمية، قدمت لمؤتمر المغتربين بعدن ١٩٧٠م ص ١-٥.

(١٤) ألكسندر سيدوف: قنا ميناء كبير بين الهند والبحر المتوسط، مرجع سابق، ص ١٩٦.

(١٥) ثابت اليزيدي: الدولة الكثيرية الثانية في حضرموت، ط ١، الشارقة، ٢٠٠٢م، ص ٤٣. (١٦) وللإفادة الوافية عن الشجر وتسميتها بالشجر وموقعها.. انظر، خميس باحمدان: الشجر غير التاريخ، صنعاء، ٢٠٠٥م، ص ١٥ وما بعدها.

(١٧) محمد عبدالقادر بامطرف: الشهداء السبعة، ط ٢، دار الهمداني، عدن، ١٩٨٣م، ص ٢١-٢٣.

(١٨) محمد عبدالكريم عكاشة: قيام السلطنة القيعية والتغلغل الاستعماري في حضرموت (١٨٣٩-١٩١٨م)، ط ١، دار ابن رشد، عمان، ١٩٨٥م، ص ١٤؛ ونقلًا عن: Wellested, J. R, Travels in Aralia, Vol. ١٢ (P. ٤٣٤-٥٠١).

(١٩) للإفادة الوافية حول الشجر ودورها في النشاط التجاري انظر: ثابت اليزيدي: الدولة الكثيرية، ص ٤٣-٤٦؛ وبامطرف: الشهداء السبعة، ص ٢١-٢٦؛ ويحيى محمد غالب: الهجرات اليمنية الحضرمية إلى إندونيسيا، ط ١، تريم حضرموت، ٢٠٠٨م، ص ٤٤-٤٧.

(٢٠) عبدالله الجعدي: الأوضاع الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية في حضرموت، ط ١، الشارقة، ٢٠٠١م، ص ١٠٣؛ وعكاشة: قيام السلطنة القيعية، ص ٢٢٥، ٢٢٠؛ وثابت اليزيدي: الدولة الكثيرية، ص ٤٨-٤٩.

(٢١) لمزيد من المعلومات عن هذا الميناء، انظر، محمد علوي باهارون: ميناء بروم.. تاريخ ملاحي عريق لمرسى أمن، مجلة (شعاع الأمل)، العدد (١١٧)، حضرموت - المكلا، يناير ٢٠١٢م، ص ٢٤-٢٥.

(٢٢) الجعدي: الأوضاع الاجتماعية...، ص ١٠٥-١٠٦؛ أحمد محمد باعباد: الرحلات البحرية لملاحي حضرموت، ط ١، دار الحامي، حضرموت، ٢٠١٠م، ص ٥-٨؛ وبامطرف: الشهداء السبعة، ص ٥٠-٥٢.

(٢٣) بامطرف: الشهداء السبعة، ص ٥٢. ولمعرفة المزيد انظر، محمد باهارون: الحامي.. ملاحوها أشهر من نار على علم، ص ٢٣-٢٥.

الندوي: تاريخ الصلات، مرجع سابق، ص ٣٦؛ نقلًا عن: القاضي أطر المباركبوري: رجال الهند والسند، ص ١٨٩، ١٣٨، ١٩٠، ٢٧٢.

(٢) محمد الندوي: تاريخ الصلات، ص ٣٦-٣٧. (٣) محمد الندوي: تاريخ الصلات، ص ٣٧-٣٩؛ وانظر، جوزيف شاخوت وبوزورث: تراث الإسلام، ج ١، ترجمة: حسين مؤنس، ج ١، ط ٣، عالم المعرفة، العدد (٢٣٣)، الكويت، مايو ١٩٩٨م، ص ١٨٠-١٨١.

(٤) أبو الحسن الندوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ط ٨، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٤م، ص ١٢٦-١٢٧. (٥) ولمعرفة المزيد عن تلك الأراء انظر، أبو الحسن الندوي: ماذا خسر العالم، ص ١٢٠-١٢٨؛ ومحمد الأشقر: تجارة التوابل في مصر في العصر المملوكي، القاهرة، ١٩٩٩م، ص ٣٧٥-٣٨٢.

(٦) أسمهان الجرو: موجز التاريخ السياسي - اليمن القديم، ط ١، إربيد، الأردن، ١٩٩٦م، ص ٥؛ وأحمد بن بريك: اليمن والتنافس الدولي على البحر الأحمر، ط ١، دار الثقافة، الشارقة، ودار جامعة عدن، عدن، ٢٠٠١م، ص ٧.

(٧) عبدالرحمن الملاحي: الحضارم في ممباسه ودار السلام، ط ١، دار حضرموت، المكلا، ٢٠٠٤م، ص ٦-٧.

(٨) شوقي عبدالقوي: تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية، مرجع سابق، ص ٧.

(٩) أسمهان الجرو: طرق التجارة البرية والبحرية في اليمن القديم، مجلة العلوم الإنسانية (م)، (٢)، (٢)، جامعة عدن، ١٩٩٩م، ص ٢٩. والعواضي والأدهم، بلاد اليمن في المصادر الكلاسيكية، مرجع سابق، ص ٤٢-٤٦.

(١٠) أسمهان الجرو: طرق التجارة، مرجع سابق، ص ٢٩؛ وانظر: Schoff, The Periplus of the Erythraen Sea, ch. ٢٧-٢٢.

(١١) وللإفادة الوافية انظر، أكوبيان وآخرون: التقنيات الأثرية في ميناء قنا القديم، ص ٤٢-٤٨؛ وأسمهان الجرو: الموانئ العمانية، ص ١٧٢-١٧٥.

(١٢) أنور عبدالعليم: الملاحة وعلوم البحار عند العرب، مرجع سابق، ص ١٨-٢٠.

(١٣) حسن صالح شهاب: أضواء على تاريخ اليمن البحري، ط ٢، دار العودة، بيروت، ١٩٨١م، ص ٨٢، ولمعرفة المزيد عن سيل الهجرة الحضرمية إلى الهند منذ القرن ٧هـ وقبله واستقرارهم في الهند ودورهم في الدعوة الإسلامية، وإمسآهم بزممام

الريان سعيد بن سالم باطايح المتوفى سنة ١٢٧٣هـ / ١٨٥٦م، والملاح عوض بن أحمد بن عروة المتوفى عام ١٣٣٣هـ / ١٩١٥م، والملاح محمد عوض عبيد المتوفى ١٣٥٨هـ / ١٩٣٨م، والملاح محمد بن عبدالله بن سالم باعباد (١٣٠٤هـ / ١٨٩١م- ١٤٠١هـ / ١٩٨١م)، والملاح عمر عبيد باصالح المتوفى (١٣٦١هـ / ١٩٤٢م)، وحفيده الملاح أحمد عوض باصالح، المتوفى في عدن عن (حوالي ٩٥ عامًا)، وفي مدح ملاحي الحامي قال الشاعر الشعبي سالمين بن مسلم الشحري (ت ١١٩٤هـ) (٢٣):

بن سلم قال بانناظور خايل ساعية

نثخت من زنجبار

وسطها شبان ذي ما يحسبون التالية

يطعمون العلوق

وخلاصة القول إن النشاط التجاري الملاحي بين حضرموت والهند، له تأثيرات كبيرة على الجانبين، فقد تمخض عنه إقامة الجاليات الحضرمية في الهند والجاليات الهندية في حضرموت، لإدارة أنشطتهم التجارية، بل يبدو أن ذلك كان أساساً ورافداً لهجرات الطرفين. وعلى هذا الأساس حدث الاستيطان، ففي المدن - الموانئ الحضرمية استوطن الكثير من الهنود، وحدث الاختلاط والتزاوج بينهم، والتأثير والتأثر في جوانب عديدة من حياتهم.

الهوامش:

(١) الزط: اشتركت طائفة من الزط في الغزوات الإسلامية. ولما فتح المسلمون خراسان كان هؤلاء في الجيش الإسلامي. وقد دخلوا السياسة لأول مرة في عهد الحجاج بن يوسف؛ لأن الحجاج أرسل محمد بن هارون إلى مكران ليقوم بمهمة إدارة شئون الهند والسند ويؤدب الغابثيين في تلك المنطقة ويعيد إلى البلاد الأمن والاستقرار. فحارب محمد بن هارون القراصنة واستولى على مكران. وكان محمد بن هارون هذا ينحدر من سلالة الزط. محمد

لهجة حضرموت

(الحلقة الثالثة)



الناحية، وسكنها بنوه)) (٣١) ومدينة تريم ((سميت بتريم نسبة إلى قبيلة، سكنتها، تحمل نفس الاسم، ويرى آخرون أنها سميت تريم نسبة إلى تريم بن حضرموت بن سبا الأصغر)) (٣٢) ومدينة شبام ((سميت باسم ملكها الحارث بن حضرموت بن سبا الأصغر)) (٣٣). إن سبا ليست هي الأقدم في البلاد العربية الجنوبية، و((يكاد يجمع العلماء والباحثون على أن أقدم النقوش السبئية لا يتجاوز القرن الثامن قبل الميلاد؛ حيث وردت لفظة مركب حوالي العام ٨٠٠ قبل الميلاد، ويعد المركب السبئي كرب إل وتر بن ذمار علي مؤسس مملكة سبا، وأول ملوكها في حوالي منتصف القرن السابع قبل الميلاد)) (٣٤) و((أقدم نقش يذكر حمير هو نقش حضرمي (RES ٢٦٨٧)، مسجل على سور موقع (البنا)، يعود تاريخه إلى القرن الأول قبل الميلاد، فحمير لم تظهر في النقوش كقبيلة واحدة، بل تجمع قبلي، فتذكرها كشعوب (أشعب حمير) (Ja ٥٧٦)، أي شعوب حمير وليس شعب حمير.. ويرى الكثير من المؤرخين أن الحميريين كانوا أذواء صغار، يدورون في فلك الدولة القتبانية، ثم انفصلوا عنها

حضرموت، ولا غيرهم من ملوك الممالك العربية الجنوبية الأخرى؛ حيث لا يوجد أي نقش يتحدث عن ذلك أو يؤكد.

وفي حضرموت ينسب الناس كل قديم إلى عاد؛ لأنهم لا يعرفون قديماً قبل عاد من سكن هذه البلاد، فمدينة الشحر هي مدينة آل عاد، والخرائب القديمة في وادي حضرموت عادية، أما المؤرخون اليمنيون ومن نحا نحوهم فكل قديم عندهم ينسب إلى حمير، والسبب في ذلك كما يقول ناصر صالح يسلم حبتور: يعود إلى ((تأخر تدوين أخبار الأقدمين، مما جعلهم (أي رواة الأخبار) ينسبون كل قديم إلى حمير ابتداءً من اللغة وحتى أسماء المدن التي ظهرت قبل أن تُعرف حمير بقرون)) (٣٥).

وقد دأب لسان اليمن أبو محمد الحسن بن أحمد الهمداني على نسبة حضرموت ومدنها وقراها، وحتى قبائلها لأجداد وهميين من سبا وحمير، فحضرموت عند أبي محمد ((من اليمن وهي جزؤها الأصغر، نسبت هذه البلدة إلى حضرموت بن حمير الأصغر، فغلب عليها اسم ساكنها)) (٣٦) وهي عند صالح الحامد ((حضرموت في الأصل على ما قبل اسم ملك من ملوك حمير، وبه سميت



محمد عوض محروس

لهجة حضرموت ولغتها العربية الجنوبية القديمة:

لهجة حضرموت هي في الأساس من لغتها القديمة، التي جاءت منها أسماء المناطق، التي ما زال فيها رسوم وآثار القدماء، سواء في محافظة حضرموت بحدودها المعروفة اليوم، أو في المحافظات المجاورة، التي كانت جزءاً من مملكة حضرموت، والتي ظلت بكاملها أو أجزاء منها تحت سلطة الدول الحضرمية الكثيرة الأولى والثانية، والقعيطية حتى عهد قريب. وأسماء مناطق ووديان حضرموت ومدنها وقراها هي من لغتها العربية الجنوبية القديمة، وهي دالة على الأماكن التي تقع فيها، ولا تحمل أسماؤها اسم أي ملك من ملوك



ضمن المناطق السكنية في كل من مدينتي الشحر والديس الشرقية. والمقد منطقة كبيرة تقع شمال مدينة الحامي الساحلية، والمقد أحد الأحياء الرئيسة القديمة في مدينة العلم غيل باوزير. ومدينة الجحي هي جحي الخناششة في وادي دوعن الأيسر، والجحي اسم لمناطق سكنية متعددة في كل من مدينتي الريدة وقصيعر في الساحل الشرقي لحضرموت.

ولفظ شبا تعني صعد أو ارتفع في المرتفعات أو الجبال، ومنها جاء اسما مدينتي (شبووة) عاصمة مملكة حضرموت القديمة، وشبام عاصمة وادي حضرموت الإدارية والتجارية، وهي من العلو والارتفاع، وقد ورد اسم شبوة بالتاء المفتوحة (ش ب و ت)، أما الميم في شبام فيبدو أنه ميم التعريف في اللغة الحضرمية، وتقع مدينة شبام على مرتفع ترابي إلى الشمال في مجرى وادي حضرموت، و(التحظى شبوة بموقع متميز بفعل الظروف الطبيعية، فهي عبارة عن مرتفع صخري محمي في الصحراء) (١٢١).

من تلك العينة من أسماء مدن وقرى ومناطق حضرموت يتبين أنها أسماء حضرمية من لغة حضرموت، وهي اللغة العربية الجنوبية القديمة، وهي في الغالب تدل على الأماكن التي تقع فيها، وأما الادعاء بإطلاق أسماء ملوك مملكة حضرموت أو غيرهم من ملوك الممالك العربية الجنوبية الأخرى، أو أسماء من أنساب مختلفة وغير واقعية على أي منطقة أو وادي أو مدينة أو قرية حضرمية قديمة من غير أي مستند نقشي يعزز، فهو ادعاء باطل، وترديد لكلام مختلف ومغلوط.

وتعرفنا النقوش الحضرمية على بعض أسماء الحضارم القديمة (١٢٢)، التي ما زال بعض الحضارم يتسمى بها إلى اليوم، ومنها:

الهجرين من هجر، والهجر في لغة حضرموت تعني مدينة أو قرية. وقد سميت مدينة ميفعة في النقوش هجر ميفعت. ويذكر بطرس قرياز نفتش أن اسم ميناء (القنا تعني كتسمية لما يجاور الميناء القديم، والمكون من جزر مسماه باسم جزائر القنا) (١٢٣).

والحدبة (هي الأرض ذات التربة الطينية الصلبة القوية، وهي مثل حدبة آل سيلان بوادي بن علي)، و(حدبة باعيسى)، و(حدبة آل فارس) مع نهاية وادي عمد وبداية منطقة الكسر، و(حدبة آل غزي)، و(حدبة الصقعان)، و(حدبة آل سلطان)، و(حدبة الشمس) بوادي سر، و(حدبة بحران بمنطقة الكسر)، و(حدبة الغصن) بوادي عدم (١٢٤)، وحدبتي الديس والريدة الشرقية بشرق ساحل حضرموت.

والريدة هي المنطقة السهلية، التي يوجد بها الماء الضروري للحياة، وهي مثل: ريذة عبـد الودود أو الريدة الشرقية في شرق ساحل حضرموت، وريذة المعارة، وريذة الجوهيين، وريذة الدين في هضبة حضرموت الجنوبية، وريذة الصيعر في هضبة حضرموت الشمالية، ومثلها أو قريب منها عيص بويش شرق المكلا، وعيص خرد شرق الشحر، وعيص سيحوت في غرب محافظة المهرة؛ حيث يكثر وجود المياه بسبب وقوعها على مخارج وديان كبيرة، تمر بها السيول باستمرار.

والسوط والجول والمقد والجحي هي أراض مسطحة صلبة، ومرتفعة عن مجاري المياه، فالسيطان اسم قديم لمناطق متعددة في غرب هضبة حضرموت الجنوبية، كسوط المعوس، وسوط بن سميدي، وسوط بلعبيد. ومن الجيلان هناك جول باحـاوة عاصمة مديرية حجر، وفي المكلا جول الشفاء وجول مسحة، والجول من

مكونين كتلة سياسية مستقلة) (١٢٥)؛ حيث ظهرت دولتهم سنة ١١٥ قبل الميلاد، وحتى لو كان وجود سبا وحميز في البلاد العربية الجنوبية أقدم مما ذكر فإنه لا يبرر نسبة البلاد العربية الجنوبية ومدنها وأهلها حصراً في سبا وحميز (الأكبر والأصغر)، علماً أن التجمعات القبلية عادة لا تنتسب لأب واحد، ناهيك عن حضارية شعب حضرموت منذ القدم، واهتمامه بالإنتاج الزراعي، والحرفي، والتجارة، وخلق علاقات إنسانية مع الآخرين، بعيدة عن أي عصبية قبلية.

وعند احتلالهم لحضرموت (أي سبا وحميز) في القرن الرابع الميلادي وجدوا وديانها ومدنها وقراها عامرة بالحياة، ولذلك فإن أسماء الأماكن في حضرموت أقدم من تواجد السبئيين والحميزيين فيها، وتلك الأسماء دالة على الأماكن، التي تقع فيها، فاسم مدينة الشحر أطلقه عليها المهرة، كما يقول محمد عبد القادر بامطرف (١٢٦)، وللأسم دلالة على مدينة قديمة، كانت تعد عاصمة لإقليم الشحر، الذي كان يمتد إلى ظفار في الشرق، وقد ذكرت النقوش (الأسعا) كاسم قديم لمدينة الشحر، ويذكره البعض كاسم لأحد ملوك حضرموت، أطلق على المدينة، ولا يذكر أي مصدر نقشي استند إليه، علماً بأنه لا يوجد أي نقش يذكر ملكاً من ملوك حضرموت بهذا الاسم. واشتقاق (اللفظ (المكلا) من (الكل) و(الكلاء) و(الكلاءة) أي الحفظ والحراسة، وسميت بذلك لأنها موضع ثرقاً فيه السفن لثحمي من الرياح. وسينون (ذكرت في النقوش باسم سيان = سيان = سين المعبود الرئيس لمملكة حضرموت الذي يرجع بعض علماء النقوش أن المدينة سميت باسمه) (١٢٧)، واسم مدينة



60

العدد (9)
يوليو
سبتمبر
2018م

١- أمين. ٢- بكر. ٣- الحمد - حمد.
٤- حنبص. ٥- خير. ٦- ربيعة. ٧- زهير.
٨- ساد. ٩- سعدت. ١٠- سلم.
١١- سلمى. ١٢- شرح إل - شرح ايل -
شراحيل. ١٣- صلح. ١٤- عطية. ١٥- علي.
١٦- عمر. ١٧- غوث. ١٨- قثم - القثم.
١٩- كليب. ٢٠- مالك. ٢١- نصر. ٢٢- نعمت.
٢٣- نعيم. ٢٤- ملك. ٢٥- نمر. ٢٦- وائل.

ومن لهجة حضرموت ولغتها القديمة جاءت الانفاظ الآتية:

حرف الألف: ألف يألِف: بمعنى تعود،
يتعود. كقول الشاعر سعيد فرج باحريز:
ألف ألفت قلبي بالهمل حاسب إن الهمل أمره سهل
حرف الباء: بَقَص، يُبَقِّص: بمعنى
نقص بقصد الاقتصاد والحد من
الصرف والإنفاق وفقاً لقولهم: من ما
بَقَص رَقَص.

حرف التاء: تَقَن، يتَقَن: تذكر، يتذكر.
حرف الثاء: ثار، يثار: بمعنى قام يقوم
كقولهم: ما ثار قالوا حملوه.

حرف الجيم: جَحَب، يجحب (السفينة): أي
يوقفها في المجحب، وهو الساحل
المحمي من الرياح بمياهه الضحلة،
بقصد صيانة السفينة.

حرف الحاء: حَوَّل، يُحوَّل: ينطق
بالتحويلة (حول.. يا حول.. يا حوله)
عند نزول المطر، وعند ظهور الشارة،
وهي العلامات الدالة على المطر،
وحتى عند احتباس المطر.

حرف الخاء: خَصَرَ، يَخْصِر: تجاهل، يتجاهل،
كقولهم: خَصَرَ الكلب تسلم من
نجاسته، وخَصَرَ، يُخْصِر من الخصار،
وهو الإدام.

حرف الدال: دهر، يدهر: طبخ أو يطبخ
الأكل في التتار، وهو التنور البلدي.

حرف الذال: ذَلَح، يذَلَح: صب، يصب،
سكب، يسكب.

حرف الراء: رَخَص، يَرُخَص: سب، يسب،
بدوية من المشقاص.

حرف الزاي: زَرَّق، يُزَرَّق بعيونه: كرر، أو
يكرر، ويطيّل النظر.

حرف السين: سَبَر، يسبَر: استمر، يستمر،
سَبَر، يُسَبَر: بدأ، يبدأ.

حرف الشين: شَخَط، يشخَط: ولع
بالشخط، والشخط هو علبة الكبريت،
وشخط الذبيحة تعني أنه قام بذبحها
بالسكين، وشخط الهوري وهو أصغر
سفن الاصطياد السمكي، تعني أنه
نزل من البحر إلى السيف، وشخَط
تعني أنه خطط بقلمه، أو بأي شيء
آخر، وشخَط الفلاح الميدع، وهو شجرة
جوز الهند، تعني أن الفلاح قام بقطع
جزء صغير جداً من عذقها؛ حيث يخرج
الحليب الذي يصبح خلاً فيما بعد.

حرف الصاد: صَرَب، يصرَب: حصد، يحصد.
حرف الضاء: ضَوَى، يَضُوِي: عاد، يعود مساءً.
حرف الطاء: طَرَب، يطرَب: وافق، يوافق،
طرَب، يُطرَب: من التطروبة، وهي
الإعلان بالمناداة من مكان عال، أو من
وسط الناس.

حرف الظاء: ظَفَر، يظْفَر: لبس أو يلبس
البئر بالحجارة.

حرف العين: عَكَى، يُعَكِي: عقد، يعقد
الأمر ويجعل منه مشكلة، أو عقد
الحبل، وعكسه بَتَّى، يُبَتِّي.

حرف الغين: غَضَف، يُغَضِف: حمل،
يحمل، غَضَفَ، يُغَضِف: يلف أجزاء من
أحشاء الذبيحة بقطعة من أمعائها
ليجعل منها مغضاف جمعه مغاضيف.

حرف الفاء: فَرَصَ، يُفَرِّص (العصيد)، أي
يخرجها من القدر، ويوزعها على
الصحون، ويضع عليها السليط، أو
السمن مع السكر أو العسل.

حرف القاف: قَلَدَ، يُقَلِد: أغلق، يغلق.

حرف الكاف: كَزَّ التتار: أشعل النار فيه.

حرف اللام: لَحِم، يلحم: تعود، يتعود.

حرف الميم: مَحَضَ، يُمَحِّض: يلبس، أو
يطلي الجدار بالطين.

حرف النون: نَزَغَ، ينزَغ: من قاموس
الصيادين والملاحين بمعنى سحب،
يسحب.

حرف الهاء: هَضَلَ، يهَضَل: ضعف، يضعف.

حرف الواو: وَجَل، يوجَل: احتار، يحتار.
حرف الياء: يَضَّرَ، يبيضَر: ضجر، يُضْجِر،
وهي من لهجة وادي حضرموت، ضبح،
يضبح، بلهجة عموم حضرموت.

ومن لغة حضرموت القديمة أدوات
التعريف (الميم) و(النون) في آخر
الاسم، فمن أسماء الناس القديمة
المعرفة بالميم: حضرم، شعرم، عَليم،
عَمَرَم، غوثم، سادَم، حنبصم، قثم،
نصرم، ملكم، صلحم، سلمم (مؤنث)،
ويبدو أن أداة التعريف الميم ما زالت
تتكرر في أسماء الحضارم إلى اليوم في
الأسماء: شعرم، مقرم، غانم، مزاحم،
براهم، وغيرها، ومن أسماء الأماكن
القديمة المعرفة بالميم: أنودم، مدبم،
سمهرم، منوبم، مريمتم، رطغتم كما
جاءت في النقوش، وربما مثلها
الأسماء: حضاتهم، مهيتم، كروشم،
ضرغم، حمم، نيسم، طبوقم وغيرها.

ومن الأسماء المعرفة بالنون التي
تحدث عنها محمد عبدالقادر بامطرف
(معيان ذهبان) في غيل باوزير، وآخر
بالاسم نفسه في تبالة شمال مدينة
الشحر، وأصل اللفظة ذهب، وهي
لفظة حضرمية قديمة تعني النبع أو
مكان تجمع المياه، وعندما عُرِفَت
بالنون أصبحت (ذهبن)، ومع مرور
الزمن أصبحنا نلطقها (ذهبان) (١٥).

ومن أسماء الأماكن المعرفة بالنون:
هينن، طاران، بحران، عقران، صوران،
ثوبان، عبدان، جردان، عزآن، حبان
وغيرها. ومن أسماء الناس المعرفة
بالنون (سبين)، التجمع القبلي
الحضرمي القديم، الذي ورد في نقش
النصر (GLA١٠٠٠)، المؤرخ في
منتصف القرن السابع قبل الميلاد،
وأصل اللفظة (سبيب)، أي تجمع أو
جماعة، وعندما أدخلت عليها أداة
التعريف أصبحت (سبين)، واليوم نحن
نلطقها (سبيان)، وهناك أسماء أخرى
يبدو أنها معرفة بالنون، وهي مثل:



61

العدد (9)
يوليو
سبتمبر
2018م

٢- ابن هلابي صالح سعيد - دخول الإسلام إلى حضرموت، الدار السعودية للطباعة والنشر، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م.

٣- بابعير عبد الله صالح (د) - انحراف اللهجات العربية الحديثة عن العربية الفصحى مظاهر من لهجة مدينة المكلا، دار حضرموت للدراسات والنشر - مؤسسة العون للتنمية - المكلا، ٢٠١٢ م.

٤- باحميد أحمد زين - مدن حضرمية، مجلة (حضرموت الثقافية) العدد (الثالث) رجب ١٤٣٨ هـ / مارس ٢٠١٧ م، مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر - المكلا.

٥- بافقيه محمد عبد القادر - آثار ونقوش العقلة - دراسة ميدانية لأحد المواقع الأثرية بالقرب من شبوة في منطقة حضرموت، القاهرة، ١٩٦٧ م.

٦- بامطرف محمد عبد القادر - الشهداء السبعة، دار الهمداني للطباعة والنشر عدن، ١٩٨٢ م.

ملاحظات على ما أورده الهمداني عن جغرافية حضرموت في كتبه (صفة جزيرة العرب والجزئين الأول والثاني من كتاب الإكليل) دار الهمداني، عدن، ١٩٨٤ م.

٧- باور غليب - أسماء الأشخاص وأسماء الأماكن في نقوش ريبون، نتائج أعمال البعثة اليمنية - السوفيتية لعام ١٩٨٩ م المركز اليمني للأبحاث الثقافية، سينون.

٨- بيرن جاكين - الشواهد الكتابية لمنطقة شبوة وتاريخها، عزة علي عقيل وجان فرانسوا بريتون، شبوة عاصمة حضرموت القديمة، المركز اليمني للدراسات اليمنية، صنعاء، ١٩٩٦ م.

٩- الحامد صالح - تاريخ حضرموت، الجزء الثاني، مكتبة الإرشاد، جدة.

١٠- حبتور ناصر صالح يسلم - اليزنيون موطنهم ودورهم في تاريخ اليمن القديم، جامعة عدن - دار الثقافة العربية، الشارقة، ٢٠٠٢ م.

١١- الصبان محمد عبد القادر - مدينة شبام في سطور، كتيب مسحوب على آلة الرونيو المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف، سينون، ١٩٨٥ م.

١٢- الهمداني الحسن بن أحمد - صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد بن علي الأكو، دار الآداب، بيروت - لبنان، ١٩٨٣ م.

الهوامش:

١. اليزنيون موطنهم ودورهم في تاريخ اليمن القديم، ص ٢٠٢.
٢. صفة جزيرة العرب، ص ١٦٦.
٣. تاريخ حضرموت، جزء ٢، ص ٩.
٤. أحمد زين باحميد، مدن حضرمية، مجلة (حضرموت الثقافية) العدد (الثالث)، مارس ٢٠١٧ م، ص ٣٣.
٥. عبد القادر محمد الصبان، مدينة شبام في سطور، كتيب مسحوب على آلة الرونيو، ص ١.
٦. د. أسهمان سعيد الجرو، موجز التاريخ السياسي القديم لجنوب شبه الجزيرة العربية، ص ٨٩، محمد عبد القادر بافقيه، تاريخ اليمن القديم، ص ٥٥.
٧. د. أسهمان سعيد الجرو، المصدر السابق، ص ٢٠٧.
٨. الشهداء السبعة، ص ٢٢. ٩. د. عبد الله صالح بابعير، انحراف اللهجات العامية الحديثة عن العربية الفصحى، ص ١٢.
١٠. د. عبدالعزيز جعفر بن عقيل، بطاقات من المسب شبام (ح - ٤ جوانب من تاريخها)، ملحق صحيفة (شبام الثقافي) عدد ١١ نوفمبر ١٩٩٩ م، الصفحة الأخيرة.
١١. دراسة ميناء قنا القديم، نتائج أعمال البعثة اليمنية السوفيتية لعام ١٩٨٧ م، ص ٢٣.
١٢. د. عبدالعزيز جعفر بن عقيل، مصدر سابق، الصفحة الأخيرة.
١٣. جاكين بيرن الشواهد الكتابية لمنطقة شبوة وتاريخها شبوة عاصمة حضرموت القديمة، ص ٢٠.
١٤. محمد عبد القادر بافقيه، آثار ونقوش العقلة، ص ٦٠-٩٧، غليب باور، أسماء الأشخاص وأسماء الأماكن في نقوش ريبون، نتائج أعمال البعثة اليمنية السوفيتية لعام ١٩٨٩ م، ص ٦٨-٧١، جاكين بيرن، المصدر السابق، ص ٢٥.
١٥. ملاحظات على ما أورده الهمداني عن جغرافية حضرموت، ص ١٣.
١٦. صالح سعيد بن هلابي، دخول الإسلام إلى حضرموت، ص ٤٣-٤٥.

المراجع:

- ١- ابن عقيل عبدالعزيز جعفر (د) - نصوص نقشية سرجيس فرانتسوزوف تاريخ حضرموت السياسي والاجتماعي قبيل الإسلام وبعده، تقديم وتعريب د. عبد العزيز جعفر بن عقيل المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء، ٢٠٠٤ م.

نعمان، قروان، دومان، سلمان، حسان، حمدان، جبران، مطران، عصبان، ربيحان، جروان، فرحان، حقان، عيبان وغيرها كثير.

وقد خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل مدينة شبوة بلهجتهم عندما كتب لهم يقول: ((... في التبعة شاة، غير مقورة الألياط، ولا خناك، وأنطوا الشبجة، وفي السيوب الخمس، ومن زنى من أمبكر فأصقعه مائة... إلخ الكتاب)) (١٦)، وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم قوله: ((ليس من أمبر أمصيام في أم سفر))، وفي قوله: ((وأنطوا الشبجة)) يتطابق مع نطق قبائل صحراء حضرموت (الكرب والصيعر) وغيرهم من سكان غرب حضرموت، الذين يبدلون العين نوناً، كقولهم: أنطيت بدلاً من أعطيت.

و(أل) التعريف وإبدال اللام فيها ميماً لم يرد في النقوش الحضرمية كما هو ملاحظ في نقوش شبوة وريبون، ويبدو أنها دخلت في لغة الحضارم بعد القرن الرابع الميلادي مع الوافدين إلى حضرموت، وهي ما زالت حاضرة في نطقنا لبعض الألفاظ، كنطقنا للفظ (أمبح) في اسم (ساحل أمبح)، وهو الساحل الممتد بين المجدحة شرق بير علي غرباً ومنطقة الحسي بالقرب من ميفع حجر شرقاً، وبالعودة إلى ما تعلمنا وعلمناه لأطفالنا في الصغر فإن (البح) هو السمك، ومثله (الهم) أي الأكل، و(النم) الأرز، وعليه فإن (ساحل أمبح) اسم لساحل معروف، وهو يعني ساحل السمك، كما توجد أل التعريف (أم) في نطقنا اليوم لاسم وادي (أمبيخة) في المكلا، الذي يقع إلى الشرق من رئاسة جامعة حضرموت، وتوجد أل التعريف (أم) في نطق أهل المشقاص للفظ (أول إمبارح)، التي تعني قبل البارح، أو مساء أمس الأول.



العلاقات العلمية والروحية بين مدينة تريم ومدينة البيضاء

عبد السلام الربيدي

تمهيد^(١)

تتسم مدينة تريم بتاريخ عريق لا سيما في مجال الدراسات الشرعية بشقيها الفقهي المختص بأعمال المكلفين، والروحي الذي يتعلق بالعلاقة العميقة بين العبد وخالقه. وقد كان للحركة العلمية والروحية، التي شهدتها مدينة تريم على مدى قرون، أثرها على كل مناطق حضرموت خاصة، وعلى بعض مدن اليمن والحجاز وجنوب شرق آسيا وأفريقيا والهند وغيرها من مناطق العالم الإسلامي بعامه. ويمكن رصد ذلك الأثر من خلال تتبع أهم عوامله، ويأتي في مقدمتها عاملان أساسيان، أحدهما إنساني مادي، والآخر روحي معنوي.

فأما العامل الإنساني فيتمثل في الهجرات الحضرمية المشهورة تاريخياً، وأما العامل الروحي فيتجلى من خلال انتشار أفكار المدرسة الحضرمية التريمية في تلك الأصقاع جميعها. وغني عن البيان أن هذين العاملين يتضافران بصورة عضوية ضرورية في خلق بيئة صالحة لانتقال الأنماط الثقافية وتجذرها في المجتمعات محل الانتقال والتأثر. ونحن إنما نفرق بين هذين العاملين لغرض إجرائي بحث رغم تضافرها؛ ذلك أن هجرات كثيرة قد حدثت، ولم يصحبها تغييرات نوعية كبرى في البيئة الحاضنة، كتلك التي حدثت بالنسبة للهجرات الحضرمية، فقد تغيرت جرائها شعوب كاملة تغيرات عقدية جذرية «انتقلت بعض تلك الشعوب بالملايين إلى الإسلام؛ بفعل الخطاب الذي كان يتبناه الدعاة

الحضارم، وهو خطاب يعتمد على السلوك أكثر من اعتماده على فنون البلاغة اللفظية»^(٢).

ويحاول هذا البحث أن يلقي الضوء على أثر المدرسة الحضرمية التريمية على مدينة البيضاء، التي اقتبست منها، وكانت امتداداً علمياً وروحياً لها؛ أخذت منها، وتأثرت بها، ودخلت معها في علاقة تبادلية على المستويين المادي والروحي.

وسيتمتع البحث في استبصاراته النظرية (المنهجية) على فحوص السيرورة التاريخية لذلك التأثير، أخذاً في الحسبان المتغير الاجتماعي (السياسيولوجي)، الذي مثل البيئة الحاضنة لحركة التأثير والتأثر بين تريم والبيضاء، وسيستوكل هذا البحث بالمنهج الاستردادي التفسيري، الذي ينطلق من واقعية الحدث التاريخي نحو التفسير، ومن ثم الاستنباط والتركيب.

وسيكون من شأن هذا البحث الاستهداء ببعض المراجع المتعلقة بالموضوع، لا سيما تلك التي تتعلق بجهود السيد محمد بن عبد الله الهدار (بوصفه الشخصية التأسيسية) في إرساء بنيان هذه المدرسة التريمية في البيضاء، ويتعلق الأمر هنا بالكتب، والمراسلات، والوثائق المتاحة. هذا فضلاً عن مشاهدات الباحث العينية، ومعرفته المباشرة.

أما عن المدة التاريخية، فإن البحث سيحاول رسم الخطوط التاريخية الرئيسية لحركة التأثير والتأثر، خلال الحقبة الممتدة منذ ١٣٨٠هـ (١٩٦٠م)، وهي السنة التي تم فيها

تأسيس رباط الهدار للعلوم الشرعية بالبيضاء، حتى الوقت الحاضر ١٤٣١هـ (٢٠١٠م)، مع إيلاء الاهتمام الأكبر بالدور التاريخي، الذي قام به السيد محمد بن عبد الله الهدار منذ تأسيسه للرباط حتى وفاته في الثامن من ربيع الثاني ١٤١٨هـ، رحمه الله تعالى.

ويسبق ذلك بيان تاريخي عن الدور العلمي والروحي لمدينة تريم، عن طريق استقصاء البيئة العلمية، التي تكونت في ذلك المكان، واستتجلاء الملامح الفكرية لتلك المدرسة التريمية.

وعلى ذلك فإن البحث سينقسم إلى قسمين رئيسيين: القسم الأول يتعلق بـ (تريم موطن الأثر)، والقسم الثاني بـ (البيضاء موطن التأثير). وينقسم كل منهما إلى أقسام فرعية جزئية تعالج الظاهرة في مستويي التأسيس والامتداد، بحيث يشمل البحث دائرة الموضوع في بيئتها التاريخية والاجتماعية من جهة، وفي بيئتها التفسيرية التركيبية من جهة أخرى.

١. تريم موطن الأثر:

١.١ البيئة العلمية:

ونقصد بالأثر الحدث التاريخي، وتريم هنا هي موطن الحدث التاريخي محل النظر في هذا البحث. فتريم المدينة الواقعة في شمال شرق مدينة سينون بوادي حضرموت، والتي تبعد عن المكلا حوالي ٣٥٦ كيلومتر، اشتهرت بكونها مدينة العلم والعلماء، فهي العاصمة الروحية لتلك البلاد، وقد دخل أهلها الإسلام في العهد النبوي، ووقفت موقف النصرة والدفاع عن الإسلام أيام حروب



مدينة ترميد

المعرفية والحياتية، وكان لشخصية راعي الرباط، الذي أداره مدة نصف قرن (من ١٣١٤هـ إلى ١٣٦١هـ) السيد عبدالله بن عمر الشاطري دور بارز في توجيه هؤلاء الطلاب، وتربيتهم تربية جدية شاقّة، تؤهلهم لحمل عبء الدعوة، ورسالة العلم العظيمة، وكان من هؤلاء علماء كبار، توزعوا في مناطق عديدة في اليمن وخارج اليمن، ومن هؤلاء -تمثيلاً لا حصراً- الشيخ محمد بن سالم البيحاني، والسيد محمد بن عبدالله الهدار، والسيد إبراهيم بن عقيل، والسيد علي بن أبي بكر المشهور، والسيد محمد بن أحمد الشاطري، والسيد محمد بن سالم بن حفيظ وغيرهم كثيرون ممن انتشروا في أماكن مختلفة، وأسسوا الرباط والمراكز العلمية، وكانوا نماذج تحتذى في السلوك والمعرفة.

ومن هنا فإن رباط ترميد قد شكل بؤرة جامعة لتراث ترميد العلمي، وأضاف إلى ذلك اجتذابه لطلاب العلم من مختلف الأماكن. وبذلك فقد أدى تأسيس هذا الرباط إلى إحداث نقلة نوعية في الدراسات الشرعية الإسلامية على محورين: أحدهما رأسي، والآخر أفقي.

فأما المحور الأول: فقد تم فيه تعميق الموروث الترميدي العلمي في ترميد نفسها عن طريق استحداث هذه المؤسسة، التي ضمت بين جنباتها علماء ترميد، الذين أحيوا التقليد العلمي الشرعي في إقامة الحلقات العلمية، التي تدرس فيها كتب التفسير، والحديث،

الشيخ أحمد المذكور بالحسيمة المذكورة أولاً، وقبره في شعبها»^(١٦). وقد اشتهر من ذرية المهاجر مجموعة كبيرة من العلماء الكبار، الذين درس على أيديهم كثيرون من طلاب العلم، ومن المريدين، الذين تلقوا عنهم الطريقة العلوية، القائمة من حيث تصورها الأساسي على التعمق في العلم الشرعي، وعلى المجاهدة الروحية؛ للوصول إلى رضا الله، ونيل سعادة الدارين. وهي طريقة سلفية من حيث هي تولي الاهتمام الأكبر بالمتابعة المبنية على المحبة.

ومن أهم هؤلاء الذين سارت سيرهم وعلومهم في كل ربوع المعمورة -للمثيل فحسب- الإمام الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي (ت ٦٥٣هـ)، والإمام عبدالله بن علوي الحداد (ت ١١٣٢هـ)، والعارف بالله الشيخ أبوبكر بن عبدالله العيدروس (ت ٩١٤هـ)، والسيد علي بن محمد الحبشي (ت ١٣٣٤هـ)، وغيرهم. وإذا كانت المدن تتميز بمعالم محددة، أو بصفات معينة، فإن ما يميز ترميد هو كونها مدينة علمية ينتشر فيها تدريس العلوم الشرعية، ولا سيما في رباطها المشهور بـ(رباط ترميد)، الذي أسسه مجموعة من أعيان ترميد وساداتها وافتتحوه سنة ١٣٠٥هـ: ليأوي الطلاب الغريباء من كل أنحاء المعمورة. وقد مثل لقاء طلاب العلم في ترميد طوال عقود القرن الرابع عشر الهجري حالة من الثقافة، والتلاقح، والتخالف، فقد أثرت ترميد على مصائرهم

الردة. وقد اشتهرت ترميد بمساجدها وعلمائها، الذين سارت مؤلفاتهم شرقاً وغرباً. وهاجر بعضهم في بلدان الشرق؛ لنشر الإسلام، وتعليم علوم العربية والشرعية، فكانت لهم آثار واسعة النطاق على شعوب أهل تلك البلدان؛ حيث أحدثوا تحولات بالغة في حياتهم، فقد دخلت شعوب جنوب شرق آسيا الإسلام، وكان لذلك دور في تغيير الطابع الحضاري العام لتلك البلدان.

وقد رجع بعض أولئك العلماء من بعد إلى بلدتهم الأم (ترميد) للمساهمة في رسالتها العلمية والروحية.

ومن الأحداث التاريخية المهمة التي شهدتها ترميد بصورة خاصة، وحضرموت بصورة عامة وصول الإمام أحمد بن عيسى الحسيني العلوي المعروف بـ(المهاجر) (ت ٣٤٥هـ) إلى حضرموت، قادماً من العراق بصحبة ابنه عبدالله ومعه أهله وبعض مواليه، وذلك سنة ٣١٨هـ؛ حيث استقر بعد تنقل في ترميد^(١٧). وبسبب دعوته انحسر وجود الإباضية -الذين كانوا ينتشرون في حضرموت- إلى حده الأدنى، ولم يذكر التاريخ عنه الجنوح إلى استخدام القوة من أجل إخضاع خصومه، وهذا ما يذهب إليه الحامد في تاريخه؛ حيث يصرح: «أعتقد أن دعوة المهاجر كانت كلها سلمية، وأنها كانت كلها بالرأي واللسان، لا بالسيف والسنان»^(١٨). ويدلل الحامد على ذلك ببقاء نحلة الإباضية بحضرموت زهاء ثلاثة قرون بعده^(١٩). وقد كان من شأن المهاجر أن طار صيته، واتبعه الكثيرون، وصارت ترميد موطناً لذريته العلويين، ويذكر الشيخ عبدالرحمن بن محمد الخطيب المتوفى سنة ٥٨٨هـ في كتابه (الجوهر الشفاف) كما ينقل عنه الحامد أنه استقر وأهله في ترميد، وبنوا فيها مسجداً، هو مسجد بني أحمد بن عيسى، وحفروا بئراً تعرف بـ(بئر أحمد)، ثم يقول الخطيب: «فزاد الله ترميد شرفاً إلى شرفها، وفخراً إلى فخرها، وفضلاً إلى فضلها، وتوفي



والسيرة النبوية، والفقه، والتصوف، واللغة، والمنطق، وكذلك المجالس الروحانية التي تعج بها تريم أصلاً. وأما المحور الثاني فقد تم فيه نشر فكر هذه المدرسة بصورة واسعة من خلال طلاب العلم الوافدين إليها من مناطق متعددة من العالم، والذين كانوا يقومون بدورهم الإلزامي في البيان والدعوة؛ وهذا يعني اجتذاب المزيد من الطلاب وتوسيع دائرة التأثير.

١.٢ الملامح الفكرية لمدرسة تريم:

مدرسة تريم العلمية مدرسة وسطية تتبع التيار العريض للمسلمين، فهي في مذهبها الفقهي تتبع أحد المذاهب الإسلامية الكبرى وهو مذهب الإمام الشافعي (ت ٢٠٤ هـ)، وقد دخل المذهب الشافعي إلى اليمن عندما تولى الإمام الشافعي القضاء في نجران، ثم انتشر في اليمن عن طريق تلميذه حرمله، الذي ولي القضاء في صنعاء، وكان من رواة مذهبه الجديد الذي أنشأه في مصر. ويذهب السيد سالم بن عبد الله الشاطري إلى أن الإمام أحمد بن عيسى المهاجر قد اعتنق مذهب الإمام الشافعي في القرن الثالث الهجري، وبذلك فهو أول العلويين أخذاً بهذا المذهب الذي انتشر في اليمن؛ لشموله وسعته ومرونته، فهو خلاصة المذاهب الإسلامية الكبرى؛ حيث أخذ الشافعي علم مالك وأبي حنيفة، ودرس على يديه الإمام أحمد بن حنبل، وكان من رواة (١٨). ويرجع الشاطري أن المهاجر لم يكن

إمامياً بل كان شافعيّاً، خلافاً لمن قال بالعكس كابن عبيد الله السقاف وصالح الحامد (٩).

وانتشر بعد ذلك المذهب الشافعي في ربوع حضرموت، وكان أن ازدهر على يد الإمام الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي الذي لقب بـ (الأستاذ الأعظم) (١٠)، وبرز في تريم خاصة وفي حضرموت عامة منذ ذلك العهد حتى اليوم علماء شافعية كبار، كان لهم دور مهم في إغناء المذهب بالكتب الكثيرة الموجزة، والمتوسطة، والمطولة، سواء منها المتون، أو الشروح، أو الحواشي، وسواء منها المنظوم، أو المنثور.

كما كان لهم دور بارز في نشر هذا المذهب السني في أصقاع عديدة من آسيا وأفريقيا. وليس من شأننا هنا الخوض في هذه القضية الواسعة (١١).

أما فيما يتعلق بالعقيدة فالمدرسة التريمية مثلها مثل كبريات المدارس العلمية في العالم الإسلامي (كالأزهر في مصر، وديوبند في الهند، والقرويين والزيتونة في شمال أفريقيا وغيرها) تتبع طريقة الإمام أبي الحسن الأشعري (ت ٣٢٤ هـ)، وهو المذهب الذي اجتمع عليه أهل الفقه، وأهل الحديث؛ لوسطيته ولجمعه بين الاستدلال العقلي، الذي تميز به المعتزلة (وقد كان أبو الحسن في بداية أمره رأس المعتزلة)، والاعتصام بالنص الشرعي، مع ميل إلى التنزيه للذات الإلهية عند الحديث عن الآيات المتشابهات، وإن تطلب الأمر

الأخذ بالتأويل دفعاً لشبه المجسمة وغيرهم (١٢). ولهذه الميزات جنح السواد الأعظم من المسلمين نحو العقيدة الأشعرية، وفي هذا الصدد يقول الدكتور القرضاوي: «إن الأمة الإسلامية منذ قرون -في جملتها- أشعرية» (١٣). ولقد اتبع هذه الطريقة التيار العريض من العلماء المسلمين، وألقوا عنها المؤلفات الكثيرة، ولعل من أهمهم حجة الإسلام محمد بن محمد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ).

هذا، وتشتهر المدرسة الحضرمية التريمية بانتهاجها طريق التصوف، والتصوف في أدبيات هذه المدرسة وسلوك منتسبيها يعني -بعبارة موجزة- التحقق بشروط درجة الإحسان في كل لحظة وكل خطوة، ومن هنا تغدو الحياة كلها عبادة وسير نحو الله، مع زهد في الدنيا، وإعراض عن مباحها.

وقد كان لمحمد بن علي باعلوي (الفقيه المقدم) فضل إدخال طريقة المتصوفة إلى حضرموت، وذلك في القرن السابع الهجري، عندما أخذ الطريقة الصوفية من الشيخ شعيب أبي مدين، بوساطة الشيخ عبد الرحمن المقعد، وعبد الله الصالح المغربيين (١٤). ولأن الفقيه المقدم عالم فقيه، وقد لقب -كما مر- بـ (الأستاذ الأعظم) لتبحره في علوم الشريعة، فقد اختط لمن بعده الطريق، الذي يجمع بين التفقه في الدين والتصوف، وهو ما يعرف بالتصوف السني، الذي يجمع فيه القوم بين



تؤدي به إلى البيضاء موطنه، فأنشد شعرا يملأه الحنين والعزيمة على المضي نحو الأهل:

ألا يا مقرب الليله البيضاء، وما بعد شبام
على الجمال المنية والرجال الهمام (١٩)
فشبام صارت بعيدة وهي القريبة،
والبيضاء صارت قريبة وهي البعيدة،
وليس ذلك إلا في نظر المشتاق، الذي
أمضه الحنين إلى الأهل والسكن،
وبرحت به الأسفار التي يجتاز فيها كثران
الصحاري، وعاليات الجبال.

إذن فالعلاقة التاريخية بين البيضاء وحضرموت علاقة قديمة تضرب بجذورها في أعماق التاريخ؛ وذلك لأن الإنسان اليمني قد عرف التنقل؛ لغرض التجارة واكتساب المعيشة منذ زمن بعيد. لكن علاقة من نوع آخر تربط البيضاء بحضرموت، وهي علاقة علمية روحية، ولها وجهتان متعاكستان في بعدهما الظاهر، لكنهما متفقتان في مضمونهما: فالوجهة الأولى: تتعلق بموجة الدعاة القادمين من حضرموت على مدى قرون، ومنها ما هو موثق، ومنها ما هو غير موثق، وغالباً ما يتجنب العلماء الصوفية ذكر مثل هذه الأمور خوفاً من الرياء والسمة اللذين يحبطان الأعمال، والوجهة الثانية: تتعلق بطلاب العلم، الذين رحلوا إلى تريم طلباً للعلم من مناطق البيضاء وما جاورها، وهذا في معظمه موثق كما سيأتي.

أما بخصوص الوجهة الأولى التي تتصل بالدعاة الحضارم، وخصوصاً من السادة العلويين، الذين كانوا يفدون إلى البيضاء وما جاورها من مناطق، كياض، وبيحان، وبلاد العواذل، وغيرها لغرض الدعوة إلى الله، ونشر المعارف الشرعية، فقد وثق السيد حسين بن محمد الهدار أهم تلك الجهود في كتابه الجامع (هداية الأخيار في سيرة الداعي إلى الله محمد الهدار)، (٢٠). ونحن هنا سنحاول بلورة أهم ما ذكره مفرقاً لغرض بيان أثر تريم على البيضاء من الوجهة العلمية والروحية. وأهم ما يذكر

الغوامض الخفية، مبيناً للأسرار الدقيقة: رأيت أن أضع رسالة تكون كالعنوان والدلالة على صباية من فضله وشرفه، ورشحه من فضل جامعه ومصنّفه... (٢١). وهذا المديح السابغ ينطلق من تقدير عميق يكنه رجالات هذه المدرسة لهذا الكتاب، وقد أورد العيدروس في كتابه الكثير من الأقوال لبعض مشايخ الطريقة في حضرموت، التي يحتون فيها على مطالعة الإحياء، والاستفادة من علومه. فهذه المدرسة الشافعية المذهب، الأشعرية العقيدة، الصوفية المنهج، قد تشكلت صورتها العقدية والسلوكية من خلال التفاعل بين هذه العناصر الثلاثة، فالفقه بلا سلوك هو عمل دنيوي محض كما يذهب إلى ذلك الغزالي في إحيائه، والتصوف بلا فقه يعني الانحراف عن جادة الشرع، والفقه والتصوف لا يستقيمان ما لم يحاطا بعقيدة واضحة المعالم بينة الأدلة راسخة البنيان.

٢. البيضاء موطن التأثير

٢.١ الخلفية التاريخية:

تقع البيضاء في المنطقة الجنوبية الوسطى لليمن، وقد كانت ولا تزال ملتقى لعدد من المحافظات والمناطق الكبرى، التي تحدّها من الشمال ومن الجنوب، ولسبب من هذا الموقع كانت محطة تجارية للقوافل الآتية من أقصى الجنوب إلى الشمال. ومن هذا الباب تأتي علاقتها التاريخية بحضرموت، «وتفيد الأخبار عن بعض المسنين عن من قبلهم أن القوافل التجارية تصل من شبام حضرموت إلى البيضاء، ومنها تعود محملة بالبضائع، وأنها تسلك طريق السرو وأطراف الربع الخالي» (٢٢). وبذلك تكون البيضاء هي المستقر لتلك القوافل، أو المحطة التي تمر من خلالها القوافل إلى أطراف شمال الشمال.

وقد حدثوا أن تاجراً بيضانياً اتجه خارجاً من شبام بقافلته، وعندما خطا خطوته الأولى، نظر وراءه إلى شبام القريبة منه، ونظر أمامه إلى الطريق الطويلة التي

الحقيقة والشريعة، وهو طريق الجنيد والقشيري والغزالي وغيرهم.

ومن هذا الباب نجد الاحتفاء البالغ لأتباع الطريقة العلوية في التصوف برسالة القشيري، وبكتب الإمام الغزالي، ولا سيما (إحياء علوم الدين)، الذي نال من هذه المدرسة كل العناية حتى نستطيع أن نطلق عليه دستوراً في السلوك، فهو عندهم كتاب جامع؛ لأنه يضم بين دفتيه أربعة أرباع (ربيع العبادات، وربيع العادات، وربيع المنجيات، وربيع المهلكات)، تشكل تصوراً عملياً متكاملًا عن المعاش والمعاد، فهذا الكتاب يحوي على ما لا تحويه كتب الفقه وغيرها، ولذلك يقول عنه مؤلفه -عند حديثه عن الطبقة العليا من علوم اللباب-: «وبالجملة يشتمل كتاب (الإحياء) على أربعين كتاباً، يرشدك كل كتاب إلى عقبة من عقبات النفس، وأنها كيف تقطع، وإلى حجاب من حجبها، وأنه كيف يرفع، وهذا العلم فوق علم الفقه والكلام وما قبله؛ لأنه علم طريق السلوك، وذلك علم آلة السلوك، وإصلاح منازل، ودفع مفسداته كما يظهر، والعلم الأعلى الأشرف علم معرفة الله تعالى، فإن سائر العلوم تُراد له ومن أجله ولا يُراد لغيره» (٢٣). ومن هنا حث علماء تريم طلابهم على إيمان النظر فيه، والتعمق في معانيه، ويأتي في مقدمة هؤلاء الإمام عبد الله بن علوي الحداد، الذي يعدّ الوريث الأول للغزالي في الجزيرة العربية وما جاورها، فقد انتهج نهج في مؤلفاته، وأحاديثه، وأشعاره، وسلوكه (٢٤). وفي هذا السياق يقول عبدالقادر بن شيخ العيدروس -وهو علوي حضرمي سكن الهند- (ت ١٠٣٨ هـ) عن سبب تأليفه لرسالته (تعريف الأحياء بفنائل الإحياء): «... لما كان عظيم الوقع [كتاب الإحياء]، كثير النفع، جليل المقدر، ليس له نظير في باب، ولم ينسج على منواله، ولا سمحت قريحة بمثاله، مشتملاً على الشريعة، والطريقة، والحقيقة، كاشفاً عن



66

العدد (9)
يوليو
سبتمبر
2018م



مدينة البيضاء

في هذا السياق رحلة الشيخ الحسين ابن الشيخ أبي بكر بن سالم العلوي، الذي وصل إلى البيضاء سنة ١٠٢٧ هـ وأسس فيها مسجداً يدعى بـ (مسجد الحسين) مع بئر تابعة له، والمسجد ما يزال يعرف باسمه حتى يومنا هذا، وقد كان له دور في الإصلاح بين القبائل المتخاصمة، وفي القيام بواجب الدعوة والإفتاء. وبعد أن عاد إلى حضرموت استمر في جهوده الدعوية والإصلاحية حتى توفي سنة ١٠٤٤ هـ (١٠٢١م).

وممن هاجر من السادة العلويين من حضرموت إلى البيضاء أجداد محمد بن عبد الله الهدار؛ محسن بن علي بن صالح من آل أبي بكر بن سالم، وأخوه سالم، وقد استوطنوا البيضاء في بداية القرن الثالث عشر الهجري على الأرجح (٢٢١)، وقد كان من شأن هذه الأسرة الشريفة أن برز فيهم محمد بن عبد الله الهدار، الذي درس في رباط تريم، ثم أنشأ رباط البيضاء سنة ١٣٨٠ هـ، وبرز من بعده أولاده، وعلى رأسهم حسين بن محمد الهدار.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الأستاذ الكاتب محمد بن أحمد الشاطري قد عمل على ترتيب وزارة المعارف وتنظيمها في السلطنة العودلية قبل قيام الثورة (٢٢٣)، والسلطنة العودلية كانت تقع بمنطقتي مكيراس ولودر، وهما على مقربة من البيضاء، وعلى اتصال وثيق بها من حيث النسيج الاجتماعي، والموروث التاريخي.

ولقد وفد إلى مناطق البيضاء، ويافع، وبيحان، والعواذل، كثيرون من الدعاة الحضارم من آل الحبشي، وآل العمودي، وآل بإفضل، وآل المحضار، وغيرهم، ونحن هنا نكتفي بهذا ففي كتاب (هداية الأخيار) من التفاصيل الجزئية ما يغني.

وأما بخصوص الوجهة الثانية فتتعلق برحلات طلب العلم، التي قام بها بعض سكان البيضاء وما جاورها إلى حضرموت، ويذكر في هذا السياق بعض الشخصيات العلمية، التي اكتسبت معارفها الشرعية في تريم، وعادت إلى

البيضاء، وكان لها أثر كبير في نشر العلوم الشرعية، والقيام بواجب الإفتاء والدعوة، ومن هؤلاء:

- الشيخ محمد بن حسين الهيثمي (٢٤١).
- الشيخ محمد بن أحمد المشعبي (٢٥١).
- صادق بن حسين الهيثمي (٢٦١).
- عبد الله بن عمر بن حسين الهيثمي (٢٧١).
- عبد الله بن محمد المطري (٢٨١).
- محمد بن عبد القادر الشمسي (٢٩١).
- وغيرهم من آل المسيبلي، وآل الهدار، وآل الجندي، وآل الشمسي، إلخ. وقد بسط صاحب (هداية الأخيار) في حواشي كتابه ترجماته لعدد منهم، وذكر رحلاتهم لطلب العلم في حضرموت.

٢.٢ رباط البيضاء: التأسيس والأثر

* أفق التأثر:

غالباً ما تتحدث الدراسات الاجتماعية عن المضمون السلطوي للتأثير، فالتأثير -حسب بودون وبوريكو- شكل خاص من أشكال السلطة يعتمد على آلية الإقناع، وهو يختلف عن الأشكال الإكراهية الأخرى للسلطة (٣٠). لكن المتأمل في العلاقات الدينية بين المدن وما تضيفه بعضها على بعض من إضافات ثقافية تنصبغ بالصبغة الروحية يجد أن الأمر مختلف؛ ففي حالة القناعات الدينية يسري التأثير بشكل سلس وسريع ومتراكم، ويكون المتأثر أحرص على اقتفاء طريق المؤثر من المؤثر

نفسه. وتاريخ الشعوب والمدن التي مرت بمرحلة ما يمكن أن نطلق عليه (الاستهداء الروحي) تشهد بأن تلك الشعوب والمدن قد انطبعت بطابع المؤثر، وأضافت إليه من الأنماط الثقافية المتفرعة ما يدل على خصوصيتها، مع بقاء الصورة الواضحة للأصل. وهنا تنتفي الصيغة السلطوية للتأثير في حالة (الاستهداء الروحي)، ويدخل الأمر في باب القناعات الدينية، التي تتشكل منها العقائد، التي هي أخطر أنواع القناعات على الإطلاق (٣١).

ومن هذا الباب يصح أن نصف العلاقة بين تريم والبيضاء بأنها علاقة (استهداء روحي) واقتباس علمي، ترسّمت بصورة مؤسسية باستحداث رباط الهدار للعلوم الشرعية سنة ١٣٨٠ هـ الموافق ١٩٦٠ م، على يد السيد محمد بن عبد الله الهدار (٣٢)، بإشارة من أستاذه راعي رباط تريم السيد عبد الله بن عمر الشاطري، وقد احتضن الرباط منذ لحظته الأولى طلاب العلم من اليمن وخارجه، وقد تخرج على يد مؤسسه مئات الطلاب، الذين انتشروا في أماكن مختلفة. واستمر الرباط على وتيرته تلك حتى وفاة مؤسسه، وما زال مستمراً في تخريج أفواج الطلاب، برعاية مشايخ الرباط من أبناء السيد محمد الهدار وذريته، وغيرهم من المشايخ الآخرين.



67

العدد (9)
يوليو
سبتمبر
2018م

الحديث) لمحمد بن علوي المالكي، وكتاب (التقارير السنوية بشرح المنظومة البيقونية) للشيخ حسن محمد المشاط.

هذا، ويلفت المشايخ الطلاب إلى مطالعة بعض الكتب المطولة من حواشي وشروح لغرض مناقشتهم فيها، وربما أثاروا لديهم بعض التساؤلات حول بعض المسائل، التي تتطلب الإحاطة بها العودة إلى الحواشي، والشروح المطولة، وبعض الكتب الأخرى، التي لا تدخل ضمن البرنامج الأساسي، وكل ذلك يدخل ضمن دروس المراجعة، التي يقوم بها الطلاب، مع الرجوع إلى مشايخهم لحل ما يشكل عليهم من قضايا علمية.

ويدخل ضمن درس الضحى دراسة وحفظ بعض الطلاب من المبتدئين لعقيدة العوام لعبدالله بن حسين بن طاهر، ودراسة بعض الطلاب من المتقدمين لكتاب الجوهرة في التوحيد بشرح الباجوري، وهو كتاب في العقيدة. ويأتي بعد ذلك درس الظهيرة الذي يأخذ طابع المجلس العام، وفيه تقرأ بعض الأحاديث النبوية من كتاب (الشفاء) للقاضي عياض، و(رياض الصالحين) بشرح دليل الفالحين) لابن علان الصديقي الشافعي. وتقرأ بعض أحاديث السيد محمد الهدار المجموعة من جلسات كان قد عقدها في الرباط، وتم جمعها في مجموع (الغيث المدرار)، ويقلب عليها الطابع الوعظي التذكيري، بلهجة وسط بين العامية والفصحى، ثم تبدأ الحلقات الخاصة بقراءة القرآن الكريم وتجويده على يد المشايخ المتمرسين.

أما درس العصر فيقرأ فيه صحيح البخاري، وتعد بعض الدروس الخاصة في بيوت بعض المشايخ للقراءة في (كنز العمال)، وكتب الأمهات الست في الحديث، كما تقرأ بعض كتب التصوف، والتفسير، والسيرة النبوية في هذا الوقت (ويسمى هذا المجلس في

لابن هشام، أو غيرهما من كتب النحو وحواشيه المطولة.

يعقب ذلك درس الضحى، الذي يتوزع في الدراسات الفقهية بمختلف أنواعها من عبادات، ومعاملات، وفرائض، وأنكحة، وتعتمد الدروس على بعض الكتب الفقهية الشافعية، التي يقرأها الطلاب على المشايخ، وتدرج حسب مستويات الطلاب من الكتب الموجزة الصغيرة (المتون) إلى الكتب المتوسطة، إلى المطولات من الشروح والحواشي. وأهم تلك الكتب من كتب فقه العبادات الصغيرة كتاب (سفينة النجاة) لابن سمير التريمي، و(الرسالة) لأحمد زيني دحلان، و(أهم الواجبات والمندوبات) لحسين بن محمد الهدار، ومن أهم الكتب المتوسطة كتاب (متن أبي شجاع)، وكتاب (الياقوت النفيس) للشاطري، وكتاب (العمدة) لابن النقيب المصري، و(المقدمة الحضرية) لبافضل وشرحها (بشرى الكريم) لسعيد بن محمد باعشن، وكتاب (زبدة الحديث في علم المواريث) للسيد محمد بن سالم بن حفيظ، وكتاب (فتوحات الباعث شرح تقرير المباحث في أحكام إث الوارث) لأبي بكر بن عبد الرحمن بن شهاب، و(المفتاح لباب النكاح) في الأنكحة لابن حفيظ، و(عدة السلاح في أحكام النكاح) لبافضل مع شرح بامخرمة وتعليق الشيخ محمد بن حفيظ، و(متن الورقات) في علم أصول الفقه للشيخ العمريطي بشرح المالكي، و(المستصفي من علم الأصول) للغزالي، و(إرشاد الفحول إلى علم الأصول) للشوكاني. أما الكتب المطولة فيأتي في طليعتها كتاب (المنهاج) للنووي بشروحه المختلفة كشرح الشربيني، وشرح ابن حجر الهيتمي، وشرح الرملي، وبعض الكتب في المسائل الفقهية ككتاب (بغية المسترشدين) لمفتي تريم عبد الرحمن المشهور.

ومن كتب علم الحديث التي تدرس كتاب (القواعد الأساسية في مصطلح

* البرنامج الدراسي: الحلقات والمجالس العامة:

وقد اتبع الرباط في برنامجها الدراسي (٢٣) النهج التقليدي للربط والمعاهد العلمية، وخصوصاً رباط تريم، سواء فيما يتعلق بتقسيم الأوقات، أو بمضمون المادة العلمية المقدمة للطلاب، مع اختلاف في التفاصيل المتعلقة باختيار هذا الكتاب أو ذاك. أما فيما يخص أوقات الدرس فتبدأ من الساعة الأولى للنهار؛ حيث يبدأ درس الصباح بتسميع الطلاب المبتدئين لمحفوظاتهم، وغالباً ما تكون من القرآن الكريم، والأربعين النووية في الحديث، كما إن من الطلاب من يسمع محفوظه من المتن المثورة كالأجرومية في النحو، و(متن أبي شجاع في الفقه، أو المنظومة كالفية ابن مالك، وملحة الإعراب في النحو، و(متن الزبد في الفقه، والرحبية في المواريث، والبيقونية في علم الحديث، وغير ذلك. ويشاع الحفظ في الرباط كغيره من المعاهد الإسلامية التقليدية، وتأتي طريقة الحفظ في الدراسة اتساقاً مع التقليد الذي يرى ضرورة فهم المتن وتحقيقها وحفظها، ومن الموروث المبرر في الرباط قولهم: (من حفظ المتن نال المنون)، و(احفظ فكل حافظ إمام)، و(علموهم المتن ثم أروهم في البحر)، وغير ذلك من المنطوقات المثلية المتداولة، التي تدل على رسوخ طريقة الحفظ في التعليم من أجل التحقيق.

يلي ذلك مباشرة درس النحو، وغالباً ما يكون من كتاب (الإيضاح) لحسين بن محمد الهدار، أو (الأجرومية) لابن أجروم، أما المتقدمون من الطلاب فيدرسون على يد المشايخ الكبار كتاب (متممة الأجرومية) بشرحه (الكواكب الدرية) للأهدل، وكذا كتاب (قطر الندى) لابن هشام، و(شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك)، وربما فتح بعضهم دروساً خاصة في (أوضح المسالك)، أو (مغني اللبيب)



رمضان بالروحة)، أو في أوقات متفرقة كـ (إحياء علوم الدين)، و (كتاب الأربعين) الأصل للغزالي، ورسالة القشيري في التصوف وغيرها. كما تُقرأ بعض كتب التفسير عند بعض المشايخ كتفسير البغوي، وتفسير ابن كثير، وتفسير القرطبي وغيرها. وقد تُقرأ بعض كتب السيرة كسيرة ابن هشام وغيره.

ويعقب ذلك درس ما بين المغرب والعشاء، ويخصص لتدريس الفقه على النحو الذي بيّناه بخصوص دروس الضحى، ويحضر في هذا الوقت، غالباً، من ينشغلون في وقت الضحى بالأعمال، أو بالدراسة، أو التدريس خارج الرباط.

وتخصص بعض الدروس الفقهية والأصولية للمدرسين، وذلك بعد صلاة العشاء، ويقوم بتدريسهم كبار المشايخ. هذا كل ما يخص البرنامج الدراسي بصورة عامة (قد يعتورها بعض القصور في الوصف التفصيلي)، وهو برنامج صارم كما هو واضح، لكنه قد يخضع للتعديل عند المناسبات الإسلامية؛ حيث تحل نشاطات أخرى محل الدروس بصورة مؤقتة.

* خلق الذكر: الأذكار والإنشاد:

يفتح طالب الرباط يومه بقراءة سورة ياسين، ثم قراءة (الورد اللطيف) للإمام الحداد، وهو مجموع يضم بعض الأذكار الواردة في السنة، ويُقرأ الورد بصورة جماعية قبل أن ينطلق الطلاب إلى دروسهم الخاصة، وتظل حلق الذكر مطردة عقب كل صلاة، فقد يقرأ بعض الطلاب بعد صلاة الظهر (ورد الإمام النووي)، و (حزب الشاذلي) بعد العصر، إلى أن يختم الطالب نهاره بقراءة بعض الأذكار المأخوذة من (راتب الحداد)، وهي أذكار مأثورة في السنة النبوية. وقد تُقرأ رواتب أخرى كـ (راتب العطاس)، و (راتب علي بن أبي بكر السكران)، وفضلاً عن ذلك، فإن بعض الطلاب - ناهيك عن المشايخ - يلزمون أنفسهم بتتبع بعض الكتب الخاصة بأداب طالب العلم، وفيها الكثير من الأذكار، ومن

الكتب التي تذكر في هذا السياق كتاب (بداية الهداية) للغزالي، وفيه برنامج صارم ينطوي على صنوف العبادات والمجاهدات ومنها الأذكار.

ويضاف إلى حلق الذكر تلك المجالس الروحانية، التي تعقد في الرباط كجلسة (الحضرة)، التي تردد فيها بعض الأذكار والأنشيد، و جلسة (المولد النبوي) التي تُقرأ فيها كتب الموالد كمولد ابن الديبع الزبيدي، ومولد الحبشي، وغيرهما، و جلسة (الروحة الرمضانية)، و جلسات أخرى تنشّد فيها الأنشيد الدينية لبعض شعراء المتصوفة كعلي بن محمد الحبشي، وعبد الله بن علوي الحداد، وعبد الرحيم البرعي، وأحمد بن علوان، والشاطري، وغيرهم.

* العبادة:

يحافظ طالب الرباط على العبادات، من أداء للفرائض اللازمة، وقراءة للقرآن، وحضور لمجالس الذكر، ومداومة على الوضوء، والرواتب، والسنن الأخرى كالضحى والوتر، وقيام الليل بالصلاة، والدعاء، والذكر الفردي.

* الخدمة:

يلزم طالب الرباط بالخدمة المتعلقة بالنظافة، أو بالحراسة الليلية وغير ذلك، وغالباً ما يُوكل ذلك إلى الراشدين.

٢.٣ البيئة العلمية: المنجز والامتداد

* المنجز:

يتضح مما تقدم أن الرباط بصورته التي تم إيجازها في الصفحات السابقة يعد منجزاً علمياً ضخماً في بيئة قبلية لم تشهد من قبل ما يماثل هذا الصرح العلمي، ولذلك فلرباط البيضاء قيمة اجتماعية وعلمية مضافة. ونحن هنا لن نطنب في الحديث الإنشائي، وإنما سنتعرض لهذا المنجز من وجهة نظر واقعية، ملخصين أثر تأسيس الرباط العلمي في النقاط الآتية:

- استنفاد طلاب العلم من دروس الرباط استفادة كبيرة، فالطالب يدرس بصورة اختيارية، تتحكم فيها روح

الإخلاص بعيداً عن الإلزام المدرسي. ومن هنا فطلب العلم في الرباط من أجل غاية سامية (رضى الله) لا من أجل مصلحة عابرة تنتهي همة الطالب بانتهاؤها.

- ومن ذلك أن المنطقة شهدت حركة علمية وروحية لافتة، اجتذبت كثيراً من الطلاب، وجعلت من البيضاء ملتقى للكثيرين، الذين ينتمون إلى خلفيات ثقافية واجتماعية مختلفة، وهو الأمر الذي رشح المنطقة لتشهد دوراً ثقافياً متميزاً.

- شكل رباط البيضاء حلقة وصل بين عدة ربط في اليمن، كرباط تريم في حضرموت، ورباط البطاح في زبيد، ورباط المشهور في أحور وعدن وغيرها.

- ويدخل في هذا الصدد العلاقات الاجتماعية الجديدة، التي نشأت في البيضاء، وأضافت إلى نسيجها الاجتماعي؛ فبعض الوافدين من المشايخ وطلاب العلم إلى البيضاء من حضرموت، وتعز، ويافع، وأبين، وتهامة، وغيرها من المناطق استوطنوا البيضاء، ودخلوا في علاقات اجتماعية عن طريق أسرة الزواج ومن ثم القرابة، وهذا من مظاهر (التعارف) المذكور في القرآن الكريم.

- تطور مدينة البيضاء من الناحية الاقتصادية، فقد أصبح الرباط نقطة جذب لكثير من طلاب العلم والوافدين في المناسبات الدينية، والمناشط الدعوية، وهو الأمر الذي فتح باباً للحركة التجارية النشطة.

- ويدخل في هذا السياق انتشار الكتب المطبوعة والمكتبات، فقد استحدثت بعض المكتبات في البيضاء - لا سيما في فترة التسعينيات من القرن الماضي (وهي فترة ازدهار الرباط) - بعد تحقيق الوحدة اليمنية - لتلبية حاجة طلاب العلم، مما جعل بعض الناس من خارج الرباط يقبلون على اقتناء بعض الكتب الدينية، والأدبية، والتاريخية. ومن أهم المكتبات التي كان لها دور مذكور في النشر مكتبة (المهاجر في البيضاء)، التي



69

العدد (9)
يوليو
سبتمبر
2018م

الناحية الفكرية:

ونقصد، هنا، المحتوى الفكري، الذي جعل من الرباط مؤسسة قابلة للتأسيس المبدئي وللاستمرار، وهو الأمر الذي يقودنا للنظر في المرجعية الفكرية للمؤسس، ولا بد أن نرجع هنا إلى بعض آثاره الفكرية، وإلى ما كتب عنه، ولعل من أصدق ما يعبر عن وجدان الإنسان وأفكاره تلك الرسائل الشخصية، التي يذكر فيها ما يؤمن به، وما يحب أن يبثه في الآخرين، ولا سيما إن كان هذا الإنسان قد أوقف نفسه وجهده من أجل الدعوة إلى ما يؤمن به، وبين يدي كتاب (المختار من مراسلات الداعي إلى الله محمد الهدار) (٣٤)، وفيه مراسلاته الموجهة -في غالبيتها- إلى أولاده، والتي يحثهم فيها على الاهتمام بالمعرفة الشرعية، مع مطالعة بعض الكتب في التصوف ككتب الغزالي والحداد وغيرهما، وحتى نجمل القول عن المرجعية الفكرية التي أشرنا إليها سنعمد إلى اقتطاف فقرات خاصة من تلك المقدمة الإضافية التي قدم بها السيد حسين بن محمد الهدار الكتاب، وأشار فيها إشارات واضحة إلى المنطلقات الفكرية لتصوف والده، يقول في هذا الصدد: «وتصوفه رحمه الله كان مبنياً على الشريعة المطهرة، فقد كان شغوفاً بكتب التصوف (كإحياء علوم الدين)، و(منهاج العابدين)، و(الأربعين الأصل) للإمام الغزالي، و(الواقح الأنوار القدسية)، و(تنبيه المغترين) للشعراني، وسلسلة الإمام الحداد، ومراسلاته، وديوانه، وكان يحذر من قراءة كتب الشيخ ابن عربي، ويفيد أنها دست عليه، وفيها كثير من الأمور الخارجة على الدين وبالذات (الفتوحات المكية)، و(الفصوص)، فقد لا يحسن القارئ فهم عبارة الكتاب، فيؤولها على فهم مخالف لمقصودها، ويكرر المقولة (من تصوف قبل أن يتفقه تزدنق)، وكان لا يقيم وزناً

يافع، ومن آل باهرمز في لودر وأبين، ومن آل الكوني في العين، وآل الشمسي في عوين. وكذلك من بعض القبائل الكبرى المحيطة كآل عواض، وآل حميقان، وآل عزان، ومن آل سواد، وآل ملجم، وآل دبان، وبني عامر، وآل عمر، وغيرهم.

- استحدث بعض الرباط العلمية المتفرعة عن رباط البيضاء، كفرع الرباط في البيضاء نفسها، وفي تعز والتي شاركت في نشر العلوم الشرعية والعربية.

* الامتداد:

يعد رباط البيضاء امتداداً لمدرسة تريم العلمية والروحية، فمؤسسه كان من طلاب تريم، وتعلم على كبار مشايخها، وقد نقل النموذج التريمي العلمي والفكري إلى البيضاء، ويمكن أن نلخص قضايا هذا الامتداد من خلال عرض النقاط الآتية:

الناحية المادية:

ونقصد بذلك أن فكرة بناء الرباط (في صورته المادية) بوصفه بناءً مشيداً انطلقت من تصور له تراث تاريخي، ويتجلى أكثر ما يتجلى في التراث الصوفي الإسلامي، وقد سبق أن أشرنا إلى ما ذكره السهروردي في (عوارف المعارف) عن ربط الصوفية وأدائها، وقد شبهها في شكلها التعاوني الجماعي بحال أهل الصفة في العهد النبوي.

لكن ما يظهر في حال رباط البيضاء هو حضور النموذج التريمي في تصور المنشئ بصورة خاصة، فبعد دراسته في تريم، وتأثره بالشخصية العلمية والروحية لمدير رباط تريم السيد الشاطري أسس هذا الرباط بناء على إشارة من شيخه؛ ولعل الشيخ كان يرى في تلميذه من المؤهلات والاستعداد ما جعله يشير عليه بذلك. ومن هنا ارتسمت الصورة الهيكلية التنظيمية لرباط تريم في رباط البيضاء، سواء من حيث التنظيم التراتبي للتدريس، والتلقي عن المشايخ، أم من حيث التقسيم لأوقات حلقات الدرس، ومجالس الذكر.

كان لها علاقة بنظيرتها في تريم، وبمكتبة الرفاعي في مصر، والإرشاد في صنعاء، وغيرها من المكتبات، ومن خلالها استطاع شباب المنطقة والوافدون من طلاب العلم الحصول على كثير من ثنائس التراث الصوفي، والفقه، واللغوي.

- زيارة بعض الشخصيات الدينية والعلمية الكبيرة للبيضاء من حضرموت، والحجاز، وصنعاء، ومصر، وغيرها، وقد درس في الرباط ودرس فيه بعض العلماء المعاصرين في حضرموت كالسيد عمر بن حفيظ، والسيد زين بن سميط وغيرهما.

- انخرط في الدراسة العلمية في الرباط بعض أبناء القبائل، الذين عادوا من الرباط محملين بالقيم والأداب التي تحث على التسامح، ونبذ عادات التشاحن، والتأثر. وقد كان لمشايخ الرباط وعلى رأسهم السيد محمد الهدار أثر بالغ في إزالة كثير من المشكلات الاجتماعية.

- استطاع الرباط بمشايخه المزودين بالأدوات العلمية الشرعية أن يوفر لأهل المنطقة الحلول الشرعية لقضاياهم، وخصوصاً فيما يتعلق بفقه الأسرة، ولأن الحكم الشرعي مفروض قبوله على كل مسلم، حسب التصور الجمعي الحاكم للعقلية الاجتماعية المسلمة، فقد اختصرت الأحكام الشرعية الصادرة من الرباط الطريق الطويل أمام المختلفين، أو المتنازعين.

- استوعب الرباط بعض المشايخ الذين ينتمون إلى بعض المناطق المحيطة والبعيدة في سلك مدرسيه، بعد تلقي بعضهم العلم فيه، وهو الأمر الذي جعلهم دعاة مؤثرين في مناطقهم، كالشيخ عبد الرب اليافعي من مرفد يافع، والشيخ عبد الله صالح الخشبي من رباط العوازل، والشيخ محمد عبده من تعز، وغيرهم من المترددين على الرباط من الأسر العلمية من آل العسيبي في مكيراس وعريب، ومن آل الحريري في



70

العدد (9)
يوليو
سبتمبر
2018م

لتصوف لم يرتبط بالشرعية، ويرفض ذلك التصوف، ويرى أن حقيقة ثمرة الإيمان هو التصوف، وأنه الإحسان المشار إليه في حديث جبريل عليه السلام، ولا يتأتى ذلك إلا بعد معرفة الإسلام، والإيمان، ومقاصد الشريعة وأحكامها، وأنه لا يتم الوصول إلى لبه إلا بالعلم، ومن دون العلم انزلق كثير من رواد هذا الطريق في هاوية الضلال، كما كان يجلس مشايخ التصوف كابن عربي، والحلاج، وأبي يزيد البسطامي، وغيرهم من مشايخ الطرق، وبالأذات رجال (الرسالة القشيرية)، و(المشرع الروي)، و(طبقات الخواص)، و(جامع كرامات الأولياء)، ويعددهم أئمة في الدين... إلخ (٣٥).

وقد نقلنا هذا النص بطوله لأنه ينطوي على تلخيص جيد لما نحن بصده، ويفتح أمامنا باباً لرسم ملامح المرجعية الفكرية التي تبناها السيد الهدار، وكانت عماد المدرسة التي نهل منها، وعمل على ترسيخ تفاليدها في رباط البيضاء، ويمكن أن نلخص ما نستنتج منها في الفقرات الآتية:

تبنى هذه المدرسة ما يمكن أن نطلق عليه مدرسة التصوف الإسلامي الواسطي، ومن لوازم هذا التبنى الفكري الربط بين الحقيقة والشرعية، من حيث أن الحقيقة هي لب الشريعة وعليها مدار قبول الأعمال، ومن الملاحظ أن الكتب التي تم سردها في النص المقتبس تنزع هذا المنزلة التكاملية، ف(أحياء علوم الدين) وهو أهمها كتاب في الشريعة والحقيقة، أي أنه يعرض للأحكام والآداب الشرعية من خلال رؤية عرفانية، تضع في أولوياتها المعرفة الحقيقية بالله، والبحث العميق في بواطن النفوس، حتى تتم هذه المعرفة على نحو صحيح. ومن هنا كان الربط بين المعرفة الربانية التي هي اللب، والمعرفة الشرعية التي هي الظاهر ربطاً عضوياً ضرورياً، فلا فقه بلا تصوف، ولا

تصوف بلا فقه، فهذه الطريقة تنفي عن نفسها الدروشة المجانية؛ إذ إن عماد الأمر فيها هو التبحر في علوم الشريعة، مع التخلق بأخلاق العارفين.

وعلى ذلك، يمكن أن نتبين أن هذه المدرسة المتصلة اتصالاً وثيقاً بمدرسة تريم؛ إذ هي امتداد طبيعي لها لا تولي أي اهتمام لتصوف فارغ من محتواه الإسلامي. فهي تتبع كالمدرسة التريمية الأم تصوف الإمام الغزالي، وهو التصوف الذي تجذر في حضرموت بالاهتمام البالغ الذي أولاه الإمام عبدالله بن علوي الحداد له، فكتب الحداد تلخيص وتفريع المادة الغزالية في التصوف، ولهذا تنال هذه الكتب ما تناله كتب الغزالي من اهتمام فهي تنويع عليها، وإعادة نظر فيها.

ومما يلفت النظر في النص المقتبس الحديث عن الإجلال والتقدير للشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي، وللشيخ الحلاج، وللشيخ البسطامي، وذلك أن هذه الشخصيات الثلاث إشكالية في تاريخ التصوف الإسلامي، فالموروث الفلسفي للأول والعبارات الإشكالية المشهورة للثاني والثالث تجعل الحيرة حائمة حول الأحكام الصادرة في حقهم. ولذلك كان موقف هذه المدرسة الكف عن التعرض لهم بأي تجريح، والحقيقة أن هذا الموقف الذي يبرر ابن عربي والبسطامي والحلاج هو موقف يلقى تأييداً من بعض علماء المسلمين القدامى كالشعراني، والحرضي، وابن العماد، وابن المقري، وغيرهم (٣٦)، ومن بعض المفكرين الإسلاميين المعاصرين كالشاعر المفكر محمد إقبال، والشيخ الدكتور عبد الحليم محمود، وغيرهما (٣٧). ونحن نقول (بعض) لأن كثيراً من الفقهاء عارضوهم، بل نقدوهم نقداً مريراً إلى أن وصلت الحال ببعضهم إلى حد التكفير.

يبقى أن نشير إلى أن هذه المدرسة تولي جل اهتمامها للدراسة الفقهية

الشرعية كما اتضح من كم الكتب الفقهية والشرعية التي يتم تعاطيها في برنامجها الدراسي، فهي مدرسة فقهية بامتياز، تهتم بالدراسة الشرعية حتى لا يدخل طلابها في تهويمات روحانية تبعد بهم عن جادة الشرع، وهذه المدرسة هي مدرسة التيار العريض لمتصوفة اليمن عامة -مع بعض الاستثناءات-، ومتصوفة حضرموت خاصة، التي لم يكن بين النزعة الفقهية ونزعة التصوف فيها من تعارض منذ تأسيسها، كما يشير إلى ذلك الأستاذ عبدالله الحبشي في كتابه عن الصوفية والفقهاء في اليمن (٣٨)، فالطريقة المتبعة لديهم صوفية، والعقيدة أشعرية، مع اعتصام بفقه راسخ في أصول الشريعة وفروعها؛ وهم لا يكتفون بما يعرف في التراث بـ(فقه النفس) وهو فقه الكليات، بل يخوضون في دقائق هذا العلم خاصة؛ لأنه علم يتعدى فيه النفع للنفس إلى النفع للآخرين من خلال الفتوى.

لكن هذا الفقه سيكون مجرد حرفة يحترفها البر والفاجر ما لم يتوج بعلم القلوب، التي اهتم بها الغزالي في إحيائه، وغيره ممن ساروا على نهج كأعلام المدرسة التريمية. يقول السيد محمد الهدار في خاتمة إحدى رسائله: «رزقنا الله وإياكم كمال العلم والعمل والخوف والورع والإخلاص، وهذه الخمس هي طريقة سادت آل باعلوي، كما أفاد سيدنا الإمام أحمد بن زين الحبشي» (٣٩). ونحن نجد في هذه المراسلات، وفي غيرها من أحاديثه كـ(الغيث المدرار) ما يؤكد هذا النهج التكاملي بين الفقه والتصوف، أو بين الحقيقة والشرعية.

ولعل فيما أوردناه سابقاً ما يرسم صورة عن تلك المدرسة، التي تم ترسيخ بنيانها في البيضاء على مدار نصف القرن الماضي.



71

العدد (9)
يوليو
سبتمبر
2018م

(٢٥) نفسه، ص ١٣٧.
(٢٦) نفسه، ص ٢٠٤.
(٢٧) نفسه، ص ٣٦٠.
(٢٨) نفسه، ص ١٣٨.
(٢٩) نفسه، ص ٢٥٤.
(٣٠) ر. بودون وف. بوريكو، المعجم النقدي لعلم الاجتماع، مادة (تأثير)، ترجمة: د. سليم حداد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط ٢، ٢٨٠ هـ / ٢٠٠٧ م، ص ١١٦.
(٣١) ربما كان مثال المدينة المنورة يسكانها من الأوس والخزرج أوضح مثال - في سياق التاريخ الإسلامي - على ما نومي إليه هنا.
(٣٢) ولد محمد بن عبد الله الهدار من آل أبي بكر بن سالم العلوي الحسيني في قرية عزة بالبيضاء - اليمن سنة ١٣٤٠ هـ ودرس على يد والده، ثم على مفتي البيضاء - آنذاك - محمد بن حسين الهيتمي، ثم درس في تريم عدة سنوات، وقد تلقى العلم هناك على يد مجموعة من العلماء، وبعد عودته أسس رباط البيضاء، وأشرف عليه، وكانت له العديد من الرحلات إلى دول عدة، وألف العديد من المؤلفات الدينية، وتوفي سنة ١٤١٨ هـ ودفن بمكة. وقد كان آية في العلم والعبادة والدعوة والإصلاح الاجتماعي. ولمعرفة المزيد عن كل جوانب حياته يمكن الرجوع إلى كتاب (هداية الأخيار) لحسين بن محمد الهدار.
(٣٣) لمعرفة المزيد عن برنامج الرباط يمكن الرجوع إلى: حسين بن محمد الهدار، هداية الأخيار، ص ٣٧٠ وما بعدها.
(٣٤) الكتاب لم ينشر بعد في حدود علمي، وهو ما زال منسوخاً على آلة الحاسوب، وقد حصلت على نسخة ورقية منه من بعض الزملاء، وهو بتقديم وترتيب: حسين بن محمد الهدار، ويقع في مائتين وسبع صفحات.
(٣٥) من مقدمة (المختار من مراسلات الداعي إلى الله محمد الهدار)، ص ١٤، وص ١٥.
(٣٦) ينظر: الحاشية بصفحة ١٥ من المرجع السابق نفسه.
(٣٧) يطلق محمد إقبال على العلاج الولي الشهيد في كتابه (تجديد الفكر الديني)، ويطلق عبد الحليم محمود على البسطامي سلطان العارفين في كتابه (أبو يزيد البسطامي سلطان العارفين).
(٣٨) عبد الله محمد الحبشي، الصوفية والفقهاء في اليمن، مطبعة دار نشر الثقافة، القاهرة، ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م، ص ٢٤.
(٣٩) حسين بن محمد الهدار، مراسلات الداعي إلى الله محمد الهدار، ص ١٠٩.

ص ٣٢٣ وما بعدها، وممن ذهب إلى اعتناق الإمام المهاجر لمذهب الإمام الشافعي مؤلف (المشرع الروي) الشيخ محمد بن أبي بكر الشلي، وهو من مشايخ الإمام عبد الله بن علوي الحداد.
(١٠) سالم بن عبد الله الشاطري، انتشار المذهب الشافعي في بعض البلدان الإسلامية من حضرموت، ص ٥.
(١١) من أجل معرفة المزيد حول هذه القضية يمكن الرجوع إلى المرجع السابق، ص ٧ وما بعدها.
(١٢) لأبي الحسن الأشعري الكثير من الكتب، وقد قيل إنها تبلغ ٢٣٠ مؤلفاً، ومن أهمها (مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين)، الذي أخرجه وحققه المستشرق الألماني هلموت ريتز، والإبانة عن أصول الديانة، الذي رد فيه على المعتزلة، والرد على المجسمة وغيرها.
(١٣) د. يوسف القرصاوي، الشيخ الغزالي كما عرفته: رحلة نصف قرن، دار الشروق، القاهرة، ط ١، ٤٢٠٠ هـ / ٢٠٠٠ م، ص ٨٣.
(١٤) ينظر: صالح بن علي الحامد، تاريخ حضرموت، ج ٢، ص ٧٢٩.
(١٥) الإمام أبو حامد الغزالي الطوسي، جواهر القرآن، تحقيق: الدكتور الشيخ محمد رشيد رضا قباني، دار إحياء العلوم، بيروت - لبنان، ط ٢، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م، ص ٤١ وص ٤٢.
(١٦) ربما احتاج هذا الأمر إلى بحث مستقل.
(١٧) عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العيدروس، تعريف الأحياء بفصائل الإحياء، بهامش إحياء علوم الدين، مج ٥، دار إحياء الكتب العربية - فيصل البابي الحلبي، القاهرة، د. ط. د. ت. ص ٦.
(١٨) حسين بن محمد الهدار، هداية الأخيار في سيرة الداعي إلى الله محمد الهدار، فرع الدراسات والمناهج وخدمة التراث - رباط الهدار للعلوم الشرعية، البيضاء، ط ٢، ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م، ص ٧٩.
(١٩) ينظر هذا البيت الشعبي في المرجع السابق، ص ٨١، وهو مما يتداوله بعض المسنين حتى اليوم.
(٢٠) يؤرخ المؤلف في كتابه ذلك لسيرة والده لكنه يستعرض - بعقلية المؤرخ الحصيف - تاريخ المنطقة عامة في علاقتها بكل ما حولها، وفي حواشي الكتاب من التراجم لكثير من العلماء والأعيان ما يوفر كثيراً من الجهد على الباحثين. ولقد استقتت من قراءة هذا الكتاب كثيراً عند إعدادي لهذه الورقة البحثية المتواضعة.
(٢١) المرجع السابق نفسه، ص ٦٩ وص ٧٠.
(٢٢) نفسه، ص ١٣.
(٢٣) نفسه، ص ٢١٠.
(٢٤) ينظر ترجمته في: حسين الهدار، هداية الأخيار، ص ٢٠٤.

الهوامش:
(١) قدم هذا البحث في مدينة تريم حضرموت ضمن تريم عاصمة الثقافة الإسلامية - مؤتمر الوسطية في الإسلام في ديسمبر ٢٠١٠ م. ويطلب لي أن أقدم بجزيل الشكر للصديق العزيز محمد عبد الله الخلاقي الذي أمدني ببعض المراجع القيمة حول الموضوع وبكثير من المعلومات عن رباط البيضاء.
(٢) للحضرم هجرات مشهورة تبتدئ في عصر الإسلام بهجرتهم إلى المدينة المنورة ومكة، ثم إلى مصر والشام والعراق والأندلس وشمال أفريقيا وشرقها وجنوب شرق آسيا، وغيرها من المناطق. يقول سقاف علي الكاف - وقد استقصى هذا الموضوع بإيجاز - عند حديثه عن هجرتهم إلى شرق أفريقيا: «ولهم الفضل في نشر الإسلام في هذه المنطقة، وكادوا يجعلونها بلاداً عربية ناطقة بالضاد مسلمة تماماً أو غالباً»، وهذا ينطبق في جملته على كثير من المهاجر الحضرمية، لمعرفة المزيد عن هذا الموضوع يمكن الرجوع، تمثيلاً لا حصراً، إلى: سقاف علي الكاف، حضرموت عبر أربعة عشر قرناً، مكتبة أسامة، بيروت، ط ١، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م، ص ١١٦ وما بعدها.
(٣) ينظر: صالح بن علي الحامد، تاريخ حضرموت، ج ١، ط ٢، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٣ م، ص ٢٨٢ وكذا ص ٢٩٣ وما بعدها.
(٤) نفسه، ص ٣٠٨.
(٥) نفسه، والصفحة نفسها.
(٦) نقلًا عن المرجع السابق نفسه، ص ٣١٣.
(٧) يهتم المتصوفة بتأسيس الرباط، وقد ذكر السهروردي في كتابه (عوارف المعارف) أحوال المتصوفة في ربطهم، وشبههم بأهل الصفة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وتكلم عن آداب الخدمة والمعاشرة بين الإخوان داخل الرباط. ينظر: الإمام السهروردي، عوارف المعارف، بهامش إحياء علوم الدين، مج ٥، دار إحياء الكتب العربية - فيصل البابي الحلبي، القاهرة، د. ط. د. ت. ص ١٠٦ - ١١٤.
هذا، وقد انتشرت الرباط في حضرموت ومنها: «رباط سينون، ورباط غيل باوزير، ورباط قيدون، ورباط عينات، ورباط الشحر»، ينظر حول ذلك: سقاف علي الكاف، حضرموت عبر أربعة عشر قرناً، ص ٧٣.
(٨) ينظر: سالم بن عبد الله بن عمر الشاطري، انتشار المذهب الشافعي في بعض البلدان الإسلامية من حضرموت، بحث منشور نسخة Pdf، على موقع رباط تريم الإلكتروني، ص ٤، ص ٥.
(٩) يرجع حول هذا الموضوع إلى المرجع السابق ص ٥، وإلى: تاريخ حضرموت، للحامد، ج ١،

(حضرت القديسة) في حوار مع

الإعلامية والمسرحية: أنيسة خميس

إن الثقافة الذاتية والإخلاص من الأدوات المهمة للنجاح



هي إحدى الطاقات التي شكلت باقة العمل الإعلامي عامة، والإذاعي خاصة في حضر موت.. بعد أن تألفت في سماء الإعلام، وواصلت هذا التألق في المجال المسرحي؛ لتصبح أحد أعمدته في عصره الذهبي في سبعينيات وثمانينيات القرن الماضي.

إنها المذيعة والممثلة القديرة أنيسة خميس بن جبير، التي وضعت وكتبت إبداعاتها بأحرف جميلة لن تمحى من ذاكرة الإبداع الحضرمي في هذين المجالين الفنيين الجميلين.. ونحن في مجلة (حضر موت الثقافية) نقدم لقرائنا محطات سريعة من حياة هذه

الشخصية المبدعة من خلال هذا الحوار:

حاورها: خالد أحمد القحوم

• الانطلاقة على دروب العمل الإعلامي

الإذاعي، كيف جاءت؟

- شكل بداية بث إذاعة المكلا في سبتمبر ١٩٦٧م نقلة نوعية مهمة في حياة الناس.. وقد كنت مستمعة جيدة.. فبدأت مشاركة ومساهمة في برنامج (ندوة المستمعين)، الذي كان يعده الزميل محمد زين الكاف.. وبقيت هذه العلاقة بيني وبين الإذاعة حتى عام ١٩٧٤م حينما قدمني صهري المنلوجست عوض بن جبير إلى مدير الإذاعة أحمد باعقبة، الذي أمر بإجراء الاختبارات الصوتية، وتم اختياري بعدها مذيعة مساهمة؛ لأنني كنت أعمل معلمة في سلك التدريس، وبحكم مهنة التدريس التي تتطلب الانتقال إلى مناطق مختلفة، فقد تم تثبيت وظيفتي في الإذاعة في عام

١٩٧٥م، ومن يومها بدأت رحلة

الإبداع المهني الإذاعي.

• ما هي أبرز العوامل التي أسهمت في نجاحكم إذاعياً؟

- اعتقد أن البيئة الأسرية التي كنت أعيشها كان لها دور فاعل في تنمية قدراتي من خلال الاطلاع والقراءة والتثقيف الذاتي، ومتابعة الإذاعات الشهيرة آنذاك.. بالإضافة إلى أن عملي معلمة أكسبني الكثير من الصفات التي أفادتني فيما بعد، وأبرزها الحوار والمخاطبة والإنصات الجيد للآخرين..

• ما هي أدوات المذيع الناجح؟

- في المقام الأول الملكة والموهبة، والتثقيف والاطلاع المستمر، وكذا سرعة البديهة لاحتواء المواقف الطارئة، بالإضافة إلى الحب

والإخلاص لهذا العمل الإبداعي، ناهيك عن ضرورة الاهتمام بالهندام المناسب لكي تنقل الصورة الجمالية..

• أنيسة خميس، مذيعة.. معدة برامج.. مخرجة..

- (طبعاً) أفضل عشقني الأول الميكروفون.. ولكن هذا لم يمنع خوض غمار الإعداد والإخراج، حتى إنني قمت بإخراج بعض البرامج الدرامية.. أما الإعداد فأني أشعر بالارتياح لقيامي بإعداد البرنامج الاجتماعي (مجلة الأسرة)، الذي قدمت من خلاله الكثير من المعلومات حول هذا الكيان المجتمعي المهم لأكثر من عشرين عاماً..

• الرحلة الإبداعية المتألقة لأنيسة خميس

في المجال التمثيلي والمسرحية.. ماذا عنها؟

- يا خالد تلکم رحلة كانت جميلة..



تلقيت عروضاً للعمل الإذاعي في أبوظبي وجدة، ولكن (بعد المكلا شاق)

ضمن برامج التبادل الإعلامي مع
الإذاعات العربية الأخرى.

• بعد هذا العطاء الإبداعي الكبير.. هل
ضاعت منك أحلام إبداعية أخرى؟
- نعم.. ضاعت مني بعض الأحلام،
ولكني أضعتها بإرادتي واختياري؛ لأنني
فضلت البقاء في إذاعتي الأثيرة إلى
نفسي المكلا؛ لأن بعد المكلا شاق..

ففي نهاية السبعينيات تحصلت على
فرصة للعمل في إذاعة أبوظبي، كما
تلقيت عرضاً آخر للعمل في إذاعة جدة
في السعودية، وعرض علي العمل في
إذاعة صنعاء.

فضلت الميكروفون وخضت غمار الإخراج والإعداد الإذاعي

والتجربة الوحيدة الناجحة التي
خضتها خارج المكلا، كانت في إذاعة
عدن في عامي ٨٨-٩٨٩م.

• شكراً أستاذة أليسة.. ومع الشكر أمنيات
خالصة بالتوفيق والنجاح.

- أبادلكم الشكر، وأتمنى لمجلتكم
النجاح أيضاً، ولمركزكم النهوض
ليشع فكراً حضرياً معبراً عن الآمال
الكبيرة التي نرجوها جميعاً.

• وماذا عن محطة العمل الدرامي مع إذاعة
المكلا؟

- شاركت في العديد من الأعمال
الدرامية في إذاعة المكلا.. وأهم تلك
الأعمال (نساء خلدن التاريخ)،
للأستاذ عمر محفوظ باني، إخراج
الأستاذ أحمد سالم، المبدع العراقي..
وكذا العمل الدرامي (رجال ومواقف)،

تشرفت بتجسيد شخصيات إنسانية مختلفة مع عمالقة المسرح في حضرموت

بالإضافة إلى العمل الدرامي (الموج
وصخور الشاطئ)، للأستاذ محمد
عبدالقادر بامطرف، ولكن يبقى عمل
(نساء خلدن التاريخ) علامة متميزة،
حتى إن هذا العمل قدمته الإذاعة

• كيف بدأت؟ ما هي أهم محطاتها؟

- بدأت من المدرسة التي تعد الأرض
الخصبة لنمو العويدة، وقد هويت
المسرح؛ لأنه أبو الفنون.. وشاركت مع
فرقة المسرح الوطني التابع لإدارة
الثقافة بحضرموت في الكثير من
المسرحيات مع عمالقة هذا الفن في
عصره الذهبي في سبعينيات
وثمانينيات القرن الماضي، أمثال
الزملاء زكي بن كوير، وعبدالعزیز
باحكيم، ويحيى بن علي الحاج،
وعائشة بكير، وغيرهم.

• ما هو أبرز عمل مسرحي تفغرين به؟

- مسرحية (الشيخ الكبير) للكاتب
الموسوعي الكبير محمد عبدالقادر
بامطرف.

وأحب أن أضيف أننا خلال تلك الفترة
قدمنا الكثير من الأعمال المسرحية
العربية والعالمية، بعد أن تمت معالجتها
فنياً لكي تحاكي واقعنا المحلي..

• هل تلقيتم التأهيل في هذا المجال؟

- نعم.. فقد حصلت على دبلوم في
اختصاص التمثيل بامتياز بعد
انخراطي في دورة في (معهد الفنون
الجميلة) في عدن في عام ١٩٧٦م.





رحلة إلى حضرموت

أدولف بارون ريدي ADOLPHE PARON WREDE

نقلها: الكابتن جي. بي. هينز Capt. J. B. Haines

الجمعية الجغرافية الملكية بلندن المجلد ١٤ (١٨٤٤م) من الصفحة ١٠٧ إلى الصفحة ١١٢



نظراً لاهتمامكم بكل ما من شأنه الرقي بالعلم والمعرفة، اسمحوا لي أن أقدم بين أيديكم وصفاً موجزاً لرحلةٍ عدتُ منها توّاً، فمتُّ بها إلى منطقةٍ تُعد من أكثر مناطق الجزيرة العربية إثارةً للاهتمام، إنها المنطقة التي تُطلق عليها خرائطنا الحالية اسم (حضرموت)، تلك المنطقة الفاصلة بين صحاري الأحقاف، والمحيط الهندي، لقد بادت بالفشل كل تلك المحاولات، التي قام بها الرحالة السابقون؛ للتغلغل في أعماق الجنوب العربي؛ نظراً للتعصب الديني الشديد لدى كل الناس هناك، وخاصة لدى قاطني المدن منهم. وقد أوصى الملازم ولستيد Wellsted في كتاباته القيمة عن الجزيرة العربية الرحالة الذين سيأتون من بعده إلى هذه المناطق بالاحتشام، واللباقة، وارتداء ثياب المسلمين؛ ليتفادوا العيون التي تترصد لهم هناك. وهذا ما قمتُ به بالضبط.

فلم يتجاوز ٤٩ ساعة و ١٨ دقيقة في اتجاه الشمال الغربي.

اجتزنا في اليوم الأول من رحلتنا الكثير من الأودية العميقة والضيقة جداً، تحفها جبال غراتينية جرد، يصل ارتفاع قممها المثلمة إلى ٢٠٠٠ قدم فوق سطح البحر، ويتفجر من جوانب تلك الجبال الكثير من ينابيع المياه الحديدية، التي تتراوح درجة حرارتها من ١٠٠ إلى ١٣٠ فهرنهايت، مياه تلك الينابيع صالحة للشرب، بل وجيدة جداً؛ لعدم احتوائها على أي أثر للكبريت. ومع أن أراضي الأودية تبدو غير خصبة، فإن بها أشجاراً ونباتات جمّة، توفر غذاءً كافياً للجمال، التي

الأوروبيين من قبل وعلى دراية بهم، فقد عجلتُ موعد مغادرتي قُدر المسقططاع، وتركتُ المكلا في السادس والعشرين من يونيو باتجاه حضرموت الداخل، تحت حماية بعض البدو من قبيلة العكابرة القوية.

لقد كان وادي دوعن الشهير وجهة رحلتي الأولى، وقد وصلته بعد رحلة استمرت ثمانية أيام ونصف من المشي. كانت مراحل السفر والمسافة التي نقطعها قصيرة عموماً، لكن سبب تأخرنا واستغراقنا لكل هذا الوقت هو أننا كنا نمر عبر حواف جبال شديدة الانحدار والخطورة، وأما الوقت الحقيقي الذي استغرقناه في الطريق



ترجمة: د. خالد عوض بن مخاشن

ففي الثاني والعشرين من يونيو عام ١٨٤٣م غادرتُ عدن بحراً، متخفياً مطلقاً على نفسي اسم عبدالحق، أبحرتُ إلى الساحل، ومنه انطلقت إلى المكلا بحراً. ولخوفي من لفت أنظار السكان هناك والذين تعاملوا مع



وبشكل حطام تلك الصخور وركامها منحدرات تصل في ارتفاعها نصف ارتفاع تلك الصخور الشاهقة. وعلى هذه المنحدرات تنتصب القرى والمدن، متاخمة بعضها بعضاً، وكأنها مساح الإغريق المدرجة، بينما في الأسفل ترى النهر، الذي يبلغ عرضه حوالي ٢٠ قدماً، وتغطيه غابة من أشجار النخيل، وعلى جانبيه حواجز جدارية عالية، وهو يجري في الحقول المرتبة والمنظمة على شكل مدرجات، ثم يواصل شق طريقه عبر السهل المفتوح، الذي يروى عبر قنوات صغيرة تتفرع منه. يحدوني الأمل أن وصفي لدوعن سيكون لديكم فكرة صحيحة عنها، وعن أحوالها، وشخصيات أهلها، خلافاً لما قدمه الرحالة الآخرون من أقوال متناقضة حيالها.

أظهرت لي الإطلالة الأولى على الوادي أربع بلدات، وأربع قرى على بعد ساعة من المشي، لكن الطريق التي تهبط بك إلى الوادي خطيرة جداً، وخاصة الجزء العلوي منها، فعلى يمينك منحدر يصل ارتفاعه عن الأرض من ٣٠٠ إلى ٤٠٠ قدم، وعلى يسارك جدار صخري، يكاد يسد الطريق تماماً، تاركاً ممراً ضيقاً بعرض ٤ أقدام فقط، ومما يزيد من خطورة تلك الطريق أن ذلك الممر الضيق مرصوف بالحجر الحصى، والذي أصبح أملس كالمرآة؛ نظراً لكثرة مرور البشر والحيوانات

فيه هنا وهناك جبال وتلال مخروطية الشكل. خلف السهل من جهة الشرق تلوح قمة جبل كار سيبان العملاقة. وأما من جهة الجنوب فتري مخروطات غرائبية سوداء، ويتدنى هنا مستوى الرؤية بسبب الأجواء الضبابية الآتية من أعماق المحيط، في هذا المكان تمتد الطريق على أرض مستوية، لا صعود فيها ولا هبوط، وعلى يمين وشمال هذا السهل تتعرج أودية جمّة، مارة بمضائق جبلية؛ لتحمل مياه الأمطار إلى المناطق المنخفضة. وحين يصل المسافرون إلى بداية الشعاب والوديان يصادفون القليل من أشجار السلم غير مكتملة النمو، والتي توفر لهم القليل من الظل، ولجمالهم الشيء اليسير من الطعام. وعلى مسافة كل ستة أو تسعة أميال تجد أحواض مياه (كرفان)، ولكن لا تجد قرى ولا أحراشاً يمكن لها أن تضع حداً لرتابة ذلك السهل الكبير. إن درجات الحرارة صباحاً تكون مقبولة ولطيفة في هذه الهضبة، ولا تتجاوز ٨٠ فهرنهايت، ولكنها تنخفض مساءً لتصل إلى ٥٠ فهرنهايت، ويكون الجو بارداً جداً.

فاجأني الظهور غير المتوقع لوادي دوعن، وانددهشت كثيراً لروعة المنظر وجماله. ينحصر الوادي والذي يبلغ عرضه ٥٠٠ قدم وعمقه ٦٠٠ قدم بين صخور شاهقة قائمة الانحدار،

تسلك الطرق المنتشرة في هذه الأودية في قوافل طويلة وكثيرة، وتوفر أوراق الأشجار الباسقة ملاذاً للمسافرين في وقت الظهيرة، وتقيهم لهيب أشعة الشمس الحارقة، إذ يسود هذه الأودية هدوء تام من العاشرة صباحاً إلى الرابعة بعد الظهر؛ وذلك لارتفاع درجات الحرارة، التي تتراوح من ١٥٠ إلى ١٦٠ فهرنهايت. تمر الطريق بعدة قرى، في حين تقبع قرى أخرى على مسافة ليست بالبعيدة منها.

في اليوم الرابع من رحلتنا ارتقيت جبلاً يسمى (جبل الصدارة Sidara)، يرتفع ٤٠٠٠ قدم فوق سطح البحر، وتغطي النباتات العظمية جوانبه، ما إن وصلت إلى قمة ذلك الجبل حتى وجدت نفسي أقف تحت سفح قممتين شاهقتين، تسميان (غريبه وفرجله Chareibe and Farjalat)، إحداهما عن يميني، والأخرى عن يساري، وترتفعان عمودياً لتصل إلى ٨٠٠ قدم فوق المكان الذي أقف فيه، ولأن المسافة بين هاتين القممتين لا تزيد عن مسافة عشر دقائق مشياً فقد بدت كعمودين عملاقين لبوابة ضخمة، هنا في هذا المكان يغطي الحجر الغرينيتي الحجر الرملي الحديدي، وهنا أيضاً أخذ مؤشر جهاز قياس الحرارة الفهرنهايتي في الانخفاض نحو الأسفل، وشعرنا بتغلغل البرد في أعماق أجسادنا التي أنهكها المشي المضني.

في اليوم التالي تسلقت بعض التلال الشبيهة بالأرائك التي يعلو بعضها بعضاً، أعلى تل من هذه التلال يسمى جبل ظرا (drora)، منذ بداية رحلة هذا اليوم وأنا أشاهد الحجر الرملي الحديدي الصلب، ذا اللون الأصفر، والتركيب الحبيبي وقد غطته الأحجار الرملية، حينها كنت على ارتفاع ٨٠٠٠ قدم فوق سطح البحر، ماشياً من جهة الغرب باتجاه الشمال الشرقي عبر سهل مصفر مترامي الأطراف، تنتصب



76

العدد (9)

يوليو

سبتمبر

2018م

عليه، ولا يوجد سياج من أي نوع كان؛ لمنع حوادث الانزلاق إلى الهاوية. في الخريبة إحدى بلدات الوادي استقبلنا واستضافنا شيخ كريم، يدعى الشيخ عبدالله بأسودان، وهو من الشيوخ المشهود لهم بالورع والتأثير في البلاد، ومن الخريبة اتجهت نحو الجنوب الغربي كي أقوم بنسخ

السفلى، وعلى مسافة أربعة أيام مشياً يقع وادي ميفعة، الذي يتساوى ارتفاعه مع مستوى ارتفاع سطح البحر عند قرية (بئر الحسي) شرق (رأس الكلب). لقد سلكت طريقاً شمالية تمر عبر وادي ريدة الدين لأصل إلى بلدة الخريبة، خلال ثمانية أيام بعد غياب عن تلك البلدة استمر لعشرين يوماً.



النقوش الموجودة في وادي العبينة Uebbene ، ووادي ميفعة. لم يسمح لي بزيارة نقب الهجر، ولا عيشان Eisan ، ولا حبالين Habalen. ومع ذلك فقد اكتشفت نقوشاً حميرية على جدار يعد بمنزلة سور للوادي. في وادي عبين وعلى بعد ستة أميال من نقب الهجر استوقفني جماعة من البدو، وأرغموني على العودة إلى دوعن. أما حبان فقد كانت حينها تعيش حالة تمرد وعصيان مفتوحة، بعد أن أطاح ابن أخ السلطان بعمه السلطان أحمد بن عبد الواحد من العرش، وأودعه وأخاه السجن.

ما بين وادي دوعن ووادي ميفعة وعلى بعد مسيرة خمسة أيام يقع وادي حجر الخصيب، الذي يعج بغابات كثيفة من أشجار النخيل، يسقيها نهر صغير دائم الجريان، ينحدر عبر منطقة تقدر بمسيرة أربعة أميال، باتجاه الشمال الغربي عند بلدة الحوطة، وعلى مسافة رحلة يوم باتجاه أسفل الوادي تقع جزول، وبمواصلة المشي نحو المناطق

يتغير اسم وادي دوعن وفقاً للمنطقة التي يمر بها؛ فمثلاً في الخريبة يسمى وادي النبي، وبعد هذه المنطقة يسمى وادي دوعن، وابتداءً من قيدون يسمى وادي الهجرين، وابتداءً من حورة يسمى وادي الكسر، وابتداءً من قبر النبي هود يسمى وادي المسيلة؛ حيث يصب في البحر بالقرب من ساه هود. بعد استراحة قصيرة دامت أياماً قلائل انطلقت مجدداً نحو الجهة الشمالية الغربية، وبعد يومين من السفر المضني وصلت إلى وادي عمد، وسلكته متجهاً نحو الشمال. إن هذا الوادي مساو لوادي دوعن؛ من حيث الاتساع، والامتداد، ويشبهه من حيث الشكل، كما أن بلدات هذا الوادي متقابلة ومتاخمة بعضها بعضاً، كما هو حال بلدات وادي دوعن، ومن حورة حيث يتلاقى وادي عمد ووادي الهجرين صعدت الهضبة، متجهاً نحو الغرب لأصل بعد أربعة أيام إلى بلدة سسنا في وادي رحية. هذا الوادي لا يسكنه أناس كثيرون، مثل وادي

دوعن ووادي عمد، فمعظم مناطقه تغطيها الرمال. الطريق من سسنا إلى تريم عبر وادي الكسر تأخذ ثمانية أيام. هنا وفي هذا المكان قيل لي: إن صحراء الأحقاف على بعد مسيرة يوم، وقيل لي أيضاً: إن هذه الطريق التي تمر بقبر النبي هود طريق غير سالكة، وتسمى (بحر الصافي)، وأن بها الكثير من الكثبان الرملية، التي تبتلع كل ما يقع عليها. تعود هذه التسمية إلى الملك صافي، الذي انطلق بجيشه من وديان سبأ، ورأس الغول، عبر هذه الطريق، ولكن هذا الجيش تاه وهلك في منتصف هذه الصحراء.

في اليوم الثاني انطلقت نحو تلك الطريق لأتأكد بنفسني عن مدى صحة هذا الكلام. انطلقت في رحلة استمرت ست ساعات باتجاه الشمال الغربي لأصل أخيراً إلى أطراف تلك الصحراء.

هناك تنخفض هذه الصحاري عن مستوى ارتفاع الأراضي المرتفعة بحوالي ١٠٠٠ قدم. لقد أنهشتني كآبة مشهد تلك الصحاري كثيراً، فلك أن تتخيل ذلك المشهد من سهل رملي هائل، ممتد في الأفق، تحفه أعداد لا تحصى من التلال المتموجة، فيظهر وكأنه بحر متحرك. لا ترى فيه أي أثر لأي نبات؛ ليفطي ذلك الاتساع الهائل والخالي من كل أنواع الحياة. لا تسمع هناك تغريداً لأي طائر، كان يمكنه كسر هدوء وصمت قبور الجيش السبني المطمورة تحت هذه الرمال.

لقد استطعت أن أرى بوضوح ثلاثة أماكن بيضاء متألقة، فقامت بقياس هندسي لمواقعها وأبعادها. قال لي أحد المرشدين المرافقين لي: «هذا هو البحر الصافي، تسكن الأشباح هذه الجروف، وتقوم بحماية الكنوز الموجودة هناك، من خلال تغطيتها برمال غدارة تبتلع كل من اقترب منها، لذا يجب عليك ألا تذهب هناك». بالطبع لم ألق بالاً لكل تحذيراتهم



يستطلع البلد، وطلبوا بإعدامي في الحال. لقد كان السلطان خائفاً من البدو، وكان كغيره من سلاطين الوادي معتمداً على البدو، ولذا فقد كان على وشك إعطاء الأوامر بإعدامي لولا أن ظهر أخيراً المرشدون والحراس التابعون لي، وأخذوا يهدنون البدو لما لهم من تأثير ديني وأخلاقي على هؤلاء البدو، وفي أثناء ذلك ألقى بي في السجن، داخل أحد الغرف، مقيداً الأرجل، ومكثت في السجن ثلاثة أيام، ولكنهم كانوا يقدمون لي كل ما هو ضروري، وفي ليلة اليوم الثالث أتى إلي الحراس التابعون لي وزفوا لي البشري بأنهم استطاعوا تهدئة نفوس البدو، ولكن البدو اشترطوا مغادرتي إلى المكلا، وأنه يتحتم علي تسليم كل أوراقتي وكتاباتي. في تلك الليلة أخفيت أكبر عدد ممكن من أوراقتي، ولم أسلمهم غير تلك الأوراق المكتوبة بالقلم الرصاص وقد رضوا بها. بعد أن سلمت لهم مدوناتي وملاحظاتتي المكتوبة على بعض الأوراق أراد السلطان أن يلقي نظرة على أغراضي، وأخذ بالطبع كل ما أعجبه منها. وفي صبيحة اليوم التالي انطلقت في رحلة العودة إلى المكلا، وقد وصلت في الثامن من سبتمبر، بعد رحلة استمرت ١٢ يوماً، ومنها ركبت قارباً متجهاً إلى عدن.

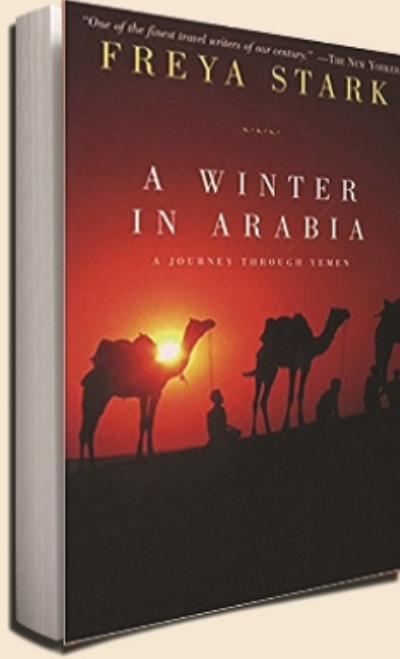
النقوش، التي كانت على مدخل ذلك الضريح. وفي اليوم التالي رحلت عائداً إلى الخربة، ووصلتها بعد أربعة أيام من المسير. وبعد أن مكثت أربعة أيام في هذه البلدة الكريمة المضيافة رحلت عنها، قاصداً بلد قبر النبي هود، والتي تعد مهمة جداً من الناحيتين الجغرافية والتاريخية، وقد رافقني في رحلتي هذه اثنان من أبناء الشخص الذي استضافنا، وكذا الحبيب ذائع الصيت عبد الله بن هادون. في الليلة الأولى من رحلتنا استرحنا في بلدة القرين في الجانب الأيمن من الوادي، وفي اليوم اللاحق وصلت إلى صيف، التي سبقني في الوصول إليها مرافقي بساعة. تجمعت في البلدة حشود كبيرة من الناس استعداداً للاحتفال بزيارة الشيخ سعيد بن عيسى بن العمودي المدفون بمدينة قيدون، التي تقع على مقربة من صيف. وما إن وصلت إلى تلك الحشود حتى أخذوا يهاجموني في الحال، وسحبوني من على ظهر جملي، وانتزعوا سلاحي، وأخذوا يعاملوني بغلظة وشدة، رابطين يدي خلف ظهري، وحملوني بعد أن غطت الدماء والتراب وجهي إلى السلطان الحاكم محمد عبد الله بن عيسى العمودي. عندما أوصلني من قام بأسري إلى السلطان أطلقوا كلهم صيحة مخيفة جداً وأعلنوا أنهم القوا القبض على جاسوس إنجليزي

هذه، ولكنني طلبت منهم أن يقودوني إلى هذه الأماكن حسب ما تم من اتفاق بيني وبين البدو. مشيت بنا الجمال ساعتين كاملتين؛ لنصل إلى سفح هضبة مرتفعة؛ إذ توقفتنا هناك مع غروب الشمس بجوار قلعتين صخريتين عظيمتين. وفي صباح اليوم الثاني دعوت البدو إلى مرافقتي والذهاب معاً إلى تلك الأماكن، التي أشرت إليها آنفاً، ولكنني لم أستطع إغراءهم، أو إقناعهم بالذهاب معي، فالخوف من الأشباح قد تملكهم تماماً، إلى حد أنهم لم يتجرؤوا حتى على الرد على طلبي لهم بالذهاب معي، ولذلك قررت الذهاب بمفردي، وأخذت معي حبلاً بطول ستين قامة، مربوط بطرفه ثقل من الرصاص، يزن نصف كيلو؛ لأسبـر أغوار تلك الرمال الغادرة، وانطلقت في رحلتي هذه المحفوفة بالمخاطر. وبعد ست وثلاثين دقيقة وصلت إلى أقرب تلك الأماكن من جهة الشمال، في ظل هدوء كامل للرياح، وبحذر شديد اقتربت من أطراف ذلك المكان؛ لأفحص الرمال هناك، وقد وجدت رمالاً دقيقة ناعمة إلى حد بعيد، ثم قمت برمي طرف الحبل الذي ربط فيه الثقل إلى أبعد مكان، فغاص في الرمال في الحال، ثم أخذ الحبل يتقاصر ويتناقص غائراً في أعماق الرمال، وبعد مرور خمس دقائق اختفى طرف الحبل الأخير كلياً وابتلعه ذلك القبر المفترس، بالطبع لن أجازف بطرح رأيي الشخصي عن هذه الظاهرة، ولكنني أحسب أنها لظاهرة الاختصاص، وأكتفي بسرد الحقائق كما شاهدتها.

في اليوم التالي عدت إلى سنا، وزرت أحد القبور، التي تعود إلى الحقبة الحميرية، ويقع على بعد ١٥ دقيقة من البلدة. لكن لسوء الحظ فإن تعصب أحد الشيوخ أدى إلى تدمير



كتاب (شتاء في جنوب شبه الجزيرة العربية) لفريا ستارك



تعد البريطانية فريا ستارك (١٨٩٣ - ١٩٩٣م) إحدى أشهر الرحالة الغربيات اللاتي زرن البلدان العربية، خلال النصف الأول من القرن العشرين. وقد ألّفت أكثر من ثلاثين كتاباً، سردت فيها الرحلات التي قامت بها إلى مختلف أقطار الشرق الأوسط بين سنة ١٩٢٧م وسنة ١٩٨٣م. وكوّنت أربعة من تلك الكتب، بالإضافة إلى عدد من الدراسات التي نشرتها في الدوريات العلمية المتخصصة؛ لتقديم بعض جوانب الحياة في جنوب الجزيرة العربية، وبشكل خاص حضرموت وعدن، وذلك خلال واحدة من أكثر المراحل حساسية في تاريخه الحديث والمعاصر؛ وهي عقد الثلاثينيات من القرن العشرين، الذي شهدت المنطقة فيه عدداً من التطورات المهمة، مثل البدء في إنشاء طرق السيارات، ووصول عدد كبير من الخبراء، والرحالة الغربيين، وبروز بعض مظاهر الحياة الحديثة - كالكهرباء، والتليفون، والسينما - وبدء الحرب العالمية الثانية، التي سنجدها في كتابات فريا ستارك. لهذا تكتسب كتابات فريا ستارك تلك أهمية توثيقية كبيرة؛ إذ إنها تتضمن معلومات استخباراتية، لن نجدها في أي وثيقة تاريخية أخرى، مثل تلك التي تميظ اللثام عن الجهود التي بذلها البريطانيون، في بداية الحرب العالمية الثانية، في سبيل تحييد الإمام يحيى بن حميد الدين، وتثمين عن مساندة دول المحور. كما نعثّر في كتابات فرياستارك على رصد للأحداث اليومية في كل من حضرموت وعدن في تلك الحقبة.

وبما أنني سبق أن تناولت في كتابي (حضرموت في كتابات فريا ستارك) ٢٠٠٤م، واليمن في كتابات فريا ستارك، ٢٠١٧م) الصورة التي رسمتها فريا ستارك لليمن في خمسة من مؤلفاتها، (البوابات الجنوبية لشبه الجزيرة العربية، ١٩٣٦م The Southern Gates of Arabia)، (مشاهد من حضرموت، ١٩٣٨م Seen in Hadhramaut)، (والساحل البخور، ١٩٥٣م The Coast of Incense)، (والشرق هو الغرب، ١٩٤٥م East is West)، (وغيبار في مخالب الأسد، ١٩٦١م Dust in the Lion's Paw. Autobiography)، رأيت أن أحصر حديثي هنا في تقديم كتابها (شتاء في شبه الجزيرة العربية، ١٩٤٠م Winter In Arabia) الذي حسب علمي لم يترجم بعد إلى اللغة العربية.

في شتاء ١٩٣٤/١٩٣٥م قامت فريا ستارك -بمفردها- بأولى زياراتها إلى حضرموت. وبعد عودتها إلى أوروبا في أبريل ١٩٣٥م شرعت في كتابة سرد لرحلتها تلك، ونشرته في مايو ١٩٣٦م في كتاب بعنوان (البوابات الجنوبية لشبه الجزيرة العربية The Southern Gates of Arabia).

أ.د. مسعود سعيد عمشوش





79

العدد (9)

يوليو

سبتمبر

2018م

بشكل رئيس من هذا الشتاء، بالإضافة إلى جمال مناظر الوادي التي ترسخت في أعماق ذهني، هو الألفة —عالم بعيد، وفي غاية الغرابة... والفرق الذي يميزه عن عالمنا أعمق بكثير من الظروف الخارجية أو الشكلية؛ فهو يتجاوزها إلى الانعدام الدائم للأمن، الذي يُعد منذ زمن طويل أمراً غريباً في أوروبا. وربما يكمن الفارق بين عالمنا في قبول حالة انعدام الأمن كأساس للحياة» (ص ١٦٨).

ولتدل على صحة ما تؤكد به بشأن الحالة الأمنية في حضرموت في تلك الحقبة، تقوم المؤلفة بوصف الاستعدادات الحربية التي تتخذها كل قبيلة في مناطقها. ففي الرسالة التي تبعثها إلى أمها من شبام في ٢٥ فبراير ١٩٣٥م، تصف طريق عودتها من عندل على النحو الآتي: «قادنا هذا الطريق إلى قرب مجموعة من القرى، التي لا تخضع لأي نظام أو قانون، وتدور فيها حروب آل البُقري. والهدوء الذي يخيم الآن ليس إلا هدنة لمدة ثمانية أشهر فقط، عُقدت بمناسبة زيارة السلطان القعيطي إلى الوادي. والقبائل تتهاى الآن للتحارب من جديد بعد شهرين. فأنت لا تشاهد هنا إلا أبراج المراقبة، والخنادق المحفورة بين كتبان الرمل، والأسوار ذات الممرات المغطاة، والحصون التي تنتصب فوق الجرف الصخري، الذي يطل على القُرى من الخلف. المرء يعيش هنا في العصور الوسطى حقاً» (ص ٨٦).

وفي الرسالة التي تبعثها إلى أمها بتاريخ ١٠ يناير ١٩٣٨م، تكتب مثلاً: «لقد ذهب وادينا الهادئ مع دخان النيران؛ سبق أن أخبرتك أن صاحبي البدوي العجوز قد لمخ لي أن الحكومة على وشك الزوال. حسناً: لقد ذهبت الحكومة. والحاكم -التابع للقعيطي-

حادثة في شبام، وحلول شهر رمضان، لم تصل البعثة إلى حريضة إلا في نهاية شهر ديسمبر. وقد انتهرت فريا ستارك فرصة وجود أسراب من طائرات سلاح الجو الملكي البريطاني في مناطق مختلفة من حضرموت؛ للذهاب إلى عدن، وقضاء الأسبوعين الأخيرين من شهر ديسمبر ١٩٣٧م في إحدى المستشفيات هناك.

ويتكون الجزء الثاني من الكتاب -من صفحة ٢٤ إلى صفحة ١٦٦- من اليوميات (The Diary)، التي كتبها المؤلفة في شبام وحريضة بين ٢٥



فريا ستارك

نوفمبر ١٩٣٧م و٤ مارس ١٩٣٨م، وكرستها لرصد عدد لا بأس به من أوجه الحياة في حضرموت، لا سيما تلك المرتبطة بالحروب القبلية، التي تجسد انعدام الأمن. ولا شك أنها -مثل معظم الرحالة الغربيين الذين كتبوا عن الشرق- كانت تسعى إلى جذب القارئ من خلال تضمين كتبها بعض الأحداث والمشاهد الغرائبية، أو التي سيجدها القارئ الأوروبي غريبة على الرغم من واقعيتها. وقد أكدت هي على "غرابة" حضرموت في بداية حديثها عن (شتاء في حريضة)، في المجلد الثاني من سيرتها الذاتية، حينما تقول: «إن ما تبقى في وجداني

وقد بادرت دار الكتب في الهيئة العامة للثقافة والسياحة في أبوظبي إلى نشر الترجمة العربية لهذا الكتاب، الذي أكسب مؤلفته شهرة واسعة في القارة الأوروبية وخارجها.

وفي أكتوبر ١٩٣٧م، حينما التقت عالم الآثار جيرترود كاتون -تومسون والينور وايت جاردنر بفريا ستارك وطلبتا منها مرافقتها في رحلة استكشافية لـ (معبد القمر) في مدينة حريضة في حضرموت، وافقت في الحال. ووصلت البعثة إلى عدن في ٣١ أكتوبر من عام ١٩٣٧م. وبعد انتهاء الرحلة عادت فريا ستارك إلى بيتها في أسولو الإيطالية، وشرعت في كتابة تقرير عن رحلتها تلك، وقد فاز التقرير بالميدالية الذهبية للجمعية الجغرافية الملكية.

وفي سنة ١٩٤٠م نشرت كتابها (شتاء في شبه الجزيرة العربية Winter In Arabia)، الذي حسب علمنا لم يترجم بعد إلى اللغة العربية. يتكوّن الكتاب من ثلاثة أجزاء؛ يتضمن الأول منها أربعة فصول، تسرد فيها فريا ستارك رحلة البعثة من عدن إلى المكلا بإحدى طائرات شركة البس، ووصفاً لمدينة المكلا، وتقديماً لشخصية كل من دورين إنجرامس وزوجها المستشار البريطاني هارولد إنجرامس، الذي أصبح أول مستشار بريطاني في حضرموت، وشرع في إعادة ترتيب الأوضاع فيها، وقدم لهن بعض (النصائح). وقد أهدت المؤلفة كتابها لإنجرامس وزوجته.

وفي ١٠ نوفمبر ١٩٣٧م غادرت البعثة المكلا. وكانت الرحلة إلى وادي حضرموت هذه المرة مريحة؛ إذ إنها كانت بالسيارة. وزارت فريا ستارك وزميلاتها مدينتي سيئون وتريم الكثيرتين قبل أن يتوجهن إلى مدينة حريضة. ونتيجة لإصابتهن بأنفلونزا



80

العدد (9)

يوليو

سبتمبر

2018م

الذي ليس لديه مال ولا جنود ليساعده هرب من داخل وادي عمد ولجا إلى هنا، تاركاً كل قبيلة من البدو مشغولة بسكب الزيت فوق نخيل القبيلة الأخرى. كل ذلك لأن رجلاً قُتل وهو نائم، وريعا بتحريض من الخارج. وقد سلمت المنصب الذي سيذهب غداً إلى سيئون رسالة إلى إنجرامس، ضمنتها مشورتني له، وأتمنى أن يأخذ بها أو أن يتوصل إليها هو بنفسه؛ إذ إنها جيدة، وأتمنى كذلك أن تنحصر النار الهوجاء في جذوع النخيل؛ فلن يكون من المناسب أن نراها تشتعل هنا» (ص ١٩٢).

وبسبب صبغة الإثارة التي أحاطت بحادثة القتل هذه فقد أولتها فريا ستارك اهتماماً خاصاً؛ فهي تسجل في يومياتها بتاريخ ١٣ يناير ١٩٣٨م: «لقد هرب الحاكم، وألقت القبيلة القبض على بنت الرجل الذي قُتل؛ لأنها -على ما يبدو- هي التي فتحت الباب للقتلة، أو أنها -وفقاً للرواية الأخيرة- هي التي أطلقت النار على أبيها بينما كان نائماً. ويقول رجال القبيلة إنه كان سيئاً وعنيفاً، وكان قد سلبها حليها، وجبسها في حصنه بعد أن ساوره الشك في أنها كانت حاملاً سفاهاً، وعزم على قتلها إن تبين له أن ذلك صحيح. لهذا قتلته وهو نائم. والآن ينبغي على رجال قبيلته الجعدة أن يأخذوا بثأر الرجل. لكنهم لا يعرفون كيف ينفذون ذلك؛ إذ أنه -على ما يبدو- لم يسبق أن وجدت امرأة قاتلة في هذه البلاد. لهذا أرسلوا إلى إنجرامس ليجد لهم مخرجاً من هذا المأزق» (شتاء في جنوب شبه الجزيرة العربية، ص ٩٠).

ويتضمن كتاب (ساحل البخور) رسالة تبعها فريا ستارك إلى أمها في ١٧ يناير ١٩٣٨م، وتحديثها فيها عن تطورات الحادثة قائلة: «الفتاة البائسة

التي قتلت أبها عذبت بوساطة وضع حديد حار على جبينها وأنفها، وهي الآن في طريقها إلى سئينون، لم يدخلوها إلى المدينة، بل تركوها عند بعض الأقارب، وقد جاء جميع رجال قبيلة الجعدة الذين يشعرون بالخجل نتيجة لهذه الحادثة إلى مكان التنقيب السابق» (ص ١٩٤). وفي اليوميات أيضاً، تعلق فريا ستارك على الحادثة بهذه الكلمات الساخرة: «في وادي عمد وقع عنف من نوع أكثر خطورة؛ لقد قُتل رجل وهو نائم في بيته. وتُرِدُّ الإشاعات أن بنته هي التي ارتكبت الجريمة، لهذا فنحن لسنا وحدنا النساء النشيطات في هذه المنطقة» (شتاء في شبه الجزيرة العربية، ص ٦٢).

ومن أهم الأحداث الأخرى التي ترصدها فريا ستارك في كتابها (شتاء في شبه الجزيرة العربية): الإجراءات العنيفة التي اتخذتها الحكومة البريطانية حين قامت بقصف مناطق قبيلتي الحموم والصيعر في نهاية الثلاثينيات من القرن الماضي. وهي طبعاً لا تكتفي برصد العمليات العسكرية، بل تسعى إلى تبريرها من خلال تقديم تفاصيل الأسباب المباشرة التي جعلتها ضرورية، وكذلك نتائجها على أعمال بعثة التنقيب، وردود فعل السكان المحليين تجاهها وإزاء (السلام الإنجليزي) الذي قدمته في بداية الكتاب (ص ٦).

وحين يبعث إليها صديقها الناشر جون موراي برسالة يحدثها فيها عن صدى القصف في الصحف الإيطالية تُردُّ عليه: «أنت لست بحاجة إلى تصديق الصحف الإيطالية حين تقول إن حضرموت تسبح في الدماء؛ إنه في الواقع ما يحدث عندهم على الشاطئ الآخر من البحر. كما أنهم يميلون إلى بث الإشاعات. في الحقيقة حدثت

مشكلة بسيطة: سلب عدد من الجمال، ونتيجة لذلك تبادرت إلى الأذهان فكرة القصف. لكن لم يُقرَّر بعد إذا كانت الغارات ضرورية. وأتمنى ألا يكون الأمر كذلك لا سيما أنها تخلف حالة من الهيجان في المنطقة كلها. وحينما كنت أحلق في الطائرة من سيئون إلى المكلا شاهدت تحتي قسراً الجول الصغيرة جداً، وأني لأستغرب من الكيفية التي تتمكن الطائرات بها من تمييز أهدافها» (ص ١٨٩). ومع ذلك فقد قصفت الطائرات البريطانية حضرموت، واستمر القصف مدة طويلة، وليس فقط لمناطق البدو الحموم في الجول كما تردده معظم المراجع، بل كذلك لقرى الصيعر التي تقع في غرب حضرموت بالقرب من حريضة.

ولكي تبرر تلك الغارات تقدم فريا ستارك عمليات نهب السيارات التي يقوم بها الحموم بين تريم والمكلا. ففي تاريخ ٣١ يناير ١٩٣٨م تكتب في يومياتها: «لا تهمنا من أخبار العالم الكبير إلا تلك التي تتعلق بوادي حضرموت والمكلا، وهي ليست جيدة؛ فدورين إنجرامس مريضة، وتعاني من الوباء نفسه الذي نعاني منه هنا. والبدو الحموم نهبوا سيارة شحن أخرى في طريق تريم وسرقوا ٢٠٠٠ دولار. وبما أنها مرسله باسم باعبيد فربما تكون لنا. ولن يكون أبداً مناسباً أن نترك هنا دون نقود» (شتاء في شبه الجزيرة العربية، ص ١١٣).

لهذا فهي تنتقد صراحة طريقة الحموم في الدفاع عن مصدر دخلهم، وترى «أن تجارة الجمال الخاصة بالبدو الحموم قد تدهورت بسبب شق طريق السيارات. لكن هذا ليس سبباً معقولاً لجعل طريق السيارات خطيراً... لقد جعلت مشاكل فلسطين الناس في العالم العربي يتصورون أن عمليات



وعلى الرغم من أن فريا ستارك لم تكن عالمة أنثروبولوجيا أو باحثة أكاديمية متخصصة فقد حرصت تضمين كتابها (شتاء في شبه الجزيرة العربية) كثيراً من العادات والتقاليد والمعتقدات الشعبية الحضرية، فهي لا تدع أبداً مناسبة اجتماعية أو دينية تفوتها حتى وإن كانت مريضة. مثلاً، في بداية رحلتها الثانية إلى حضرموت، لم يمنعه التهاب الجهاز التنفسي من الذهاب إلى إحدى المدن القريبة من شبام لحضور زيارة أحد الأضرحة، وتكتب في يومياتها: "كنت أود أن أقضي يومي في الفراش؛ إذ إنني مريضة الآن وأعاني من حمى شديدة. لكن حسين أزج نفسه وقام بتجهيز بيت خاص بأحد أعمامه في الحوطة التي يذهب إليها كل سكان المنطقة اليوم لزيارة ضريح أحد الأولياء". (شتاء في شبه الجزيرة العربية، ص ٤٨)، وهناك وجدت نفسها وسط آلاف من البدو الذين جاءوا من مختلف القرى والمدن المجاورة. وتصف المشهد قائلة: "لقد تجمّع هنا نحو سبعة آلاف

مسافة آمنة، واستمتعوا بالنتيجة". (شتاء في شبه الجزيرة العربية، ص ١٧). وبالنسبة لردود فعل الأهالي تجاه (السلام الإنجليزي) التي ترصدها فريا ستارك فهي في الغالب إيجابية، ففي ١٥ يناير يقول لها منصور، أحد سكان حريضة، إنه يرحب بالحكومة والسلام الإنجليزي، ويشرح لها سبب ذلك: "تستحق الحكومة الشكر؛ فقبل مجيئك أول مرة إلى حريضة قتلوا أخي حين أطلقوا عليه النار من البيت المقابل لمنزلنا الذي يقبع وسط الحقل، وكان لزاماً علينا أن نأخذ بثأره. ولم يكن هذا الأمر ممكناً؛ لأننا جيران. وقبل سنتين وضع السيد أبوبكر الكاف -الله يقوي ساعده- هدنة بيننا لمدة أربع سنوات، ودفع لي مئة دولار من ماله دية لأخي. والآن جاء السلام الإنجليزي، وتوقف نزيف الدم. ولم أندم، إنه لشيء مفرح أن أستطيع المشي بجانب جاري دون أن نضطر إلى قتل بعضنا بعضاً". (شتاء في شبه الجزيرة العربية، ص ٩٢).

نهب الأموال أو حرقها أو القتل فقط يمكن أن تجبر لندن على الاستماع لقضاياهم العادلة. لقد استخدم الحموم (التكتيك) نفسه متجاهلين قانون النسبية؛ كما أنه ليس لديهم قضية عادلة مثلما لفلسطين العربية؛ إذ إن أحداً لا يستطيع أن ينفي شرعية وجود طريق للسيارات إلى مدن الوادي. وقد فعل إنجرامس كل ما في وسعه ليفرض ضريبة على النقل بالسيارات» (شتاء في شبه الجزيرة العربية، ص ١١٢).

وفي مقدمة كتاب (مشاهد من حضرموت) ترى فريا ستارك أن اللجوء إلى الغارات الجوية هو الوسيلة الوحيدة لحمل مختلف القبائل على احترام السلام الإنجليزي، فهي تؤكد أن "الطريقة الوحيدة لجعل هذا السلام فعالاً هي إنزال العقاب عند كل مخالفة، ولن يتأتى هذا إلا عن طريق السلاح الجوي الملكي". (ص ١٩).

ومن الطبيعي أن تتناول فريا ستارك الآثار السلبية التي تركتها الغارات في أعمال الحفر، التي تقوم بها بعثة التنقيب عن الآثار وفي حياة أفرادها. ففي ٢٨ يناير تذكر أن منصب حريضة قد استلم وثيقة موقعة من خمسة من وجهاء مدينة المشهد المجاورة، يبينون فيها أن وجود البعثة غير مرغوب فيه. (شتاء في شبه الجزيرة العربية، ص ١٠٩)، وتحدث فريا ستارك كذلك عن كيفية استفادة السكان المحليين من بعض نتائج تلك الغارات الجوية التي شنتها بريطانيا ضد الحموم والصيعر قائلة: "قبل بضعة أشهر ألقت طائرات القوى الجوية الملكية بقنابلها فوق الوادي. ولم تتفجر إحدى القبائل، والتقطها رجال القبائل بحذر، ووضعوها عند مدخل قرية أعدائهم المجاورين، وأطلقوا النار على تأمين القبيلة من



من الناس تحت أشعة الشمس. وأعلامهم الأربعة تتأرجح في الوسط كأنها أشعة سفينة. أما الضريح نفسه الذي تطله قبة مشرعة الأبواب فلا يكاد يرى. وقد استطعت أن أقرب منه وأراه لمدة دقيقة أو دقيقتين. كان عبارة عن مجسم مستطيل وصلب وبدون فتحات. ثم أدركت أن الناس يتزاحمون من حولي لرؤيتي وليس للاقتراب من الضريح. وغرقت وسطهم. وعلى الرغم من أننا حاولنا البقاء معاً فقد اختفى يسلم. ومسك رجل غريب بيدي وقادني وسط البدو الذين كانوا يأتون من أمامي ومن خلفي موجة بعد الأخرى. لقد كانوا طبيبين، لكن أعدادهم الهائلة أزعجتني. وتبرع بعض الرجال وأبعدوا البدو بضربات العصي إلى أن أوصلوني إلى باب البيت. (شتاء في شبه الجزيرة العربية، ص ٤٩)، وفي طريق العودة قال لها يسلم ضاحكاً: "هذه السنة جاء الناس لزيارتك وليس لزيارة المرحوم أحمد بن زين". (شتاء في شبه الجزيرة العربية، ص ٥١)، وخلال إقامتها في حريضة قدمت فريا ستارك وصفاً شيقاً لمراسيم زيارة أخرى مشابهة. (شتاء في شبه الجزيرة العربية، ص ١٢٩).

كما تعطي فريا ستارك اهتماماً خاصاً بالعادات والمعتقدات المرتبطة بطرق العلاج الشعبي. وقد تعرفت على عدد منها حينما اضطرت أن تقدم بعض الوصفات الطبية للناس في حريضة. ففي ٣ فبراير من سنة ١٩٣٨م تكتب في يومياتها: "جاء صالح، أصغر أبناء محسن، ليساعدني على تشخيص مرض امرأة تشبثتني من (السكن) الذين في رأسها. والسكني لا يمكن أن يراه إلا عدد محدود جداً من الناس مثل والد صالح. وله شكل إنسان، لكنه أطول، ويمكن أن يعيش في أي عنصر؛

الحجر، الجدار، البوابة، وإن ضحكت منه يدخل وسطك ويؤذيك. وإذا كان (السكني) أو بالأحرى (السكنية) تحبك ستأتي وتهز ثيابك حين تكون مريضاً، وستحضر أحد الأنبياء ليعالجك. فبعض السكن يصلني لكن الآخرين لا يصلون. وإذا كانت (السكنية) لا تحبك ستبصق حين تمر بجانبك وستظهر عليك بعض البقع الحمراء. ومن الصعب رؤية السكنية أو التعرف عليها حتى حين تكون مرئية لأنها تسير محجبة مثل بقية النساء. وأخبرت المرأة المريضة أن أملاح (Epsom) يمكن أن تحبط السكن وتنفعها أكثر من أي شيء آخر. وإذا لم تنفع الأملاح سيفعل الله الباقي. وبعد انصرافها تحدثت مع صالح حول هذه المسألة. وقد أخبرني أنه لا يعتقد أن الذي في المرأة (سكن) بل (بركين). والبركين يذوبون ويدخلون فيك مثل الرياح الباردة من خلال الإصبع الأكبر لقدمك اليمنى، ثم يستقرون في الصدر وينفخون في الرئتين؛ إما في المقدمة أو في أحد الجانبين، ويأكلون طعامك. لهذا فانت تأكل وتأكل وتظل دائماً جائعاً. ويستطيع الولي الذي في القبر إخراج البركين من خلال الإصبع الأكبر الذي دخلوا منه. وسألت صالح: "وهل صحيح أن الولي لديه أربعة عفاريت يذهبون كل ليلة في شكل كلاب إلى قبره ليخبروه بكل ما فعل؟" ورد صالح "نعم، ويمكن أن يراهم أي إنسان يجنون ويذهبون. لكن لا يستطيع أحد الاقتراب من القبر حينما يكونون هناك". وأضاف: "العفاريت رجال ويدخلون النساء عبر الأذن - كم هذا صحيح - والجن نساء ويزرن الرجال. لكن الجن الخافي هو أسوأ أنواع الجن. فهو حين يدخلك يتورم جسدك وتنتفخ ثم تسود وتموت. اللهم احفظنا". وقلت "أمين" لا سيما

أن أخلاقنا الأوروبية قد أضعفتها الكثير من الأمراض والأوبئة التي حولنا. وتقول زميلتي إليز، عالمة الآثار التي تتجه الآن بدورها نحو المرض، إن هذه البلاد تسبب لها هيجاناً عصبياً شديداً. ويجب أن أخبرها أن سبب هذه النوبات ليس إلا البركين". (شتاء في شبه الجزيرة العربية، ص ١١٧).

وإذا كانت علاقات فريا ستارك بالسكان المحليين في حضرموت جيدة بشكل عام، فقد شاب بعض التوتر علاقتها برفيقتي رحلتها الثانية إلى حضرموت، لا سيما بعالمه الآثار جيرترود كاتون - تومسون. أما بالنسبة لعلاقتها بزميلتها الأخرى، عالمة الجيولوجيا إليز وايت جاردنر، فقد كانت جيدة مقارنة بعلاقتها مع عالمة الآثار؛ فالينور كانت مواظبة على الجلوس معها والحديث إليها، وتزورها في غرفتها وتخبرها عن تقدم أعمال التنقيب حينما كانت مريضة. وقد شعرت فريا ستارك بشيء من الحرج عند تناولها لتلك العلاقة في الجزء الثاني من سيرتها الذاتية الذي نشرته سنة ١٩٥٣م. فهي تعترف أنه "من أصعب الأمور في كتابة السيرة الذاتية تحديد كمية المشاعر الخاصة التي يمكن البوح بها. ونهجي في هذا الكتاب نهج الرسام الذي يمكن أن يهمل لوحة عرضية أو لفحة شمس عابرة، لكن يظل عليه، مع ذلك، أن يقدم بإيجاز كل الملامح، بل حتى ظلال الملامح، ما دام إهمالها يمكن أن يهدم التماسق الكلي للصورة... وإذا كان لدى المرء جرأة الاعتقاد أن الناس مهتمون بشخصيته فسيكون من اللائق أن يرسم في الأقل صورة دقيقة قدر المستطاع. لهذا السبب لم أهمل شيئاً يمكن أن أراه خلفي وأثر في شخصيتي، إيجاباً أو سلباً. ومع ذلك



صغيرة في شبه الجزيرة العربية، بعيداً عن الشكاوي، ومن غسيل الثياب، وأشياء أخرى من هذا القبيل". (ساحل البخور، ص ٨٨).

ولا شك أيضاً أن فريا ستارك قد شعرت أن جيرترود كاتون - تومسون لم تنصفها في التقرير العلمي الذي أعدته عن البعثة، ونشرته سنة ١٩٤٤م بعنوان (Gertrude Caton Thompson, The Toms of Temple of Hureidha (Hadhraut, Oxford, p. XI)؛ فهي لم تشر إليها فيه إلا تقول: "لحقت بنا فريا ستارك من مستشفى عدن في ٢٦ ديسمبر بعد غياب دام أسبوعين، ولازمت غرفتها من جديد، ومن وقت إلى آخر، لأسابيع عدة".

ويتضمن الجزء الثالث من كتاب (شتاء في شبه الجزيرة العربية) (The Journey) سرداً لرحلة عودة فريا ستارك من حريضة إلى عدن. فبعد انتهاء أعمال التنقيب في مطلع شهر مارس من سنة ١٩٣٨م قررت فريا ستارك، التي تفضل السفر المنفرد، أن تترك العالمين تعودان لوحدهما بالسيارة من حريضة إلى المكلا، بينما ركبته هي على ظهر جمل، برفقة دليلها علي العطاس الملقب بـ (علي البدوي)، واتجهت غرباً صوب وادي عمد، من غير علم المستشفى - إنجرامس. وفي هذا الوادي تعاني من أمراض كثيرة، وتكاد تقطع "رحلتها في طريق البخور". لكنها "تفضل عدم الاستسلام لجسدها الغبي"، وتواصل السفر جنوباً، على ظهر حمار، باتجاه عزان، إلى أن تصل منطقة (حصن الغراب)، غربي ميناء قنا القديم في ٢٣ مارس. ومن هناك أخذتها سفينة ركاب صغيرة إلى عدن. وحينما وصلت فريا ستارك عدن في ٢٨ مارس ١٩٣٨م كانت تعاني من أمراض عدة، ولم تغادر المستشفى إلا لتركب

تعاملهم به جيرترود تومسون. وتؤكد أن منصب حريضة وعلي العطاس قد طلباً منها التدخل لدى العالمتين؛ لتخففاً من خشونة معاملتهن للعمال والكف عن ضربهم!

ومن ناحية أخرى، لن يكون من الإنصاف أن نلوم فريا ستارك حين فضلت عدم مرافقة العالمتين، اللتين لا تتحدثان العربية مثلها وبحاجة إلى قدرتها على التعامل مع الناس، في طريق عودتهن بالسيارة إلى المكلا، والتوجه بمفردها غرباً ثم جنوباً في (طريق البخور) الذي قادها إلى ميناء قنا. فهي تؤكد "أن اللورد ويكفيلد الذي أسهم في تمويل البعثة بسخاء لا يهتم بشيء آخر غير طريق البخور. وعلى كل حال أعتقد أنني أستطيع أن أجد له موقع ميناء قنا القديم إذا فشلت في الأشياء الأخرى".

ومع ذلك، لا يمكن أن نمنع أنفسنا من البحث عن تفسير جانب من الخلاف الذي برز بين فريا ستارك وزميلاتها جيرترود تومسون في شخصية فريا ستارك نفسها التي كانت تفضل - كما سبق أن ذكرنا - أسلوب السفر المنفرد، ولم تكن مهياً تماماً للعمل أو السفر ضمن فريق أو مجموعة من النساء. فهي لم تتردد في الإشارة إلى بعض سلبيات العالمتين اللتين لم تكفا طوال الرحلة عن شراء كل ما يقع بين أيديهن، مما أدى إلى ارتفاع تكاليف البعثة، وجعلهن يبيدين وكأنهن من "موظفات وكالة كوك للشحن".

ومن ناحية أخرى، تعترف فريا ستارك في الرسالة التي بعثتها من حريضة إلى صديقها جوك قبل نهاية أعمال البعثة بشهر أنها عازمة على السفر بمفردها إلى الساحل عبر وادي عمد، وتنتهي رسالتها قائلة: "ساكون سعيدة جداً أن يكون لي وحدي أخربقعة

فالذكريات، التي هي بطبيعتها خاصة، أو التي تلمس أناساً آخرين، لم يتم تناولها بأبعادها الفعلية، إلا أنه قد تم الإشارة إليها ضمناً بشكل كاف لكي يستطيع القارئ أن يتابعها بخياله. واعترف الآن، دون أي شعور بالحق، بوجود خلاف عميق بيني وبين واحدة من رفيقتي"، (ساحل البخور، ص ٨٢).

ويمكن أن نلمس بذور الخلاف بين جيرترود تومسون وفريا ستارك حتى قبل وصولهن إلى حضرموت؛ ففريا ستارك تشير في الرسالة التي بعثتها من عدن إلى أمها بتاريخ ٤ نوفمبر ١٩٣٧م، إلى أن "جيرترود تومسون تريد أن تضع اتفاقاً مسبقاً حول كيفية تقسيم الممتلكات. وحين سألت الكولونيل ليك - مساعد حاكم عدن - قال إنه لا يريد إلا أشياء قليلة للمتحف هنا. وسيتركنا نقرر ونختار بأنفسنا". (شتاء في جنوب شبه الجزيرة العربية، ص ٦٢).

وفي الحقيقة كانت مهمة فريا ستارك، التي لم تشارك في الجانب العلمي البحث من البعثة، حساسة وفي غاية الأهمية؛ فهي التي تقوّم بالتفاوض مع القبائل للحصول على الإذن بالتنقيب في أراضيهم، وتحل المشاكل التي تبرز حين يطالبون بالنقود تعويضاً عن الممتلكات، إلى درجة أنها تؤكد في إحدى رسائلها إلى والدتها أنه لم يعد لديها متسع من الوقت للكتابة بسبب انشغالها بأمور البعثة. وإذا كانت تقضي بعض الوقت في الحديث مع المنصب والسكان الآخرين فقد كانت تسعى إلى إلهانهم وإبعادهم عما تقوم به العالمتان. كما أنها تضطر في بعض الأحيان للتدخل لحل المشاكل، التي تبرز بين عالمة الآثار وعمال الحفر المحليين، الذين يشكون إليها من الأسلوب الفج، الذي



السفينة مسافرةً باتجاه أوروبا، وقد أخبرها الطبيب أن السفر على ظهر الجمل أو الحمار لمدة شهر تقريباً هو سبب أمراضها.

وتضمن فرياً ستارك هذا الجزء من كتابها سرداً لكثير من الحوادث المثيرة التي شهدتها في أثناء سفرها من حريضة إلى الساحل؛ ففي نهاية رحلتها مثلاً، يعترض سبيلها عدد من البدو ويصارعونها بمخاوفهم من الإنجليز (اصلح إنجرامس)، وتسجل حوارها معهم على النحو الآتي:

"وبينما نحن جالسون حول النار، خرج بدوي من الظلام بشعره المنسدل وأنفه الصغير والمستقيم، إنه من عائلة باقظمي، إحدى فخذ بني نعمان. وسألني:

- "هل أنت واحدة من الإنجليز؟ هل حقاً أتيتم لتجعلوا عبيدنا أحراراً، وتجعلونا ندفع ضرائب ونساءنا يفعلن ما يشأن؟" وأجبت:

- "بالنسبة للموضوعين الأول والثاني: لا أدري، لكنني أعرف أن نساءكم يفعلن الآن ما يحلو لهن، لأنني أنا نفسي امرأة". فضحك وجاء وتقرص بالقرب من النار المتوهجة، وأضاف:

- "الجل كله يتحدث عن طائراتكم، وقد أخبرنا سلطان عزان أنها قد جاءت ولم يصدقه أحد، لكنها وصلت فعلاً. وها أنت الآن وصلت بعدها! ما كل هذا؟ هل جئتم لتفسدوا بلادنا؟".

- "لا أتمنى هذا حقاً".
- "لقد سلّمنا بنادقنا كلها بسبب سلامكم الإنجليزي. وقبل أسبوعين سرق بنو حمير الذين يعيشون في الجبال اثنين من جمالنا، وباقظمي سلّم بنادقنا. لدينا ما فيه الكفاية من السلام: سنذهب قريباً إلى أراضي بني حمير لنسكب الزيت فوق جذور

نخيلهم .. ونحن لا نحبكم". وبينما هو يقول ذلك ابتسم لي بطريقة تلقائية، فقلت له:

- "عشاؤنا الليلة جدي مشوي، وستحبني أكثر بعد العشاء. فنحن في بلادنا نعتقد أن المرء لا يحب أبداً الناس ما دام جائعاً، وبالنسبة لبلادكم، لا نريد أن نسلبكم إياها؛ لدينا أرض أفضل منها. وإذا نحن جئنا إلى هنا فليس لكي نؤذيكم، بل لأن سلاطينكم دعونا كي لا نترك الناس الذين لا تحبونهم ولا نحبهم يدخلون بلادكم".

- "إذا كان الأمر كذلك، قال باقظمي، سيكون كل شيء على ما يرام. لكن إذا فعلتم سلاماً يجب عليكم أن تحافظوا عليه ولا تتركوا بني حمير يسرقون جمالنا". (شتاء في جنوب شبه الجزيرة العربية، ص ٢٠٤ - ٢٠٥).

وبالإضافة إلى ذلك تؤكد فرياً أنها لم تتردد، هي نفسها، في المشاركة في ترسيخ السلام الإنجليزي في المناطق الغربية من حضرموت خلال إقامتها في حريضة. ففي ١٣ يناير من عام ١٩٣٨م، تكتب في مذكراتها: "إنّ تحليق طائرتين من القوات الجوية الملكية فوق هذا الوادي كفيل بحفظ هذه المنطقة هادئة. ولا شك أن ابتعادهما أو غيابهما هما اللذان يسمحان للعناصر الغربية بالبروز. وحالما يظهر هارولد إنجرامس تختفي تلك العناصر. وفي هذه الأثناء يترك وجودنا هنا بعض الأثر للمحافظة على الهدوء في المنطقة؛ فأنا أستقبل كل يوم عدداً من سكان الوادي الذين يطلبون مشورتي التي أقدمها لهم مرغمة، وبشكل غير رسمي، ولأجل مصلحتهم". (شتاء في جنوب شبه الجزيرة العربية، ص ٩٠)، وحين تستلم الرسالة القصيرة التي يخبرها

فيها إنجرامس أن تمرد الحشوم مستمر، تقول إن وجودهن في حريضة قد ساعد على استقرار الوضع في الركن الغربي من وادي حضرموت. (شتاء في جنوب شبه الجزيرة العربية، ص ٢٠٥).

كما أن الأسلوب الفريد الذي استخدمته فرياً ستارك في تدوين رحلاتها التي ترجمت إلى معظم اللغات الأوروبية هو الذي جعل كتبها من أروع ما ألف في أدب الرحلات باللغة الإنجليزية. فمن خلال المزج بين السرد والوصف والحوار، استطاعت أن تضيف على نصوصها كثيراً من عناصر الجمال والتشويق والإثارة. كما أن تداخل السرد مع الرسائل واليوميات والانطباعات التي سجلتها الرحالة مباشرة في حضرموت قد أعطى لأسلوب فرياً ستارك حيوية قلما نجدها في كتب الرحلات الأخرى.

ولتتمكن فرياً ستارك من جذب أكبر عدد ممكن من القراء، وتجسيد الجانب الغرائبي في نصوصها وتقريبه من خيال القارئ، وإقناعه بصحة ما تنقله من مشاهد، لم تكتف بقلمها، بل استخدمت كذلك آلة التصوير. فهي قبل رحلتها الأولى إلى اليمن قامت بشراء LeicaIII التقطت بها نحو (٦٠٠٠ صورة)، أصرت أن تظل جميعها باللونين الأسود والأبيض حتى بعد أن أصبحت الصور الملونة هي السائدة في الثمانينيات من القرن الماضي. وقد ضمنت فرياً ستارك كتابها (شتاء في جنوب شبه الجزيرة العربية) أربعة عشرة صورة من الصور التي التقطتها خلال تلك الرحلة. أما الصور الأخرى فقد ضمنتها كتابها (مشاهد من حضرموت) الذي أرادت، هي وناسرها، أن يكون هدية للقارئ.



وقفان في النصحيح اللغوي:

الكل والبعض (٢)

(فيهم) من قول النابغة:

رَحَطُ ابْنِ كَوْزٍ مَحْتَبِي أَدْرَاعِهِمْ (٧) (٨).

ويقول ناظر الجيش: «وشد تنكيره وانتصابه حالاً، في ما حكاه أبو الحسن الأخفش، فعلى هذا لا يمتنع أن تدخل عليه الـ (٩) وهذه طريقة أبي علي الفارسي في إجازة هذا الاستعمال قياساً على (النصف). ففي أمالي ابن الشجري: «ولتقدير الإضافة فيهما امتنع بعض النحويين من إدخال الألف واللام عليهما، ويجوز في قياس قول سيبويه، وفي رأي أبي علي، لحاق الألف واللام لهما، وذلك أن سيبويه: (١) أجاز في قول الشاعر:

تَرَى خَلَقَهَا نَصْفاً ثَنَاءً قَرِيْمةً

وَنَصْفاً ثَنَاءً يَرْتَجُ أَوْ يَتَمَرُّ (١١)

... أن تنصب نصفاً على أنه حال... ولما أجاز انتصاب (نصف) على الحال، دل ذلك على أنه عنده نكرة، وإذا كان نكرة، جاز دخول الألف واللام عليه؛ لأنه إنما يكون في قطعه عن الإضافة معرفة، إذا قدرت إضافته إلى معرفة، وإذا لم تقدر إضافته إلى معرفة كان نكرة، وإذا كان نكرة جاز دخول الألف واللام عليه، كما جاء في التنزيل: ﴿فَالَهَا النُّصْبُ﴾ [النساء: ١١] وكل وبعض مجراهما مجرى نصف؛ لأنه يقتضي الإضافة إلى ما هو نصف له، كما أن كلاً يقتضي الإضافة إلى ما هو كل له، وبعضاً يقتضي الإضافة إلى ما هو بعض له. فإذا قدرت إضافة كل وبعض إلى المعارف كانا معرفتين، وإذا قدرت إضافتهما إلى النكرات كانا نكرتين،



أ.د. عبدالله صالح بابعير

إن علة منع إدخال (أل) على هذين اللفظين، عند المانعين كما أسلفنا، هي أن هذين اللفظين معرفان بنية الإضافة، والإضافة محضة هنا، (وال) والإضافة المحضة لا تجتمعان. ولكن هذه العلة مردودة بما ذهب إليه الفارسي من أنهما نكرتان، قياساً على (ثلث، وسدس، ونصفاً ونحوها، وهذه نكرات بالإجماع) (١٢)، يقول الباقر: «ونحن نقيس البعض والكل على النصف» (١٣) أو على أن البعض «مؤول بالجزء، وهو يدخل عليه (أل)، فكذا ما قام مقامه» (١٤).

ومن الدليل على أن (كلاً وبعضاً) نكرات، إجازة الأخفش، وأبي علي الفارسي، وابن درستويه تجريدتهما من معنى الإضافة، وتنكيرهما، وانتصابهما على الحال: (١٥) وحوكوا: (مررت بهم كلاً) بالنصب على الحال (١٦) وعلى ذلك جرى تخريج نصب (كلاً) في قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا نَبِيهَا﴾ [غافر: ٤٨] يقول ابن مالك: «وأما النصب في ﴿إِنَّا كُنَّا نَبِيهَا﴾ فيخرج على أن (كلاً) حال، والعامل (فيها) كما عمل

فهما بمنزلة نصف، تقول: نصف دينار، ونصف الدينار، وكل رجل، وكل الرجال، وبعض رغيف، وبعض الرغيف» (١٧). فأبو علي يقيس كلاً وبعضاً على النصف في التعريف والتنكير، وفي إدخال الألف واللام عليهما، ثم يقوئ استدلاله على ذلك بقوله: «ومما يدل على صحة جواز دخول الألف واللام عليهما أن أبا الحسن الأخفش حكى أنهم يقولون: مررت بهم كلاً، فينصبونه على الحال، ويجرونه مجرى: مررت بهم جميعاً، وإذا جاز انتصابه على الحال، في ما حكاه عن العرب، فلا إشكال في دخول الألف واللام عليه» (١٨). ثم يخلص ابن الشجري بعد هذه الاستدلالات التي ساقها في قياس أبي علي إلى القول: «فقد ثبت بما ذكرنا أن دخول الألف واللام على (كل وبعض) جائز من جهتين: إحداهما أنك لا تقدرهما مضافين إلى معرفة، وإذا لم تقدر إضافتهما إلى معرفة جرياً مجرى (نصف) وغيره من النكرات المتصرفة. والجهة الأخرى أن يكون (كل) على ما ذكره أبو الحسن من استعمالهم إياه حالاً بمعنى جميعاً، فيجوز دخول الألف واللام عليه كما دخلا في الجميع، فقد ثبت بهذا أن من امتنع من دخول الألف واللام عليهما مخطئ» (١٩).

وإذا صح قياس (الكل والبعض) على (النصف والجميع) وما جرى مجراهما، خرج ذلك على أن التنوين في (كل وبعض) عوض من المضاف إليه المحذوف، فإضافتهما ملحوظة في المعنى، مع



تتكبرهما^(١)، وعندئذ يُحْكَمُ على (ال) في (الكل والبعض) بأنها عوضٌ من المضاف إليه المحذوف^(٢)، يقول صدر الأفاضل: «فإن سألنا: (كل) ليس من قبيل الإضافات، بدليل قولك: جاءني الكل، ورأيت الكل، ومررت بالكل؟ أجبت: اللام فيه تنوب عن الإضافة»^(٣)، ويقول الزبيدي: «وقال الأزهرى: النحويون أجازوا الألف واللام في بعض وكُل، وإن أباه الأصمعي. قال شيخنا: أي بناءً على أنها عوضٌ عن المضاف إليه»^(٤).

والقول بالتعويض من المضاف إليه بالألف واللام هو مذهب الكوفيين، يقول المرادي في النوع السابع من أنواع (ال): «أن تكون عوضاً من الضمير، هذا القسم قال به الكوفيون، وتبعهم ابن مالك، ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿جَنَّتْ عَدْنٌ مَفْجَحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾ [ص: ٥٠] وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات: ٤١] أي: أبوابها، وهي مأواه. ومذهب أكثر البصريين أن الضمير في ذلك محذوف^(٥)، ويقول ابن هشام: «أجاز الكوفيون وبعض البصريين وكثير من المتأخرين نيابة (ال) عن الضمير المضاف إليه، وخرجوا على ذلك ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ (امررت برجل حسن الوجه) واضرب زيد الظهر والبطن! إذا رفع الوجه والظهر والبطن. والمانعون يقدرون: هي المأوى له، والوجه منه، والظهر والبطن منه»^(٦).

ويحمل على ذلك أيضاً قول أم المؤمنين عائشة، رضي الله عنها، في ما روته من حديث النسوة: «زوجي المس مس أرنب، والريخ ريخ زرنب»^(٧)، فيكون تقدير العائد في جملة الخبر على أحد وجهين: إما على تقدير (ال) عوضاً من الضمير العائد، أي: مسه مس أرنب، وريخه ريخ زرنب، وهو رأي الكوفيين وبعض البصريين وكثير من المتأخرين كما ذكرنا غير بعيد، وإما على تقدير العائد محذوفاً، أي: المس منه مس أرنب، والريخ منه ريخ زرنب، وهو تقدير أكثر البصريين كما ذكرنا آنفاً. والتقدير الأول هو الجاري على المسألة التي نحن بصدد بحثها والاحتجاج لها.

يتضح مما سبق أن ورود (ال) عوضاً من المضاف إليه في القرآن الكريم، وكلام العرب الفصحاء، يؤكد صحة إدخال (ال) التعويضية على (كل وبعض)، وقد توقف بعض اللغويين في إثبات صحة (الكل والبعض) عند ذلك، ولم يحتاجوا إلى دليل من السماع^(٨)، ففي تاج العروس: «النحويون أجازوا الألف واللام في بعض وكُل، وإن أباه الأصمعي. قال شيخنا: أي بناءً على أنها عوض عن المضاف إليه»^(٩).

أما قول النحويين: إن (الكل والبعض) لم يردا في القرآن الكريم، ولا في كلام الفصحاء، فمردود بما سنع من كلام العرب الفصحاء، ومن حفظ حجة على من لم يحفظ، فمن الشواهد الفصيحة، الدالة على صحة استعمال هذين اللفظين (الكل والبعض) ما يأتي:

١- قول رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «لا يجتمع ملأ، فيدعو بعضهم، ويؤمن البعض، إلا أجابهم الله»^(١٠).

٢- حديث برة بنت أبي جرة، قالت: «فمضى طلبيب بن عمير وحاطب بن عبد شمس، يصلون بشعب أجناد، بعضهم ينظر إلى البعض»^(١١).

٣- ما روي عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «فإن هو أدرك بعضها، وفاته البعض، كان كذلك»^(١٢).

ولا أعلم أن أحداً من النحويين أو الدارسين المحدثين ذكر شيئاً من هذه الأحاديث الثلاثة، التي أضعها هنا جزءاً من الدليل على صحة استعمال (الكل والبعض).

٤- قول المرقش الأصغر: شهدته به عن غارة مسطرة يطاع بعض القوم والبعض طوحوا^(١٣).

فقد صحح صبحي البصام قول من يقول: (البعض) مستشهداً بهذا الشاهد، يقول في ذلك: «لا يخطئ من يقول: (البعض) لورودها في شعر المرقش الأصغر، فإنه قال... وأظن أني أول من أتى بشاهد قديم على صحة استعمال البعض»^(١٤).

٥- قول مجنون ليلى: لا يذكر البعض من ديني فينكره ولا يحذني أن سوف يفضيني^(١٥).

وقد اتخذ أحمد مختار عمر قول المجنون هذا دليلاً على صحة هذا الاستعمال^(١٦)، أما عدنان محمد سلمان فقد رد الاستشهاد بقول المجنون هذا، برواية أخرى للبيت، أحال فيها على هامش المحقق^(١٧)، ولكنه لم يكن محققاً في ذلك؛ لأن الرواية التي حاول الباحث أن يرد بها موضع الاستشهاد جاءت في إحدى نسخ (الأغاني)، أما بقية النسخ فالرواية فيها موافقة لموضع الاستشهاد، إن نسخة واحدة فقط (ت) هي التي جاءت فيها الرواية مخالفة لموضع الاستشهاد، في حين جاءت بقية النسخ (ب، س، أ، د، م، ج) موافقة لموضع الاستشهاد، مع اختلاف يسير لا يؤثر في موضع الشاهد، فهل يجوز رد رواية ست نسخ برواية نسخة واحدة^(١٨)؟

٦- قول سحيم، عبد بني الحساس: رأيت الغني والفقر كليهما

إلى الموت يأتي الموت لكل معمد^(١٩) ويقوي هذا المسموع الفصيح جملة من الأشعار والأقوال لطائفة من الشعراء والكتاب الأعلام، غير المحتج بأقوالهم وأشعارهم، من ذلك قول البحتري:

وما كل ما بلغتم صدق قاتل وفي البعض إزراء علي وذام^(٢٠)

وقوله أيضاً: وكنا نرى بعض الندى بعد بعضه فلما انتجعناه دُعينا إلى الكل^(٢١)

وقول المتنبي:

ولا واحداً في ذا الورى من جماعة ولا البعض من كل ولكنك الضعف^(٢٢)

وفي الرسالة للشافعي: «فذكر الأخت منفردة، فأنتهى بها جل ثناؤه إلى النصف، والأخ منفرداً، فأنتهى به إلى الكل، وذكر الإخوة والأخوات، فجعل للأخت نصف ما للأخ... فلو قلت في رجل مات وترك أخته: لها النصف بالميراث وردد عليها النصف، كنت قد أعطيتها الكل منفرداً»^(٢٣)، وفي البيان والتبيين للجاحظ: «وقال بعض الحكماء: قتل البعض إحياء للجميع»^(٢٤)، وفيه أيضاً:



87

العدد (9)
يوليو
سبتمبر
2018م

(٢٢) ينظر: نظرات دقيقة حول (بعض وكل) في الأساليب العربية: ١٦٩.

(٢٣) تاج العروس (بعض): ٢٤٣/١٨.

(٢٤) الحديث في: المستدرک علی الصحيحين: ٤٢٤/٣ (الحديث رقم ٥٥٤٥).

(٢٥) الحديث في: المصدر السابق: ١٤١/٤ (الحديث رقم ٦٩٤٧).

(٢٦) الحديث في شُعَب الإيمان: ٣٥٦/٤ (الحديث رقم ٢٦٣٣).

(٢٧) هذه الرواية في جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام: ١٧٢ (بتحقيق عمر فاروق الطباع)، والرواية في نسخة الجمهرة (ص ٥٦٧) بتحقيق محمد علي الهاشمي، وفيها بتحقيق علي محمد البجاوي (ص ٤٤٣):

شَهِدْتُ بِهِ فِي غَارَةٍ مُسْبَطَةٍ

يُطَاعِنُ أَوْلَاهَا سَوَاءً وَيَطْرَحُ

ولا شاهد فيها على هذه الرواية، والبيت في المفضليات (ص ٢٤٣) برواية:

شَهِدْتُ بِهِ فِي غَارَةٍ مُسْبَطَةٍ

يُطَاعِنُ أَوْلَاهَا فَنَتَامُ مُصَبِّحُ

ولا شاهد فيها أيضاً.

(٢٨) الاستدراك على قل ولا تقل: ٧٤-٧٥.

(٢٩) الأغاني: ٢/٤٦٠.

(٣٠) ينظر: العربية الصحيحة: ١٩٨.

(٣١) ينظر: دراسات في اللغة والنحو: ١٩٨.

(٣٢) ينظر: الأغاني: ٢/٤٦٠ (الهامش: ٩).

(٣٣) البيت في رسالة الغفران: ٤٥٧. وهو في ديوان سحيم (ص ٤١) برواية لا شاهد فيها:

رَأَيْتُ الْغَيَّ وَالنَّعِيرَ كَلْبَهُمَا

إِلَى الْمَوْتِ يَأْتِي مِنْهَا الْمَوْتُ مَعَمَدًا

(٣٤) ديوان البحري: ٢/٢٥٠.

(٣٥) المصدر السابق: ٢/١٨٨.

(٣٦) ديوان أبي الطيب المتنبّي بشرح أبي البقاء العكبري: ٢/٢٩٠.

(٣٧) الرسالة: ٣/٥٨٧-٥٨٨.

(٣٨) البيان والتبيين: ٢/٣١٦.

(٣٩) المصدر السابق: ٣/٢٩٦.

(٤٠) معجزة أحمد: ٣/٣٦٢.

(٤١) المصدر السابق: ٣/٤٩٤. وينظر أيضاً: ٢٨٩/٤.

(٤٢) تاريخ دار السلام: ٥٠٥/٥.

(٤٣) المثل السائر: ١/٧٢.

(٤٤) ينظر: العربية الفصحى المعاصرة وأصولها التراثية: ١٠٧-١١٣.

(٤٥) المصدر السابق: ١٠٦.

الذين صحّحوا هذا القياس، ومستبدين في الوقت نفسه إلى عدد من الشواهد الشعرية والنثرية التي يعضد بعضها بعضاً، ومستأنسين بطائفة من النصوص، لعدد من الشعراء والكتاب الأعلام، الذين إن لم يكن الاستشهاد بأقوالهم جائزاً، فالاستئناس بها جائز ومستساغ.

الهوامش:

(١) ينظر: شرح التسهيل لنظر الجيش: ١٨١٩، ٣٢١٠، وارتشاف الضرب: ٤/١٨١٨-١٨١٩.

(٢) إعراب القرآن (المنسوب إلى الزجاج): ٢/٦٥٥.

(٣) تاج العروس (بعض): ٢٤٣/١٨.

(٤) ينظر: شرح الكافية الشافية: ١/٩٥٠، وارتشاف الضرب: ٤/١٨١٩-١٨٢٠، وجمع الهوامع: ٢/٥١.

(٥) ينظر: جمع الهوامع: ٢/٥١.

(٦) والنصب قراءة ابن السميعة، وعيسى بن عمر. ينظر: البحر المحيط: ٧/٤٤٨.

(٧) هذا صدر بيت للنايفة في ديوانه (ص ٥٥): وَعَجَزَهُ (فِيهِمْ وَزَهْطُ رَبِيعَةٍ بَيْنَ حُذَارِ).

(٨) شرح التسهيل لابن مالك: ٣/٢٤٤-٢٤٥. وينظر: البحر المحيط: ٧/٤٤٩.

(٩) شرح التسهيل لنظر الجيش: ٧/٣٢٠٧.

(١٠) ينظر: كتاب سيبويه: ٢/١١.

(١١) ديوان ذي الرمة: ٢٢٦.

(١٢) أمالي ابن الشجري: ١/٢٣٣-٢٣٤.

(١٣) المصدر السابق: ١/٢٣٥-٢٣٦.

(١٤) المصدر السابق: ١/٢٣٧.

(١٥) ينظر: نظرات دقيقة حول (كل وبعض) في الأساليب العربية: ١٦٨.

(١٦) ينظر: المصدر السابق: ١٦٩.

(١٧) شرح المفصل في صناعة الإعراب: ٢/٢٠.

(١٨) تاج العروس (بعض): ٢٤٣/١٨. ولم أقف على القول المنسوب إلى الأزهري في تهذيب اللغة.

(١٩) الجنى الداني: ١٩٨-١٩٩.

(٢٠) مغني اللبيب: ١/٣٣٨-٣٣٩. وينظر في ذلك أيضاً: مشكل إعراب القرآن: ٢/٦٢٧، والكشاف: ٦/٣١٠، والبحر المحيط: ٤١٥/٨.

(٢١) ورد الأثر في: صحيح البخاري: ٧/٣٥، وسنن النسائي الكبرى: ٥/٣٥٤، وصحيح ابن حبان: ١٦/٢٥.

«هذا فرق ما بين مَنْ بَعَثَ إِلَى الْبَعْضِ، وَمَنْ بَعَثَ إِلَى الْجَمِيعِ» (٣٩) فقابل بين (البعض) و(الجميع)؛ لأن الجميع كل في المعنى. وفي (معجزة أحمد) للمعري: «يقول: إذا أصاب سيف الدولة علة، عمت الأرض ومن عليها، واعتل بها أيضاً الشجاعة والكرم؛ لأن قوام الكل به» (٤٠)، وفيه أيضاً: «يعني أنك رمت بعض أعدائك، فأدركت الكل بسعادة جدك» (٤١)، وفي تاريخ بغداد للخطيب البغدادي: «فإذا جاز أن يخرج البعض جاز أن يخرج الكل» (٤٢). وفي المثل السائر لابن الأثير: «وإذا أريد به الجوارح فلا يخلو إما أن يراد به الكل أو البعض، فإن أريد به الكل دخل تحته السمع والبصر، ولم يكن لتخصيصهما بالذكر فائدة، وإن أريد به البعض فهو بالفرج أخص منه بغيره من الجوارح» (٤٣). والأمثلة على ذلك كثيرة، تصعب الإحاطة بها، وقد جمع عباس السوسوة طائفة من أقوال النحويين واللغويين، والكتاب الأعلام، منذ منتصف القرن الثاني للهجرة إلى عصرنا الحديث، استعملت فيها (الكل والبعض) مقترنتين بالألف واللام، ومن هؤلاء: الأخفش الأوسط، والجاحظ، والمبرد، وابن السراج، وابن الأنباري، والسيرافي، والتنوخي، وابن جني، والقاضي عبد الجبار الهمداني، والشريف المرتضى، والمعري، وعبد القاهر الجرجاني، وأبو حيان الأندلسي، والمرادي، والسبكي، وابن خلدون، وغيرهم (٤٤). لذا يقول السوسوة: «والذي نطمئن إليه أن تعريف (البعض والكل) موجود في العربية منذ القرن الأول الهجري، وكان استخدامه قليلاً؛ ممّا دفع الأصمعي إلى تخطئة هذه الظاهرة، عندما وجدها في أدب ابن المقفع» (٤٥).

نخلص من ذلك إلى جواز دخول الألف واللام على (كل وبعض) قياساً على (النصف والجميع) وما جرى مجراهما، فتكون الألف واللام عندئذ عوضاً من المضاف إليه المحذوف، مسترشدين بأقوال طائفة من النحويين واللغويين



وهج القصائد على شواطئ اللغة (١ - ٣)

قراءة في بناء لغة الشعر في قصائد عقد الثمانينيات ١٩٨٠م - ١٩٨٩م

إشارة: (لغة الشاعر عوض الشقاع لغة ريانة حقاً، وهو كثيراً ما يفاجئ قارئه، ويحقق له ما يسمى بخيبة التوقع، الذي هو مبعث المتعة، ومصدر الشعرية في لغة القصيدة المعاصرة).
الشاعر العراقي علي جعفر العلاق في تعليق مخطوط بقلمه على قصائد من شعر الشقاع تيسرت له قراءتها.

القصيدة القصيرة بلغة النقاد الحدائين، أو المقطعة بلغة بعض النقاد الأوائل. فأقصر أبيات نصوصه في هذه المرحلة لا يقل عن الخمسة الأبيات إلا قليلاً، وأطولها لا يزيد على العشرين بيتاً إلا قليلاً. ولعل هذا عائد لرغبة الذات في اختزال القول للاحتفاظ بهج الانفعال واحتدامه، فلكم أفضت إطالة أبيات القصيدة عند كثير من الشعراء إلى شيء من البرودة والترهل، فيخبو وهج انفعالها ويبيخ احتدامه. هذا كله في دائرة الافتراض، أما إذا نظرت إلى النصوص من خلال توزعها على أعوام العقد كاملاً كما دلت على ذلك تواريف كتابتها، وقد أثبتها الشاعر في ذيل كل قصيدة بان لك توزع على نحو آخر، يجوله لك الجدول الآتي:

العام	عدد القصائد
١٩٨٠م	١٣
١٩٨١م	٣
١٩٨٢م	٢
١٩٨٣م	٨
١٩٨٤م	٣
١٩٨٥م	٦
١٩٨٦م	١١
١٩٨٧م	٥
١٩٨٨م	-
١٩٨٩م	٢
الإجمالي	٥٣

من الحساب العابر - أن الشاعر ينتج خمس قصائد في كل عام ولا غير. وهو ما يولد جملة من الافتراضات الأخرى، منها أن الشاعر من المحككين، الذين لا يقبلون كل ما يرد إلى خواطرهم من شعر، بل يرجعون فيه البصر كرتين. ولست بمستطيع نفى هذه الصفة عنه، فكل مبدع عبقرى عبد لصنعتة، فتراه يتعهد إبداعه الشعري كما تتعهد الحسناء زينتها، ولعله أحرص عليه منها على زينتها في بعض الأحيان. وإن المتأمل في قصائد الشقاع لا يغفل عما تحلت به من محاسن ورواء.

على أن ثمة افتراضاً آخر - يبدو في ظاهره على تناقض مع الافتراض الأول - يتعلق بموقف الشاعر من الحياة، والتفاعل معها، وقد عرف فيها فنوناً من الإحباط، حتى غدا مثلما وصف الشاعر العباسي دعبل الخزاعي نفسه، أو كما قال هو: (أنا مسيخ حامل صليبه)، فامتلات نفسه بالإحساس بالعبث مما أورثه انصرافاً عن ممارسة الإبداع، وعن الركون إليه بصفته مفزعا تلوذ به النفس من نكد الدنيا، الذي تخص به الحر من أمثاله، فتركه هاجساً يقبله متى شاء القدوم إليه، لكنه لا يسعى إليه حثيثاً.

أما إذا نظرت إليه من جهة نفس الأبيات فيها بان لك انتظامها في بنية



د. عبدالله حسين البار

على هامش القراءة:

قبل بدء الحديث في جوهر الموضوع علينا أن نقف مع القارئ على طبيعة المتن، موضع القراءة: لنلا يتحير في إدراك أبعاده.

المتن الذي سنبحث في خصائصه الأسلوبية ما أسعفت الطاقاة هو القصائد التي أبدعها الشاعر عوض ناصر الشقاع في عقد الثمانينيات من القرن العشرين (١٩٨٠م - ١٩٨٩م)، ويبلغ عددها ثلاثاً وخمسين قصيدة، كما احتوتها دواوينه الأربعة (طقوس النار والأحجار / عناوين لرحلة الغيوم / السائر في الظلمات / متاهات في كتاب الرمل)، ودع عنك خامسها وهو (الدقتر السقطري) فله حديث مستقل في مقام غير هذا المقام.

إن ثلاثاً وخمسين قصيدة هي نتاج عشرة أعوام تنبى - بافتراض، وبقليل



العشر الأولى من رحلة الثلاثين عاماً فوق درب الشعر هي التي سيدور عنها الحديث: لتبين كيفيات بناء لغة الشعر فيها بالكشف عن عناصرها المكوّنة، من خلال جدلية المواضع والتوسع، وطرائق تشكيلها في النص لتتمكن من إنتاج الدلالة، وتوليد المعنى.

مفتاح لقراءة النص:

القضية الأولى والأساسية التي يثيرها شعر الشاعر عوض ناصر الشقاع في أفئدة المتلقين هي أنه شعر موزون ببحر وقافية. وهل يضيره شيئاً أن يكون موزوناً ببحر وقافية؟

لقد مضى زمنٌ كان فيه أدونيس - وهو في السمت الأعلى من أعلام الحداثة الشعرية في عصرها الحديث - يصم الوزن بـوظيفة النظم ولا غير، "فليس كل كلام موزون شِعراً بالضرورة"، هكذا كان يقول. وهو حكمٌ جائز، لا يقتصر جوره على ما سلف من قصائد موزونة ببحر وقافية، بل يشمل القصائد القلائد، والمقلّدات الخوالد في تاريخ الشعرية العربية. فهل خلا قول القائل:

ويارب يوم قد لوت وليلة
بأنسة كأنها خطُ تمثال
يضيء الفراش وجهها لضجيعها
كمصباح زيت في قناديل ذبال
كان على لبّاء جمر مصطل
أضواء غصاً جزلاً وكف بأجذال
وهبت له ريح بمختلف الصوا
صباً وشالاً في منازل قتال
من شعرية؟

أو هل صح وصف قول القائل:

رعوا ما رعوا من ظمئهم ثم أوردوا
غماراً تسيل بالرماح وبالدم
فقصوا منايابهم ثم أصدروا
إلى كلاً مستوبل متوخم

لأنك لم تُطِقِ الارتفاع يكون

لزاماً عليك السقوط.

...إلى آخر ذلك من أمثاله.

على أن فاعلية هذا التفاعل مع الوعي الجمعي لم يقتصر على ابتهاج الذات بلحظات الانتصار ققط؛ فعمل مكابذتها لمرارة الهزيمة، وانحياز

المتن الذي سنبحث في خصائصه الأسلوبية ما أسعفت الطاقة هو القصائد التي أبدعها الشاعر عوض ناصر الشقاع في عقود الثمانينيات من القرن العشرين

المستهى في يناير ١٩٨٦م قد فاق في أثره عليها أضعاف ما فعلته فيها بهجة العام ٨٠م، وهو ما يجلوه قوله: شاعرات مواظبة على تأليفها الأشنع يدين الحفل كثيراً لرجل الراقص الأبرع تشوّه وقتنا جداً تمادى عامنا الأصلع خواء الخارج القمعي مثل الداخل المقمع وقوله:

أشكو سواي وأشكو الأنا؟

كلانا كسرنا كلانا الكبير
فسوء البدايات قد قادنا
إلى نقطة عند سوء المصير
وهو يجمل ذلك في قوله من حوارية:
*لماذا الهزائم لا تنتهي؟ - لأن
انطلاقاتنا دائمة.

ولذلك غدت هذه الأعوام الثلاثة متناً في تجربته الإبداعية في هذه المرحلة، وما سواها من سنوات ذلك العقد إلا حاشية على ذلك المتن.

هذا النتاج الشعري لهذه السنوات

ينبئ الجدول أن الأعوام (٨٠/٨٦/٨٣) هي أخصب الأعوام بالإنتاج الشعري للشقاع، نسبتها إلى ما أنتجه في الأعوام السبعة الأخرى هي (٦١%) في مقابل (٣٩%) لعدد قصائد الأعوام الأخرى في هذا العقد. هل يمكننا القول إن لهذا صلة بالتغيرات السياسية والاجتماعية، التي شهدتها مدينة عدن في المدة الزمنية من ١٩٨٠م إلى ١٩٨٦م؟ حيث مثل القائم بالأمر اتصالاً غير منظور بين الذات المبدعة والوعي الجمعي للانتماء الجغرافي الذي تعالى فغدا حضوراً سياسياً للجماعة التي تنتمي إليها الذات، ومشاركة فاعلة في حركة المجتمع من سنوات الصعود حتى جسيم المأساة في ١٣ يناير ١٩٨٦م. وهو اتصال لم يخط به الإدراك، ولا هيمن عليه الوعي هيمنة كاملة يومئذ، لكنه ترك أثره على العالم الباطني للذات، فانسابت معه على طريققتها في الانفعال بالحياة والتفاعل معها، فنسجت عوالمها التخيلية في تلك الأجواء، على الرغم من موقفها من الفرد، وإن كان هو الرجل الأول في ذلك الحين، وقد تجلّى ذلك الموقف في مثل قوله:

شكلتني مدينتي، ذات حلم
شفقاً أزرقاً .. هوّى أرجواني
حدثني عن الغرام ونامت
جعلت ما العمل؟ كتاب الأغاني
فلسفت موتها الجديد لتنسى
وأضافت إلى المعاني .. معاني
لمبة أصبحت لكل جهول
وجماعة لأغبي أناني
ومثل قوله:

أبحث شموخك في غفلة
وعدت، ووجهك سفير القنوط
تسل، إذا شئت بالانكسار
فقد يبهج الهابطين المهبوط



في تبيان محاسن القصيدة، أو مقابحها، وما خلاه فَعَرَضَ لا قيمة له في ذاته، وهو على أية حال ليس باعثنا على الكتابة هنا، وإنما همنا الحديث عن شعرية اللغة في شعر الشّقاء وحداتها. وإن من مظاهر (الشعرية) في شعر الشّقاء في هذه المرحلة أن لغته لا تحيل إلى مرجع ما تشير إليه دوالها، ويتحدّد به المقصود، بل هي تحوّم في فضاء الدلالة، فيتجدّد مردودها الإنتاجي بتجدّد قرأناها. حقاً هي تمتع من الواقع المعيش، لكنها تنزاح عنه، وتتخطى عناصره، فتتشكّل فيه على نحو خاص؛ لتخلق عوالم تخيلية، وكانات لا وجود لها بتشكّلها اللغوي إلا في الشعر. قال:

تشب الأشواق في أوردتي
كجياذ عاديّات في السهول
من غبار الحزن.. من جيفته

تطلق الدنيا شعاعاً.. وحقول
لم تعد ذاتية الأمس سوى

ورق يهذي.. وتاريخ يول
أوغلت الدفقة الشعرية في المجاز، فشكّلت اللغة عوالم على غير ما ألف الواقع المتشكّل الموجود. فالأشواق - وهي معنوية في الأصل - تتخذ هيئة الكائن الحي الذي يثب ويقفز، وتستحيل الأوردة إلى فضاء مكاني يتلاءم مع هوية الفعل المسند إليه الفاعل (الأشواق). ثم يجيء دالّ (الحزن) في البيت الثاني، فيتحرّر من تجريده اللغوي؛ ليفقد جماداً يتولّد عنه (غبار) يوحى بالعقم والجفاف وانعدام الرّواء والنماء؛ لتتعدّد من بعد صورته، فيستحيل كائناً حياً انعدمت فيه الحياة فغداً (جيفة) لا حياة فيها، ولا تجدّد لها. ولكن الصورة لم تقف عند ذلك، بل انسربت إلى (المفارقة)، فإذا الحياة تتفجّر من ثنايا ذلك العدم، وإذا الآمال تشعّ بجديد، وإذا الدنيا تتجدّد خلاياها بحياة خلاقة في الحقول.

قدر عليّ: بدايةً ونهايةً
أن أعبر النهر الذي لم تعبري
أمتصّ غربة عالم متوجّع
وأذوق خيبة عالم متوتّر
وأراك في كل الظروف حكاية
تندى بأحداقي، وإن لم تشعرني
وفي هذا المتغير الأسلوبية وفي سواه
من متغيرات أسلوبية، اشتملت عليها
لغة الشعر في قصائد الشّقاء في هذه
المرحلة من تاريخه الإبداعي ما

الإبداعية، وتأنّت على الانتظام في
هيئاتها الموروثة، فأضافت إليها صوراً
لم يكن لعروض اللسان بها عهد، وهي
(متفاعلن / متفاعلن / متفاعلن × ٢):

أمني على خطّ العذاب المستقيم
فجديد أوجاعي شبيه بالقديم
أسلو جحيم الذات أبحث خارجي
فوجدت أن الآخرين هم الجحيم
ما خطوة إلا لها مرثية
وحقير أشيائي له هم عظيم

الشاعر حين يستخدم الوزن لا يستخدمه كما هو
في عروض اللسان، بل يشكّله على نحو يجعل منه
عروضاً للنص، شأنه في صنع هذا شأنه في استخدام
البنية الإفرادية، وتركيب الجملة، وتشكيل الصورة الفنية

يستوجب درسه والوقوف على
خصائصه الأسلوبية؛ لمعرفة طرائقه
في بناء لغة الشعر عقدنّ، وكيفيات
تشكيلها في النص، فنذكر من
مستويات الكلام فيه شيئاً، ومن
هياكله شيئاً آخر، ومن أقسامه شيئاً
ثالثاً. وسنبداً أول ما نبدأ بـ

شعرية اللغة وحداتها:

القدامة وصمة كل قصيدة ينسجها
شاعرها على منوال البحر الواحد
والقافية الواحدة.

قالوا ذلك في شعر الشّقاء مثلما
قالوه في شعر البردوني من قبل.
ومن عجب أن قائل مثل ذلك الحكم
لم يتقرّر لغة النص، ويستكشف
خصائصها، ويبين عن محاسنها، أو
يكشف عن مقابحها إن وجدت، (فهكذا
تورد الإبل)، وليس كما يصنع (سعد
وأصحاب سعد). فلقد يمنح شاعر
قصيدته لغة ذات شعرية ظاهرة وإن
نسجها في بحر واحد وقافية واحدة،
فلا اعتبار هنا بتشكيل اللغة، وطرائق
استخدامها فهو الجوهر، وعليه الاعتماد

وفي هذا ما يشي بنزوع الإبداع إلى
الخروج على المألوف، ناهيك بتحرّره -
رؤية وموقفًا وتشكيلًا لغويًا صورةً
وتركيبًا - من أسر الماضي؛ لتتشرب
روح العصر ومكوناته المتحوّلة، واقرأ
له قوله في قصيدته (النائي):

تتسرّب اللحظات بين أصابعي
فكأن عمري كائن من ماء
وأحسن آتني في الجسوم ممزق

فكأنما كلّ الوري أشلائي
أبدأ أحنّ إلى اكتمال نافذ

ليسير هذا الكون تحت حداثي
ومثله قوله في قصيدة (شيء لا يرى):

نادى العبير فسرّت خلف ندائه
لكنّ بابك والطريق تنكّرا

فتفرّق الأمل الجميل شرادماً
عبر الشوارع والعذاب نجمها

كنت البلاد إذا البلاد تأنقت
كنت الزمان إذا الزمان تعطّر
ومثله قوله في قصيدة (أن تذكرني):



يتراسل مع ما سلف هذا التَّضادُّ، الذي ينشأ بين (الحاضر) البائس، الذي جوهره غبارٌ وجيفٌ، لكنَّه يلد مستقبلًا كلَّه إشراقٌ ونماءٌ، و(الماضي) الذي كان مجيداً فغداً (ورقاً يهذي .. وتاريخاً يبول) في منظور وجودي يتجاوز الماهية إلى عتبات الكينونة. ويأذن بتعالٍ (التداولي) على معطيات (الشعرية) ومكوناتها من غير أن يقسوى على إلغائها. وفي هذا ما يشي بتماس لغة الشعر عند الشَّقاع بالعصر ومنظوماته الفكرية، وما تماهى معها من دوالٍ تبين عن خصائصه الفلسفية.

وقريبٌ من ذلك ما نجده في قوله:

عاشقٌ من أول الحزن أتى

عندما يطفأ شوقاً يتوهج

ناره يمتشق الموجُ بها

صمته أنشودة السَّيفِ المضرَج

فاضت الأسرارُ من نظرتِه

فحكايه شمسٌ تتبرَّج

وهب البحرُله فطرته:

كلُّها يلمحُ أنى .. يتموجُ !

هنا تستعصي (الشعرية) على معطيات المجاز الموروثة؛ لأن وضعها في إطاره يفسد صنيع الشاعر وقد أحكم نسجها، ويقرب هوية إبداعه وقد أغرب تخيلها. فالعاشق يبدو (شمساً) تتوهج، ثم طفلاً لتتوهج، ووهجها أشواقٌ في أعماقه، ثم تصير النارُ بعضه - ("ناره" في تركيبٍ إضافي، ويتجلّى ضميرُ الغائب في بنية التجريد للدلالة على المتكلم لأن "عاشق" في مفتتح القول خبرٌ لمبتدأٍ يمثلُه ضميرٌ مستترٌ هو "أنا") - وهي ذات فاعلية فيها (يَمتشق الموجُ)، وهو موجٌ منزاعٌ عن أصله؛ إذ غداً سيفاً صارماً لا عهد للناس به، فهو نتاج اللغة ووليدها. وتفعل (المقابلة) فعلها في التركيب اللغوي فيصبح الصمتُ أنشودةً، وتنسب إلى السَّيفِ، ويغدو الجماد من بعدُ كأننا حياً يتضرَّج بالدماء حين

تُسفك. أترأه لهذا كانت الأسرار عميقة في عينيه؟ وإنما فاضت منهما الأسرار؛ لأن صدره بها زأخراً عامراً.

وتكون الشعرية بخرق المألوف كما في قوله:

لفتتها من بن ذي ناخبٍ

وخطوها الحناً ولحن الزفافُ

فاللفتة حركةٌ، والخطوة وقعٌ، وكلاهما لا يتوافقان مع المرني الذي يمثلُه المذوق/المشروب (البن)، والمشوم (الحناء)، وإن يكن في (لحن الزفاف) ما فيه. لكن تدبر الدلالة يبين عن انتلافٍ ينبثق من ثنايا الاختلاف، يتمثل في هذه النشوة، التي تحدثها (القهوة) في إطار المجاز المرسل، وهذه البهجة التي يلدها مشهد الحناء يخضب كفي الحسناء وقدميها، وهو ما يضاهاها

الإنساني في قوله في بنية التشبيه (كالصباح الأصفر) ما يمنح الجماد (الصباح) ماهية الكائن الحي غير الإنسان (النبات)؛ من حيث إن الاصفرار مرحلة في تحول النبات بعد الجفاف. هنا تتداخل الأشياء والأحياء في تراسل دلالي يتجاوز حد المواضعة في اللغة. ومما يتصل بما نحن فيه أن الجملة في شعره قد تقف عند حد الصفر من الكلام، فيتطابق المنطوق مع المصدوق في إطار المواضعة، كما نجد في قوله:

لبسوا أحدث الثياب .. وقلبي

يلبس الشعر والهموم الجديدة

ففي قوله: (لبسوا أحدث الثياب)

تطابق بين المنطوق والمصدوق؛

حيث إن الظرف الزماني متصلٌ بعيد

من الأعياد، وهو ما يقتضي البهجة،

تستعصي الشعرية عند الشَّقاع على معطيات المجاز الموروثة؛ لأن وضعها في إطاره يفسد صنيع الشاعر وقد أحكم نسجها، ويقرب هوية إبداعه وقد أغرب تخيلها

التي من صورها التعبيرية الحديث عن لبس أحدث الثياب، وليس لهذا القول صلةٌ بالشعرية، لكن الإبداع يتجاوزُه إلى الإيغال في درجات الشعرية العليا، فنجد: (قلبي يلبس الشعر والهموم الجديدة)؛ حيث تبارح الدوال دائرة المعجم ومواضعاته؛ لتتخلق في أفق المجاز، الذي به يُمنح المعنوي ماهية الحسي الملموس، ويتجلّى الإسناد على غير المألوف في اللغة.

أما ما نجده في قوله:

أحاور عاصفة في جذوري

واقراً زلزلة في يقيني

فأنكش شعري عن مطلع

وأستل قافية من جيبني

دعيني أوصل عزف الصخور

لأطلقها في المدى الياسميني

تحدثه لفتة المحبوبة وخطوها في فؤاد من أبصر ورأى.

وفي مثل ذلك النزوع لتوغل الحوال في الشعرية يغدو اتصالها بالمواضعة محدوداً، كما نجد في قوله في موضع آخر:

أهمي، كدمع الليلة المتحدِّر

وأجنفٌ وحدي كالصباح الأصفر

هنا يسهم المجاز الذي أوغلت فيه اللغة في خروجها من دائرة المواضعة، فنجد في الفعل المضارع (أهمي) المسند إلى الفاعل (ضمير المتكلم أنا) ما يمنح الإنسان ماهية الجماد (السحاب)، في حين أن قوله (كدمع الليلة المتحدِّر) ما يمنح الجماد (الليلة) ماهية الإنسان (تساقط الدمع)، ومثله ما يهبه الفعل المضارع (أجنف) من منح الإنسان، وهو المسند إليه في هذه الجملة ماهية الجماد (التراب)، على أن في التركيب



وديسلر أنها تتشكّل من خلال "إعادة البنية مع ملئها بعناصر جديدة". وهي ألصق بالوظيفة الشعرية، التي تنشأ من خلال إسقاط محور التماثل الخاص بمحور الاختيار على محور التوزيع كما يرى جاكوبسون، وهو يعدّ بنية التوازي بعض منتجات ذلك القانون. ويعود اهتمامه بها إلى يقينه من أن "بنية الشعر هي بنية التوازي المستمرة". وفي شعر الشّقاء تتجلى صور شتّى لهذا التوازي بين التراكيب، تتنوع بناها اللغوية بتنوع المواقف، ومقاصد الذات من تركيب الكلام. فلقد تجيء في هيئة "الموازنة"؛ من حيث تماثل تركيب الجملة في الشّطرين، كما في قوله:

تلتقاني بعمر خالد

ألتقاهَا بعمر لن يطولُ

تتكوّن الجملة في الشّطر الأوّل على النحو الآتي: (فعل مضارع، يتلوه فاعل، يدلّ عليه ضمير مستتر، يعود على الغائبة، يلحق بهما مفعول به، يدلّ عليه ضمير المتكلم المتصل، ثمّ حرف جرّ واسم مجرور، وتختتم الجملة بـنعت، يماثله في الشّطر الثاني التكوين نفسه ما خلا موضعين، هما: التبادل في المواقف بين الفاعلية والمفعولية — بين ضمير المتكلم المستتر، الذي يدلّ عليه استخدام همزة المضارعة، وضمير الغائبة، الذي يتجلى حاضراً في المقول اللغوي. واستخدام الجملة الفعلية في موضع الصفة (لا يطول)؛ من حيث إنّ الجمل بعد النكرات صفات.

لكنّ التأمّل في حبك الكلام ومحتواه يكشف عن بنية (التضاد) في ثنایا بنية (التماثل)؛ حيث يدلّ معنى البيت على تقابل ضديّ بين الخلود والفناء، واتساع مجد البلاد، وضيق تاريخ الفرد، ومن هنا يتأبى المكوّن الأسلوبی على أن يكون مجرد حلية صوتية؛ ليُصل بمنابع الدلالة، فغداً واحداً من وسائل إنتاجها في النصّ.

دلالة الحقايرة والدناءة، وهو ما يولده الاقتران اللغويّ بين صفات البشر، (يومئذٍ إليها ضمير المخاطبة)، وما أضيف إليها من أفعال حيوان (أقعى)، وصفات جمادٍ (البركة الراكدة). وقريب منه ما نجده في قوله:

نحيءُ بسلة الأفرح نشوى

وتطرد ذلك الحزن الخرافي

هنا يقترن المجرد (الأفرح) بالجماد (سلة) اقتراناً إضافياً؛ ليتجسّم الأثر، الذي يحدثه مجيء المحبوبة في الذات المتكلمة. وهذا استخدام للدوال تنوّعت طرائقه في قصائد الشّقاء في هذه المرحلة، فنجد حنين الزنبقة إلى

تتجلى في شعر الشّقاء صورٌ شتّى للتوازي بين التراكيب، تتنوع بناها اللغوية بتنوع المواقف، ومقاصد الذات من تركيب الكلام

القطاف في اقتران فعليّ يدلّ عليه قوله:

ملاعها على وهج انفعالي

كزنبقة تحن إلى القطاف حيث اقتترن كائن حي غير إنسان (الزنبقة) بمجرد ذي صلة بصفة من صفات الإنسان، وفي هذا ما يرشحها للتشخيص.

وجميع تلك الدوال قد اقتترن بعضها ببعض، في إطار انزياحها عن مراجعها، فتجلّت شعريتها من ثنایا ذلك الانزياح.

على أن القول بالانزياح قانوناً للشعرية لا يعني أن ليس ثمة سواه، فلقد تتجلى الشعرية من ثنایا التماثل والتناسب على مستوى التأليف أو التوزيع، وهو المستوى الأفقي في تركيب الكلام، وهو ذو صلة بالسبك النحوي، كما دلّ عليه أصحاب اللسانيات النصية، وسنقف منه على ظاهرة التوازي، التي يرى ديبو جران

فعاقد إلى أن اهتزاز درجة التطابق بين الدالّ ومدلوله المرجعيّ أفضى إلى تحرّره من إसार المعجم، فيوغل بالبنية اللغوية في دائرة المجاز الاستعاري، فيغيّب المرجع، وتتجلى الشعرية، (أحاور عاصفة/ أقرا زلزلة/ أسئل قافية/ أواصل عزف الصّخور). وهنا تتجاوز الصورة حدي التشابه والتماثل؛ لتسكن في دائرة التماهي بين العناصر المكوّنة لبنية الصورة الاستعارية. وفي تركيبها اللغوي تتداخل الحقول الدلالية، التي تنتمي إليها مفردات البيت، فنجد الإنسانيّ (أحاور/ أقرا/ يقيني) يتداخل مع الطبيعيّ (جذور/ عاصفة/ زلزلة). أما في

قوله: "أواصل عزف الصّخور" فإنّ الفنون تتداخل من فنون مسموعة إلى فنون مرئية.

وإنّ من مقتضيات الشعرية خروج الدالّ من دائرة المواضعة إلى دائرة التوسع بعيداً عن محددات المجاز ومكوّناته، كالذي نجده في قوله:

سلوت المحيط الجسور الغيور

وأعبت في البركة الراكدة هنا تنسلخ الدوال من دائرة المواضعة وما ألزمتها بها من معنى؛ لتتلبس معاني أخرى غير التي عرفت بها، فيأخذ (المحيط) - وهو جماد - ماهية الإنسان، فيتشخص الجلال، ويتعظم من جهة الاقتران اللغويّ بين صفات تشير إلى بشر (الجسارة والغيرة) واسم هو في أصله ينتمي للجماد، يقابله في هيئة مضادة صورة الإنسان وقد أخذ ماهية الحيوان والجماد في أن؛ لتشخيص



قصائد الشَّقَاع في مرحلة من مراحلها على الرغم من انتظامها في بحر وقافية تتماس في كثير من ظواهرها اللغوية مع طرائق شعراء الحداثة في استخدام اللغة، ومن ذلك ظاهرة اللبس في تعيين الوظيفة النحوية للدوال

حيث تقسم البيت إلى أربع جمل، تساوت ثلاث منها في بنيتها اللغوية، فهي اسم مبتدأ مضاف إلى ضمير المتكلم، ثم اسم خبر للمبتدأ. وإنما كان ذلك كذلك لتماهي الموقف الشعوري للذات المتكلمة بالوجود وأشياءه بعد أن وجد في المحبوبة ما افتقده في الآخرين:

محطتها، وحدها، لم تحن

وكل المحطات صارت تحن
ولقد تكون الموازنة ثمناً على مستويي بنية التركيب، وبنية الدلالة مما يسهم في خلق تكامل في المعنى، كما في قوله:

لأن جمالك فوق الجبال لأن جنوني فوق الجنون
فالجلال الذي يتحلى به جمال المحبوبة لا يضارعه إلا جنون، مثل جنونه، فيتساوى الفعل ونقيضه مما أفضى إلى تساوي عناصر الجملتين وتوازنهما من جهة التركيب،

ولقد تساعد هذا التوازي في شعره في هذه المرحلة حتى وصل أقصى مداه في قصيدة "الثقافة"؛ حيث تشكل على ثلاث صور، أولها: صورة الموازنة في إطار التقابل الضدي، كما في قوله:

لهذا الخروج الصريح الشجي

لهذا الدخول البهيج الحزين

لهذي الشمس التي عن يساري

لهذي المرايا التي عن يميني

لهم يطاردني كل يوم

لهجس أطارده كل حين

ومجيء التوازي في إطار الموازنة لا يمضي على نسق واحد في شعر الشَّقَاع، بل تتنوع طرائقه في التشكيل، ففي قوله:

الشناعات خارجي تنزيًا

والسفاتات ترتقي في كيان
تتكون الجملة في الشطر الأول من اسم، يتلوه ظرف مضاف إلى ضمير المتكلم، ثم فعل مضارع. بيد أنها في الشطر الثاني من البيت تتكون من اسم، يتلوه فعل مضارع، ثم جار واسم مجرور مضاف إلى ضمير المتكلم. فقرأت كثافة التوازي مخففة بسبب ما أحدثه سبك الكلام من تغيير في ترتيب عناصر الجملتين بتقديم وتأخير. ولقد يفضي التوازي في شعره إلى نوع من التنازع في الإسناد إن جاز نقل المصطلح من دائرة الأفعال إلى دائرة الأسماء، كما نجد في قوله:

ووهم الحب... وهم النصر... مثل النوم في الشمس
فالتوازي بين المتضادتين (وهم الحب) و(وهم النصر) أفضى إلى تماثل في التركيب من جهة السبك النحوي، وإلى اتحاد في التصوير من جهة التشكيل البلاغي (مثل النوم في الشمس)، فكلاهما نحواً وبلاغة فيه سواء.

ومن التوازي ما يكون تقسيماً، كما في قوله:

أحب الحبيبات

يومي شذاً

وخطوي غناءً

ودربي غصوناً

ومثله في سياق آخر قوله:

أهاها وهي اقتراب قصي

وأستهيبها وهي بُعد قريب

تتكون الجملة هنا من فعل وفاعل، يدل عليه ضمير المتكلم، ومفعول به، يدل عليه ضمير الغائبة الحاضر في المقول اللغوي، ثم حرف عطف (الواو)، واسم (الضمير هي)، وهو مبتدأ خبره الاسم الذي يليه، ثم اسم نعت للخبر. وفي الشطر الثاني التكوين ذاته تماماً بتمام. لكن دلالتا الجملتين متضادتان على تماثلهما في إطار السبك النحوي. فالمحبة في الشطرين واحدة، لكن الذات المتكلمة هي التي تتشظى في رؤيتها للمحبة في حالتها الحضور والغياب، والقرب والبعد، وهو ما أفضى إلى تقلب موقف الذات من المحبة في حالة الهيبة حيث الإجلال والإكبار والسمو بها عن الخيالات الدنيئة، والتصورات المرذولة، وحالة الاشتاء حيث الابتذال، والتدني، والسقوط.

ولقد تكون الموازنة في تركيب الجملتين في شطري البيت وسيلته في إتمام المعنى، وتكميل أبعاد الصورة؛ حيث لا يمكن إتمامه، ولا تكميلها إلا بالموازنة، كما نجد في قوله:

كنت البلاد إذا البلاد تأنقت

كنت الزمان إذا الزمان تعطرا
وهنا يتجاوز التماثل في الموازنة مستوى التركيب النحوي إلى حد التوازي على مستوى البنية الصرفية (الزمان / البلاد، تأنقت / تعطرت) مما يأذن بخلق إيقاع لا يخفى على أذن المتلقي.

ولقد تكون الموازنة وسيلة الإبداع في تكامل الدلالة في إطار جدلية السبب والنتيجة، كما في قوله:

أما غرست مشاتل أغنياي

أما قطفت عناقيد اعترافي؟
حيث (الغرس) سبب، و(القطف) نتيجة.



تنتج المفردة وقد غدت وحدة إنتاج المعنى. فالمطر عطاء يسهم في تجديد الحياة، لكن وصفه بالفعل الدائم (دام) عطل قدرته على فعل ذلك، وحال دون فاعليته في إحداث التجديد؛ لأن سيلان الدم يعادل الموت. والصحارى جفاف، وقضاء لا سبيل للتائه فيه من خلاص، فهي ضياع يعادل الموت. والخيول قسوة، لكنها تعادل العدم ما دام كل ما يحيط بالمتكلم داخل النص يحاصره بالجفاف والإقفار والموت.

وليس ببعيد عما سلف ما نراه في قوله:

هو الك نسيب... نخيل... عبون... هو الك تهازل مبنعة
فهو قريب من قريب.

وفي شعر الحداثة تنضفر جدلية الوضوح والغموض، والبساطة والتعقيد؛ من حيث إن مفردات النص ميسورة مانوسة لكن الغموض والتعقيد يجنانه من طرق أخرى. ولا يخلو شعر الشقاع من صور لهذه الجدلية، لكننا نقف من تلك الصور على واحدة بعينها، وهي تتعلق بطرائقه في استخدام ضمير الغائب أو الغائبة على حسب السياق. فالأكثر عنده استخدام معزولاً عن مرجعه الذي يشير إليه، مما يأذن بانندفاع الدلالة إلى منطقة الغموض والتعمية، قال:

كانت تُناديني.. وكنت المجيبُ

في فمة الطفل وحنن الغربُ
طلعتها - كانت ألوهية

خطوتها كانت غناء وطيبُ
في ضحكها أمومة واشتهاءُ

لصوتها كان مذاق الحليبُ
أهأبها وهي اقتراب قصي

وأشتهيها وهي بعد قريبُ
مضت فني الحشرات أمسية

حزننى .. وفوق الباب صبح كئيبُ

ناقصة، وأن ضمير الغائبة - وهو اسم كان - محذوف. وعليه فالدوال الأربع التالية (صحارى صحاب حمام ملاك) أخبار متعددة لاسم كان المحذوف. لكن السياق يحتمل أن تكون (كانت) تامة، وعليه فالدوال الأربع مرفوعات؛ لأنها في موضع الفاعلية. وإن بين الاحتمالين فرقاً. فالاحتمال الأول لا يبعد بالدوال عن دائرة التماثل الاستعاري بين المتحدث عنها في موضع (المستعار له)، والدوال الأربع في موضع (المستعار).

أما في الاحتمال الثاني فتتراسل العلاقة بين الجملة الخبرية في مستهل البيت (فتحت الكتاب) - وهي الجملة النواة لتوليد ما تلاها من جمل - والجملة التالية لها (كانت هناك...)، ويسهم حرف العطف (فأما) في تحقيق التعقيب والتلازم بين الجملتين، فلولا (فتح الكتاب) ما تجلت كينونة لشيء.

هذا أمر، وثمة ثان هو الاتكاء على المفردة في إنتاج المعنى؛ بوصفها وحدة مستقلة بعيدة عن دائرة التركيب، وهو خلاف ما عليه الحال في الاحتمال الأول. وهنا يتداخل المشهد مع الغيبي، وعالم الجفاف والإقفار، مع عالم الإخصاب والنماء... إلى آخر ما هنالك من ذلك، بيد أن هذا لا يتم إلا بخروج الدوال من دائرة الإسناد الاسمي إلى دائرة الإسناد الفعلي، وبه تتحول الجملة من حالة الثبوت والسكون، التي يشف عنها استخدام بناء الجملة الاسمية إلى حالة التجدد والتغير، التي يقتضيها استخدام بناء الجملة الفعلية.

قريب من هذا ما نجده في قوله:

قلق الشيء الذي أرقبه

مطر دام .. صحارى .. وخيول
يشي تركيب البيت بحالة من التماثل بين (قلق المنتظر) وما تلاه من دوال (مطر دام .. صحارى .. خيول)، وهو تماثل لا ينفي التناظر الدلالي، الذي

وثانيها: صورة الموازنة في إطار التماثل والاستواء بين بنية لغوية ودلالة معنوية، كما في قوله:

أحاور عاصفة في جذوري

واقراً زلزلة في يقيني
وثالثتها: صورة الموازنة في إطار التخالل التركيبي بتقديم وتأخير، كما في قوله:

فأنكش شعري عن مطّلع

وأستل قافية من جيبني
وقصائد الشقاع في هذه المرحلة على الرغم من انتظامها في بحر وقافية تتماشى في كثير من ظواهرها اللغوية مع طرائق شعراء الحداثة في استخدام اللغة، ومن ذلك ظاهرة اللبس في تعيين الوظيفة النحوية للدوال.

ولقد شاع استخدامها منذ سبعينيات القرن الماضي، وغدت خصيصة أسلوبية في شعر كثير منهم. وهي من ظواهر اللغة التي يستحق تجليها في أشعارهم درساً، لكننا - في مقامنا هذا - لا نهدف لقراءة النص على مستوى التعاقب، وإنما غایتنا قراءته على مستوى التزامن؛ لبيان ظواهر اللغة، وطرائق تشكيلها في قصائد الشقاع في مرحلة الثمانينيات من القرن العشرين. وأنت واجد صورة لهذا اللبس في مثل قوله:

فتحت الكتاب فكانت هناك

صحارى .. صحاباً .. حماماً .. ملاك

(صحارى .. صحاب .. حمام .. ملاك)

هنا تقف الجملة حائرة بين الإفصاح والإغماض، فتترك تعيين الوظيفة النحوية للدوال لتفاعل المتلقي مع المنطوق / المكتوب وقدرته على جلاء اللبس. وهو يبدأ في الظهور من لحظة إحالة ضمير الغائبة على غير مذكور، فمن تلك التي أضمرها في البيت بقوله: (كانت)؟ وما تكون؟ وهنا لا بد من اختيار لاحتمال من احتمالين يقتضيهما السياق، وهو أن (كانت) هنا



هيمن ضمير المتكلم بتشكيلاته اللغوية كلها على شعر الشقاع في عقد الثمانينيات من القرن الماضي هيمنة غلبت الوظيفة التعبيرية للخطاب الشعري على سواها من وظائف الكلام

الانسراب إلى الشعر في إطار التفعيلة، أو في إطار ما عرف بقصيدة النثر، وفي هذا خروج على السرب يفضي في الزمن الثوري إلى عزل كل نص لا يتفاعل مع التجربة الأدبية في اتجاهها العام. ناهيك باحتضان المجتمع لتوجه يرى الأدب وظيفة ولا غير. فاندغم (الإنسان) في (الشاعر) ليشكلا ذاتاً واحدة، ثم تضخمت هذه الذات، فغدت جماعة حين مس وجود الجماعة ما مس وجود الفرد في داخله إنساناً ومبدعاً من إقصاء ونفي وتهميش. ولقد تجلّى حضور الذات في النص على مستويات من اللغة، منها ما جاء في مطالع القصائد، واتخذ هيئات متنوعة، هي:

١- حضور الذات على هيئة همزة المضارعة،

لو يقول الليل شيئاً لو يقول

آه كم أشتاق للفظ البتول

أنساب كاللحن الشفيف

في ليل أحزاني الكثيف

كما تومض الأنجم الساهرة

أناديك.. لكن بلا فائدة

أمشي على خط العذاب المستقيم فجدد

أوجاعي شبيه بالقديم

... إلى آخر ما هنالك من ذلك.

٢- حضور الذات على هيئة الضمير الدال على الفاعلية:

صباح الخير: يا غيري الذي سميته نفسي

ويا أحجار أخطائي التي سميتها حدسي

التي يجلوها استخدام ضمير الغائب مذكراً كان أم مؤنثاً.

وإذ وصل الحديث عن شعرية اللغة وحدائتها إلى هذه المنطقة من الاستخدام اللغوي فلنكتف بما سلف من حديث عنها ولننتقل إلى النظر في طرائق تشكيل ضمير المتكلم ووظيفته في النص.

هيمن ضمير المتكلم بتشكيلاته اللغوية كلها على شعر الشقاع في هذه المرحلة - أعني عقد الثمانينيات من القرن الماضي - هيمنة غلبت الوظيفة التعبيرية للخطاب الشعري على سواها من وظائف الكلام.

وبدا حضور الذات المتكلمة في النص طاغياً على حضور العالم من حوله أفراداً وجماعات، فلا كون إلا كونها، ولا داخل إلا ما يعتمل في جوانبها، عنها يدور الحديث، وإليها يساق، لها أوله ولها آخره. والعلّة في هذا الإيغال في محيطات الذات وأدغالها اكتشافها وجوداً سياسياً يحاصرها ويصر على إقصائها ونفيها، ويضع وجودها كله على هامش المجتمع وحواشي الحياة. فتقاصرت عن أن تكون متناً متحدداً مع سواه من متون المجتمع كما كانت تتمنى وتروم. هذا على مستوى الإنسان فيه. يتراسل معه إحساس (الشاعر) في داخله بالانسلاخ عن أصداء التحديث الشعري على مستوى الوزن؛ حيث وجد (الشاعر الشقاع) هويته الإبداعية في إطار البحر والقافية في جيل أثر شعراؤه

هنا امرأة حضرت، فنادت، فأجاب نداءها المتكلم في النص، ووصفها، وتفاعل معها قريباً وبعداً، هيبة واشتاء، ثم مضت مخلفة في الوجود الضيق المحدود زمناً مغايراً ومختلفاً: (في الحجرات أمسية حزني / فوق الباب صبح كئيب)، ونحن لا نعلم من تكون؟ أهي حبيبة مقصودة؟ أهي امرأة عابرة في طريق؟ أهي كائن حي؟ أم هي فكرة ذات تأثير عميق في نفسه؟ فغدت مرجعاً في فضاء النص، لكن الوصول إليه غير متيسر، ولا ممكن إلا بمثل ما سلف من الاحتمال والافتراض. ولقد تكون إحالة ضمير الغائبة على مجهول، كما في قوله:

وجهها - كان - مظلة وسحابات مطلة

وبروقاً.. ترعش الأمال من أول وهلة

... يأذن النظر في عنوان القصيدة - بوصفه نصاً موازياً - بتقريب صورة المرجع ويحدده، وهو في هذه القصيدة (المحبوبة) كما تدلّ كالثرية في أعلاها. لكن تعيين العنوان للمرجع لا يحل مشكلة تحديد هوية المحبوبة، من تكون؟ وما تكون؟ أهي امرأة أم وطن؟ أم هي حلم مشتهي؟ وما أشبه ذلك من أسئلة لا جواب لها.

على أن الاتكاء على العنوان لتحديد المرجع لا يطرد في قصائد الشقاع في هذه المرحلة، فإذا بالقارئ يتعثر بعودة الضمير الغائب على غير مذكور في النص، وعليه أن يحدده كما تمكنه قدرته على التأويل. من ذلك كما في قوله:

وجهها في المدى البديع نشوة تغمر الجميع

رعدة الفجر والندى مثلاً يقبل الربيع

أيقظت صبرة الهوى كدت من خلفها، أضيع

وإن في إغماض المرجع العائد عليه

ضمير الغائب أو الغائبة ما يرتقي

بمعنى القصيدة كاملة من دائرة

الفنائية، التي يمثلها شيوخ ضمير

المتكلم في النص إلى دائرة السردية



(سأفنى)، وفي مقام الإضافة (سيري).
وقريب منه قوله:

قد عوتُ العشق من ذاكري

وكبيرهم ينسبك الصغارُ

ولقد يستتر الضمير لكن في النص
كاملاً ما يشير إليه، كما في قوله
مختتماً قصيدة (المحجوبة):

عنتُ يشعل حرباً كي يلاقي وجه عبلة

وهنا يحدث اللبس بتحديد المقصود
بـ (عنت) في حشو البيت حين تقرؤه
معزولاً عن أبيات القصيدة الأخرى،
لكن النظر في تلك الأبيات يدل على
أن المقصود بالخبر هنا هو ضمير
المتكلم المنفصل (أنا) الواقع في منزلة
الابتداء في النص، ومن ذلك قوله:

سأناديها إلى أن يجد التاريخ ظلّه.

وقد تتقلب الذات بين هينات اللغة
من المفعولية إلى الفاعلية، كما في
قوله في ختام قصيدة:

هاتف بالباب يستعجلني

فدعيني أعرف اللحن الأخير
ففي حين يقع ضمير المتكلم الممثل
بـ (أنا) في موقع المفعولية في
موضعين تراه في الموضع الثالث
يتعالى إلى موقع الفاعلية تحديداً
للتلاشي والفناء، وما حديثهم عن
تغريدة البجع بمنسي أو مجهول، وهي
فاعلية تبدو دالة على حرص من جهة
المبدع على استحضار الذات لتوكيد
حضورها، ففي بعض قصائده تغيب
الذات عن مطلع القصيدة، كما في قوله:

لحبيب مثل وجه الصبح أبلج

لغرام أحزن القلب وأبهج
غابت الذات في موضع الافتتاح، وحضر
الأخر / المحبوب بهاءً وغراماً، حزناً وبهجة،
لكن ذلك لم يتمدد ليزداد حضور الآخر،
فوقف عند هذا الحد: ليفسح المجال أمام
الذات المتكلمة: لتحضر في هيئة
الفاعلية ومقام الإضافة:

أجمع الآن لظي تجربتي

كي أصوغ الحب أسلوباً ومنهج

٥- حضور الذات في هيئة الضمير المنفصل
(أنا)، وهنا يظهر في النص قسوة كما
في قصيدته (هوية):

وتسألني (من أنا)؟ فاطمة - أنا طائر الفطرة الهائمة

أنا بيت شعر يجوب المساء يسبح للحلوة النائمة

أنا فكرة دوخت عصرها أنا نكبة لم تزل قائمة

٦- ولقد تتجلى الذات على هيئة
(التجريد)، وهو إخلاص الخطاب للآخر
والمقصود به المتكلم، وهو من
مكونات (اللسان)، التي انتظمت في
(الكلام) فزينت ديباجته، ورققت
حواشيه، ولشعراء العربية طرائقهم
في استخدامهم إياه تدل على
حساسية مرفهة بالمكونات
الأسلوبية، وسنننها اللغوية في اللغة
العربية، وهو يجيء في شعر الشقاع
على هيئة مخاطب، كما في قوله:

لم تلق يوماً مثلاً

فاحتفظ للبنى فضلها

ماذا تريد؟ ومن تراود؟

أنت المطارد .. والمطارِد

كابدت .. كابدت الدروب

ولا تزال هنا تكابد!!

أو يجيء في هيئة ضمير الغائب:

أيها النائم في حضن الجبل

أعط للنائي عناوين الأمل

كيف تنساه وقد كان هنا

عاشقاً بالباب، يسقيك الغزل؟

يعود بأقماره الساهدة

يهزّ مدينته الراقدة

يرتل مأساته في الظلام

ويطلق أشواقه العائدة

... إلى آخره.

وكما يفتتح البث الشعري في قصيدة
الشقاع بضمير المتكلم يحتتم به، قال:
غير أني في هواها سائر

وسأفنى بين سيري والوصول

وهنا تتقلب الذات على هينات الضمير
في مستوياته اللغوية كلها، فجاءت في
موضع الابتداء (أنا)، وفي موضع الفاعلية

رأيت في الشارع وجهاً حبيب

ألفته يوماً .. وأمسى غريب

فتحت الكتاب فكانت هناك

صحاري .. سحاباً هاماً .. ملاك

٣- حضور الذات على هيئة (ياء المتكلم).

وهو يدل في مطلق على المفعولية،

كانت تُناديني .. وكنتُ المحجِبُ

في لفظة الطفل وحزن الغريب

يطالبي الأمل أن أرجعه

يناشدني الشعر أن أبدعه

لا تقابلني بقلبٍ مفتوح

أيها الوقت أرحني .. واسترح

رمتني على الرمل إحدى القرى

فكان جيبني كتابُ التعب

... إلى آخره.

على أنه يجيء في مطلق مضافاً إلى

سواه اسماً كان أو ظرفاً:

مرت الأعوام فوق كالقطار

ودهان قلبي، عشب ونار

عينك عندي فرصة للرَّحيل

يا حلوة نجى عند المَقِيل

بشاشة الدنيا وألوانها

حمامة ترسل أحلى هديل

نوار ضاعت من يدي بالانهيار المعبد!

الشوق يكمن في دمي .. مثل الحسام المغمَد

والخزن يعزفني .. في أرجاء روحي: رددي!

... إلى آخر ذلك.

٤- حضور الذات على هيئة ضمير مستتر

يؤول بالضمير المنفصل (أنا)،

ناءً على هذا الطريق الثاني

أنهد من ألفي الحزين لياني

أي (أنا ناء)، والدليل على ذلك حضور ضمير

المتكلم في عجز البيت (أنهد / ألفي / ياني).

غير من كنت تنادين أمرا

غير من غنى لك الشعر المثيرا

أي (أنا غير من ...)، والدليل على ذلك قوله

بعد أبيات ضاع تاريخي وضيعت المصيرا.



ثم يفيض حضورها على مكونات العالم كلها وتفصيله، ولا تقف في تطوافها إلا عند اختتام القصيدة لتعلن أنها تبستدي الغناء وتنهي بفاعليتها كما مضت بها التجربة وصعدت بها الرؤى:

لحبيبي أبتدي هذا الغناء ثم أنبه لعصر يهدج
ومثلاً افتتحت القصيدة بضمير الذات في بنية التجريد اختتمت به مخاطباً وغائباً:

تمشي حواليك الجموع وأنت في الأزمات واحد
فالمخاطب هنا هو المتكلم، وهو المتحدث عنه بضمير الغائب في قوله في خاتمة قصيدة (العائد):

يلوك الشوارع بمضي إلى قصيدته: جثة هامدة
أليس هنا عمره كله تجتمع في بقعة واحدة؟
ولقد مثل ضمير المتكلم بهيئته اللغوية كلها جوهر موقف شعري كامل، تجلّى في قصيدة الشقاع "هوية":
وتسألني (من أنا؟) فاطمة

أنا طائر الفطرة الهائمة
أنا بيت شعر يجوب المساء

يسبح للحلوة النائمة
أنا فكرة دوخت عصرها

أنا نكبة لم تزل قائمة
هنا ضمير المتكلم المنفصل (أنا)

مبتدأ الأشياء ومنتهاه، وعلاقته بها علاقة إنسان اسمي مما يدل على ثبوت النواتج الدلالية، التي تضمنتها دوال الجمل في الأبليات، فهناك (الهيمن والته والدوار والنكبة التي لم تزل).

لكن توالي هينات ضمير المتكلم في أبيات تالية من القصيدة عينها يكشف عن علاقة إنسان فعلي، تتغير به النواتج الدلالية: من حيث التجدد، والتنوع، والتغيير: (أغني لشيء غريب/ أمشي على الحقبلة العائمة/ سافتح جمجمتي.../ سأنفك من داخلي مرة/ ألقاك في الجولة القادمة/ أريدك فعلاً...). وفي هذا ما ينبئ أن جوهر الإشكال الشعري في القصيدة يتراسل

مع جوهر الإشكال الوجودي للذات الشاعرة إن لم نقل إنه منبثق منه، يؤكد هذا التأويل ما نجده في ثانيا القصيدة من علاقة ثنائية بين الذات والجماعة، يبرزه هذا التجانس بين ضميري التكلم للمفرد (أنا) وللجماعة (نحن)، (لنا هدف اللحظة الحاسمة/ انطلاقاً دائماً). وإنما بدا ذلك على ذلك النحو لأن إشكال الجماعة الوجودي - في هذا الموقف الذي انبثقت منه القصيدة - يتماثل مع إشكال الذات الوجودي تماماً بتمام. بيد أنه في غيرها من القصائد تقوم الثنائية بين الذات والآخر متنوعة متعددة. فهي مختلفة ضدية في موطن، وهي مؤلفة منسجمة في موطن آخر. تدل على الرفض في مقام، وتدل على القبول في مقام آخر.

على أن ظهور الآخر في أية قصيدة للشقاع لا ينفي طغيان حضور الذات في النص وهيمنتها عليه حشّ ليتلاشى الآخر وإن كان في أصل التجربة محورها الفاعل. في قصيدة (سمرقندية) يقول:

مساء الخيزر يا شهدي وبا ترنيمه الورد
سمرقندية جاءت بكل عذوبة عندي
زحام الشارع العدني أطلعها بلا وعد
كلؤلؤة رماها البحر بين الجزر والمد
وفي هذا ما يأذن بالانسراب إلى عالم الآخر لاكتشاف مكوناته، وتبيان خصائصه، واستكناه أبعاده. لكن ذلك لم يكن لأن في كونه ضمور الذات وتلاشي فاعليتها، وهو ما لم تقبل به، فانصرفت عن تجسيد صورة الآخر كما دل عليها الواقع المشهود، وأبان عنها حدث المجيء: لتبرز صورة للآخر - وهو هنا تلك السمرقندية - كما رسمتها الذات، التي تجلت في الخطاب من خلال ضمير المتكلم الدال على الفاعلية (أخذت/ رأيت/ لمحت/ قرأت)، ومن خلال الياء ضميراً للمتكلم (لدي/ عروبتني...). ولعل في مثل هذا الصنيع

الإبداعي ما يفضي إلى القول بأن حضور الآخر في شعر الشقاع في هذه المرحلة من تاريخه الإبداعي لا يزيد على كونه وسيلة تسعف الذات على جلاء جوانبها ولا غير. فغلبت النجوى على بثه الشعري، وانحصرت (الرسالة) في (الباش)، فلم تستكمل دورتها بين باث ومتلق كما يقتضي شرط الاتصال بين الذات، فغدت صوتاً منطلقاً في فضاء اللغة من أن يتعين متلقيه، أو تتحدد هويته. ومن هنا تتعالى لغة النص عن المستوى التداولي لتوغل في الشعرية، وتغدو الشعرية عبيراً يوضع من ثانيا اللغة.

هذا الرصد لحركة الذات في النص على مستوى ضمايرها لا يمنعنا من السؤال عن طبيعتها في شعر الشقاع آننذ. والحق أنها - إن صدقت النصوص، وصحّ الحدس - مزيج من الرومانسية والوجودية؛ فلقد رفضت الواقع الموجود؛ اشتهاً للمرتجى المنشود من عالم مفقود، فبدت كالمنبت لا ظهراً أبقي، ولا أرضاً قطع. فظلت الذات في منزلة (الرفض)، ولم ترق إلى منزلة سواها، أترأه لهذا غابت صورة الجماعة من شعره، وحضورها فيه دال على الانتماء؛ لقد أعلن الشاعر يوماً أن ما نحن فيه (عالم غير عالمي) وإن انتهى السيادة المطلقة فيه:

أبدأ أحسن إلى اكتمال نافذ
ليسير هذا الكون تحت حداثي
أترأه يطمح إلى ما طمح إليه أبو الطيب في قديم الزمان:
أريد من زماني أن يبلغني

ما ليس يبلغه من نفسه الزمن؟
أم ترأه يحذو حذو البردوني في قوله:
أريد ما ذا يا زماناً بلا نوعية لم يدرك ما يدرك؟
لقد يصح هذا، ولقد يصح سواه. وأياً كان عمق التعليل ومداه فإن الظاهرة هي من الظهور في شعره بحيث لا تخطنها عين الناظر فيه.



ثنائية الأنا والآخر في قصيدة (يلوموني)

من ديوان (اسكني بس يا جراح)
للشاعر عمر أبو بكر العيدروس



د. ماهر سعيد بن دهري

تحدانا وفارقنا وريته ضبط الآخر حفظ أسرارنا
ولكن راح يتجنى (يقول للناس لا حبه ولا شي بيننا

ولا قلبي هواه

يلوموني يلوموني وهم بالوصل أغروني وشبكوني معاه

نسي أيام ما كنا من أكؤوس المحبة نحتسي خمر الهنا
وطير الشوق ثلثنا يناجي غده الورد يهرح فوقنا

نسي ماضي قضاه

يلوموني يلوموني وهم بالوصل أغروني وشبكوني معاه

سلاوا عنا ربنا الفنا وحيطان الطويلة كم ثراها ضمتنا
وكم بتنا بها نهنا وبالثيلات ع الخدين نرسم حبنا

وكم قلبي احتواه

يلوموني يلوموني وهم بالوصل أغروني وشبكوني معاه

كانا ما تعارفنا إذا مره جزع (ي) جنبني تجاهل من أنا
ونا لولاي ما ثغني بحبه بلبل الوادي ولصدح (ي) بالغنا

ولا رفرها لواه

يلوموني يلوموني وهم بالوصل أغروني وشبكوني معاه

بظني إنه استغنى وأنا كيف يغرب عتم جاري بيننا
ويجني وساطل مجني ونا من سح عودته على مجناي نا

ولم أعشق سواه

يلوموني يلوموني وهم بالوصل أغروني وشبكوني معاه

التعريف بهذا المحبوب (ونا لولاي ما
تغنى بحبه بلبل الوادي ولا صدح
بالغنا)، ثم تصرح الذات المتكلمة بما
وصلت إليه من قناعة تبرر بها سلوك
هذا المحبوب (بظني إنه استغنى وإلا
كيف يخرب عتم جاري بيننا).

هنا تتراءى الذات الغائبة (الآخر)
طاغية الحضور من خلال الضمائر
الظاهرة والمقدرة التي بلغت أربعة
وستين ضميراً، منها ثلاثة وأربعون
ضميراً ظاهراً، وواحد وعشرون ضميراً
مقدراً، في حين بلغت ضمائر المتكلم
ستة وأربعين ضميراً، ثلاثة وأربعون
ضميراً ظاهراً، وثلاثة ضمائر مقدرة،
وهذا يعكس حرصاً إثبات الذات
المتكلمة لحضورها، فتساوت في
الحضور مع الغائب، لكنها حينما غيّبت
الآخر وقدرته في واحد وعشرين مرة

(تحدانا وفارقنا)، ومع أن هذا قد حصل
فإن الذات المتكلمة قد زاد من جراحها
سوء تصرفات ذلك المحبوب، فما
(ضبط الآخر)، ولا (حفظ الأسرار)، بل
(راح يتجنى) منكر أي علاقة جمعت
بينهما (يقول للناس لا حبه ولا شي
بيننا)، ولا قلبي هواه، مما استثار
غضب الذات المتكلمة التي راحت تذكره
بأيام، كانت كأس الوصال دائرة بينهما
(نسي أيام ما كنا من أكؤوس المحبة
نحتسي خمر الهنا)، ولقد تبدلت
معاملة المحبوب للذات المتكلمة تبدلاً
جعله يشعر بالخيبة الكبيرة (كانا ما
تعارفنا)، واشتط المحبوب في قسوته
حتى أنه إذا مره جزع جنبني تجاهل من
أنا، وهنا تشعر الذات المتكلمة بمرارة
قسوة المعاملة، فتعلن حضورها،
ودورها، وما أحدثه وجوده من أثر في

إن قراءة متأملة للنص تكشف عن
حالة من الهجر والبعد من الآخر عن
الأنا، في مقابل نظرة متلهفة لحالة
من الوصال، منطلقة من تصور الذات
المتكلمة في النص لمعنى الحب، وكيف
ينبغي أن يكون، وهو أمر يمكن تلمسه
من خلال تأمل المنتج الدلالي للآبيات.
فالبيت الأول يكشف عن علاقة هجر
وقطعية، تنشأ بين الذات المتكلمة
والآخر، الذي أشارت إليه الذات المتكلمة
بضمير الغياب، وهو ما يتناسب مع حالة
الانقطاع والهجر، وهذا الانقطاع أو
الهجر نشأ بعد مرحلة حب لم تكتمل،
أو هكذا صورتها الذات المتكلمة، التي
كانت حريصة على الوصال وترغب في
اللقاء بالمحبوب، لكن ذلك لم يتحقق،
بل إن المحبوب تعامل بشيء من
الجفاء والاستعلاء بذلك على ذلك قوله:



الشاعر عيسى أبو بكر الغيدري

من هذا الصدود ما جعلها تصرح:

حبك أحرم عيوني لذة النوم

من كثرة أشواقي بيت تفهد

فكان الرد من المحبوب صادمًا، وهو ما افتتحت به الذات الشاعرة هذا النص (تحدانا وفارقنا)، لكنه لا يقطع بذلك، بل يجعل الشك مكان اليقين (بظني إنه استغنى)، فما زالت الذات الشاعرة راغبة في الوصال طامعة في اللقاء.

فالنص يظهر صراعاً بين طرفين هما: الذات المتكلمة التي تتبني التعمير، وبين الآخر الذي يتمسك بالتدمير، يرغب الأول بالاتصال والاجتماع بالآخر، بينما يتمنع الثاني عن الاستجابة لهذه الرغبة، ومن هنا رصد النص الألام التي تعانيها الذات المتكلمة من خلال الصراع الداخلي في أعماق الذات، وتذكرها لما فات، وحينها على لحظات استشعرت فيها دفء المشاعر، ولذة المناجاة.

ولأن النص لا ينشأ في فراغ، إنه يتوالد في مجتمع نصوصي، أو هو تفاعل الكلام مع الكلام، و«لولا أن الكلام يُعاد لنقد»، ولما كانت الكتابة نتاجاً لعدد كبير من النصوص المختزنة في الذاكرة القرائية، وكل نص هو حتماً نص متناص، ولا وجود لنص ليس متداخلاً مع نصوص أخرى، أو لا وجود لكلمة عذراء لا يسكنها صوت الآخر، أو بتعبير كرسيتيفا «كل

ما تعارفنا)، والموضع الآخر حين كان حبل الود متصلاً، وكانت له في قلب المحبوب مكانة يُستمع له فيها (ونا من سمع عودته على مجناي نا، ولم أعشق سواه). هذا بالإضافة إلى أن الذات المتكلمة حين استشعرت تجاهل الآخر (المحبوب) لها حاولت الانتصار لنفسها، وقد برز ذلك من خلال تكرار (أنا) أربع مرات، في إحداها ادعت أنها هي السبب في شهرة الآخر (ونا لولاي ما تغنى بحبه بلبل الوادي ولا صدح بالغنا).

أما الموضوع الشعري الذي يعالجه النص فيتمحور حول معاملة المحبوب للذات المتكلمة، هذه المعاملة الناجمة عن فهم للحب تراه الذات المتكلمة مغلوطة؛ لذلك وجدناها عنواناً للقصيدة الأولى في الديوان بداهمك لمعنى الحب خاطي، والتي تكشف عن جدال دار بينهما وبين المحبوب، تمسك المحبوب بفهمه الخاص للحب، وعدم الاستماع للذات المتكلمة؛ لذلك تصرح الذات المتكلمة (ما طعت تفهمنا)، ويبدو أن هذه العلاقة ظلت متارجحة متأزمة، يغلب عليها الصدود من جهة المحبوب، في حين تسعى الذات المتكلمة للقاء وتطلبه (عود لنا لحظات عشناها مع الأنغام وأغصان تتمايل)، وقد عانت الذات المتكلمة

لم تغيب نفسها إلا في ثلاثة مواضع، موضعين فيها مشتركة مع الآخر (نحتسي - نرسم)، ومرة واحدة يعود على الذات المتكلمة (ولم أعشق سواه). ويتحول (الأنا) إلى موضوع للتدمير أو التعمير بحسب أفعال الآخر عليه، بالإضافة إلى تدفق انفعال المتكلم والحالة الشعورية، وفي هذا الخطاب تبدو علاقة قائمة بطريقة غير مباشرة بين (متكلم) و(غائب)، لا يسمح بظهور صوته، ولا تنفيذ ما يقوله المتكلم، وفي هذا ما يظهر صراعاً حاداً بين (أنا) (المتكلم)، والآخر (الغائب)، فقد كشفت الأبيات قوة الصراع بين الآخر والمتكلم، وبدت العلاقة بينهما في صور مختلفة، كان أبرزها أن الآخر فاعل ومؤثر في المتكلم، وقد جلت مجموعة من الأفعال طبيعة علاقة الآخر بالذات، فالآخر (متحد، مفارق، يبوخ بالأسرار [غير كتوم]، متجن، منكر للحب، متجاهل، ناس ما كان بينهما، مستغن عنها، مخرب، غير مخلص للذات المتكلمة [يجني وسط كل مجنى]).

أما الأنا المتكلمة فقد ظهرت في موقع المفعولية يقع عليها الفعل، فهي تتحدى، تفارق، وتلام، وتغري، وتشبك، وتضم (تحدانا، فارقنا، يلوموني، أغروني، شبكوني، ضمنا)، وحتى في اللحظة التي تسنى لها أن تكون فاعلاً - حين اجتمعت بالمحبوب وطير الشوق ثالثهما - فإنها أثرت عدم القيام بشيء، بل تركت المجال لطير الشوق أن يناجي خد المحبوب الوردي، واكتفت بأن تكون مادة للفرح (وطير الشوق ثالثنا يناجي خذه الوردي ويمرح بيننا). وعلى الرغم من هذا كله فقد حاولت الأنا المتكلمة الظهور بصورة الفاعل في نمطين: أحدهما مشتركة مع الآخر، حين رسمت مع المحبوب حبهما (وكم بثنا بها نهنا وبالقبلات ع الخدين نرسم حبنا، كأننا



نظم الشاعر قصيدته على تفعيلة واحدة هي تفعيلة (مفاعيلن)، مع اختلاف في عدد التفعيلات في كل جزء من أجزاء القصيدة

نسبة الفضل إلى نفسه في معرفة
ولفت انتباه الناس إلى الآخر.
وقد تناص هذا النص تناص تام مع
الشاعر حسين المحضار، إذ يقول
العيدروس:

بظني إنه استغنى

والأ كيف يجرب عثم جاري بيننا
الميل إلى اقـتـناص الصورة من
طبيعة الحياة بتشبيه العلاقة بين
الشخصين حين تجري الأمور على
طبيعتها بالعثم الجاري، تحدث عنها
الشاعر المحضار حين يقول:

يا جارنا إرع لنا حق الجوار

وخلّ عثم الودّ فيها بيننا جاري
وبيت المحضار يشير إلى الحالة التي
تعانيها الذات الشاعرة في قصيدة
يلوموني؛ إذ الحديث في القصيدتين
كليهما منصب على الوصال.

سبق أن تحدثنا عن تكرار الضمائر في
النص حيث بلغ عددها مئة ضمير وعشرة
ما بين ضمير ظاهر ومقدر، وتوزعت على
ضمائر التكلم وضمائر الغيبة، حيث غابت
ضمائر الخطاب فلم يرد في النص إلا
ضمير واحد للمخاطب (سلوا).

وعند تفصيل هذه الضمائر نلاحظ
أن ضمير التكلم تردد ستاً وأربعين
مرة، ثلاث وأربعون منها ظاهراً، وثلاث
ضمائر مقدرة، لكن ضمير المتكلم
الظاهر الوارد في النص كان ذا دلالة
مختلفة حيث أشار في بعض المواطن
إلى مفرد هو الذات الشاعرة ثماني
وعشرين مرة، وكلها كانت الذات
المتكلمة غير فاعلة، وفي مواطن أخرى
أشار إلى الذات المتكلمة والذات

"الرسم بالقبلات"، وقد اختار أن يكون
هذا الرسم على الخدين، حين يتحدث
عن لحظات الدفء العاطفي والأنس
فيقول:

سلوا عناربي الغنا

وحيطان الطويلة كم ترأها صمنا

وكم يتناها هنا

وبالقبلات ع الخدين نرسم حيناً
ففي حين يجعل نزار قباني الرسم
بالكلمات طريقه للخلاص من الألام؛
إذ تعبت خيله من غزو أجساد النساء،
وزراعة راياته في النهود البـيض
والسود، ومرور عرباته في أجسام
الجميلات وبنانه أهراماً من الحلما،
وعجز الجنس أن يكون مسكناً لألامه،
فلم ينهها، فظلت كل الدروب
مسدودة أمامه ولم يجد خلاصاً إلا
بالرسم بالكلمات، فإن العيدروس
يجعل من لحظات رسمه القبلات على
الخدود ساعات هناء وسعادة.

أما الصورة الثانية فهي التماهي،
فتمثل في حديث العيدروس عن أنه
هو السبب في شهرة المحبوب، وأنه
لولا له عرفه الناس وذاع صيته:

والولاي ما نغنى

بحبه بليل الوادي ولا صدح بالغنا

وهو هنا يستدعي قول نزار:

وكنّت مجهولة حتى أتيت أنا

أرمني على صدرك الأفلاك والنهب

وهو أمر لعله قد سبق إليه الشعاران
كثيراً، حتى في كلام العامة حين ينشأ
خلاف بين المحبوبين يعقبه هجر أو
انقطاع في العلاقة يحاول طرف منهما

نص هو امتصاص وتحويل لكثير من
نصوص أخرى؛ لذا فالنص الجديد
تشكيل من نصوص سابقة أو معاصرة
وردت في الذاكرة الشعرية تشكيلاً
وظيفياً، فيغدو النص الراهن خلاصة
لعدد من النصوص التي أمحت الحدود
بينها، وكأنها مصهور من المعادن
المختلفة المتنوعة يعاد تشكيلها
وانتاجها، ولا يبقى بين النص الجديد
وأشلاء النصوص السابقة سوى نوعية
المادة، وبعض البقع التي تومي وتشير
إلى النص الغائب، من هنا فإن قراءة
النص الذي بين أيدينا تستدعي إلى
الذهن نزار قباني في ديوانه (الرسم
بالكلمات) الذي صدر عام ١٩٦٦م،
وإن كان للتناص صور ثلاث، أولها:
التماهي بأن يقع النص الجديد في
أسر نصوص سابقة، وثانيها: هي
التصارع بأن يقابل النص الجديد
ضدياً النصوص القديمة، أما الثالثة:
فهي التجاوز بالفرادة، فإن النص الذي
بين أيدينا قد أخذ صورتين هما الأولى
والثالثة، وقبل الحديث عن صورتين
التناص لعله يكون من نافلة القول إن
ميل الشاعر إلى التناص لا يقلل من
قيمة إبداعه، فكل مبدع أثناء إنتاجه
للنصوص تتداعى إلى ذهنه من
مكوناته الثقافية، ومن مخزونه
المعرفي صوراً سبق له قراءتها أو
سماعها، فيقوم بإعادة تشكيلها
بطريقته الخاصة، التي تظهر فرادته
وتميزه مع عدم انقطاعه عن سابقه.
وقد اتخذ التناص في قصيدة
(يلوموني) على صورتين سبقـت
الإشارة إليهما، وبقي علينا تحديدهما،
فأما الصورة الأولى فكانت بالتجاوز
بالفرادة حيث أسمى نزار ديوانه
المشار إليه بـ(الرسم بالكلمات)، وهو
عنوان القصيدة الأولى في الديوان،
فيلتقط العيدروس إشارة الرسم ليقوم
بعملية رسم من نوع فريد، هي



الأخرى (المحبوبة) خمس عشرة مرة في إشارة إلى الاتحاد بينهما، توزعت فيها الذات بين الفاعلية والمفعولية، أما ضمائر المتكلم المقدرة التي وردت ثلاث مرات فقد أشار إلى الذات المتكلمة مرة واحدة، وإلى الذات المتكلمة والمحبيب مرتين، وكاننا في إطار الحديث عن التمتع في وصف لحظات الأنس حين كان عتم الود جارياً بينهما (نحتسي خمر الهنا، بالقبلات ع الخدين نرسم حبنا). أما ضمائر الغائب فقد تكررت أربعاً وستين مرة، منها ثلاث وأربعون مرة ضميراً ظاهراً، وهو هنا يتساوى مع ضمائر التكلم الظاهر ليعكس لنا الصراع القائم بين الذاتين، غير أن الذات الغائبة سيطرت على الذات المتكلمة؛ حيث بلغ عدد الضمائر المقدرة واحداً وعشرين ضميراً وهذا يدل على فاعليتها في النص.

يستغل الشاعر ما يُعرف بالتشخيص، وهو قدرة الشاعر على تخيل الحياة فيما لا حياة فيه، وعلى إكساب الجملات أو قوى الطبيعة أفعال الأشخاص أو صفاتهم

ولعله يجدر بنا أن نتحدث عن طبيعة العلاقة بين المتكلم والغائب، تلك العلاقة التي يكشف النص عنها أنها علاقة تؤثر وسخط، وضيق وعدم رضى، بل إن الذات المتكلمة تصرخ

بتبرمها من فعل هذا الغائب بتدرج؛ حيث ابتدأت بالتمني على المحبوب لو أنه فارق بإحسان (وربته ضبط الآخر حفظ أسرارنا)، وهو بهذه الطريقة يكشف عن جرح غائر؛ إذ لم تتصور الذات المتكلمة منه إنكار الحب والتجني (ولكن راح يتجنى يقول للناس لا حبه ولا شيء بيننا)، ثم تحاول الذات المتكلمة التذكير بماضي العلاقة والأوقات الجميلة:

نسي أيام ما كنّا

من اكؤوس المحبة نحتسي خمر الهنا
وطير الشوق ثالثنا

يتناجي خده الوردى ويمرح فوقنا وتعتمد الذات المتكلمة إلى طريقة أخرى هي إحضار الشهود، أو الاستعانة بمن يمكنهم إثبات العلاقة وإن كان هؤلاء الشهود لا يتكلمون، مستغلاً ما يُعرف بـ (التشخيص)، وهو قدرة الشاعر على تخيل الحياة فيما لا حياة فيه، وعلى إكساب الجملات أو قوى الطبيعة أفعال الأشخاص أو صفاتهم، وهو إخراج المعاني في صورة الأشخاص أو أن ينسب للحسي - الجملات والطبيعة - ملامح بشرية، ويعتبر التشخيص من أبرز عناصر الصورة في الإنتاج الأدبي؛ إذ إنه يكسبها قوة وحيوية، والصورة في مجملها تعد وسيلة الأديب في نقل فكرته وعاطفته معاً إلى قرائه أو سامعيه، يقول العيدروس:

سكوا عناربي الغنا

وحيطان الطويلة كم ثراها ضمنا
هكذا تمنح الذات المتكلمة بعض مظاهر الطبيعة (ربى الغنا، وحيطان الطويلة، ثراها الأحاسيس فتبرزها - وهي الجامدة - في صورة كائنات حية تحس وتتحرك وتنبض بالحياة، فُتسأل وتُخبر، وهكذا تكون الذات المتكلمة قد أضفت صفات الكائن الحي خاصة

على مظاهر العالم الخارجي، فتبث الحياة فيها، وتجعلها تحس وتشعر. ثم تعلن الذات صرخة كبرى منافحة عن نفسها، محاولة التخلص من محاولات الازدراء والإهانة التي يحاول الآخر إلصاقها بها، وهنا توجه ضربة لذلك الآخر:

كأنّا ما تعارفنا

إذا مرّه جزع جنبي نجاهل من أنا
ونالو لاي ما تغنى

بحبه بلبل الوادي ولا صدح بالغنا
أما من ناحية الإيقاع فيمكن القول إن الذات الشاعرة نظمت قصيدتها على تفعيلية واحدة هي تفعيلية (مفاعيلن)، مع اختلاف في عدد التفعيلات؛ حيث عمدت على أن تكرر التفعيلة مرتين في الجزء الأول (مفاعيلن مفاعيلن ل / - - - ل / - - -)، أما الجزء الثاني فتكرر فيه التفعيلة أربع مرات، ثلاث منهن تامات، والرابعة ناقصة (مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن ل / - - - ل / - - - ل / - - -).

وقد جاء روي القصيدة على (نا) الدالة على الجمع، ولعل فيها إشارة إلى حرص الذات المتكلمة على حضورها مندمجة ومنصهرة مع الذات الأخرى الهاجرة، إلا في موضعين جاءت (نا) للدلالة على الذات المتكلمة إدلائاً منها بنفسها، ومحاولة منها إلى تضخيم دورها (تجاهل من أنا)، (نا من سمح عودته على مجناي نا).

أما فيما يتعلق (بالقفل)، وهو المقطع الذي يسبق الشلّة، فقد حرصت الذات المتكلمة على اختتامه بـ (آها) وكأنها تشير بذلك إلى زفرات الحرقه والألم التي تطلقها الذات، خاصة إذا علمنا أن ضمير الغائب الهاء هنا يعود على ذلك المحبوب الذي حرمه وصله، وكان فيه شيئاً من الإصرار على استحضاره، وإن كان هذا الحضور باعثاً للألم والحرقه. وهذا القفل قد جاء على (مفاعيلن مفاع)،



ويجني وسط كل مجنى

وَنَا مِنْ سَمَحِ عَوْدَتِهِ عَلَى مَجْنَايِ نَا
فقد شبه العلاقة القائمة بينهما
بأنها علاقة حياة، واختار الماء - لما له
من طبيعة دينية؛ بوصفه مبدأ الخلق
والتكوين منفرداً أو مع غيره - للتأكيد
على أهمية بقاء هذه العلاقة، وشبهه
تقدير هذه العلاقة بمن يقوم بتخريب
مجرى هذا الماء، ثم يشبهه تنقل هذا
المحبوب من محبته إلى محبة أخرى
بحشرة (النحل مثلاً)، ويشبهه نفسه
والآخرين بأماكن الجني أو المحصولات،
ويجعل تنقل المحبوب من حبه إلى
حب إنسان آخر كتثقل هذه الحشرات،
وربما يرجع سبب عدم تصريحه بأن
هذه الحشرة هي النحل؛ نظراً لكونها
لا تقع إلا على الطيبات، ولا تخرج أو
تفرز إلا الطيبات، والعيدروس يأبى أن
يمنح إنساناً آخر هذه الصفة
ويخصصها لنفسه.

وأخيراً فهذه القراءة لا تدعي لنفسها
الإحاطة بكل ما في القصيدة، ولكن
حسبها أنها حاولت أن تضيء شيئاً من
تراث أهمل ولم يتعرض للدراسة أو
القراءة، ولعل آخرين يعيدون قراءة
هذه القصيدة وأخواتها فيمنحون
الديوان ما يستحق من العناية.

الهوامش:

(١) يقل: تعني: يقول وكتابتها بهذه الطريقة
اضبط للوزن، وإن كتبت في الديوان يقول
لكن لعله خطأ لم ينتبه إليه.

(٢) كلمة (جزع) ليس لها حضور كثيف في
اللهجة الحضرية، وهي منقولة من لهجة
عدن، وإنما يعبر الحضارة بدأً عنها بلفظة
(عبر) على أنه قد وردت بصيغة فاعل في
قصيدة الشاعر سالم بانبوع حين قال:

يوم الخميس الصبح أنا جازع ولا قصدي بحد
إلا وذا روشان سدي باب له حين انقلد

(٣) لصدح: تعني ولا صدح، ولكن الحضارم
في نطقهم لا يمدونها خاصة في درج الكلام.

وكم يتناها منها

وبالقبيلات ع الحدين نرسم حيناً
حيث يعيل الشاعر إلى التشخيص
فيمنح مظاهر الطبيعة صفات الإنسان؛
حيث برزت رُبى الغناء، وحيطان
الطويلة، وكأنهما شاهدان على ما
كان يحدث، وأنهما سينطقان بالشهادة
على ذلك الحب، وقد لجأ العيدروس
إلى استنطاق الصوامت، في إشارة إلى
أن هذا الحب لا يمكن إنكاره حتى
استشعرته الصوامت الجوامد، فحرارته
تدب ولا يمكن إخفاؤها.

وتأتي الصورة الثانية متمثلة في
اللغة التي تتميز بالحركة والتجدد،
واتساع حدود الصورة في إطار الزمان
والمكان، واللغة التي نحن بصدها
لقطة تجاوزت حد المناجاة والبث
الوجداني الهامس إلى حد الملامسة
الخالقة عن طريق الرسم بالقبيلات،
ذلك الرسم الذي يتطلب حركة كما
تطلبه القبة كذلك، ومما لا شك أن
هناك صوتاً للرسم وللقبة وإن كان
خافتاً، لكننا هنا أمام لقطة تثبت واقعة،
أو قل نحن أمام منظر تُرسم فيه معالم
الحب، وتوضع القبيلات على الخدود،
فلا يكاد يخطئ إنسان قراءة اللحظة.

وقد اختتم العيدروس قصيدته
بصورة فنية مغيرة عما استشعره من
جفاء الآخر، وسعيه إلى إنهاء العلاقة
التي كانت قائمة، ومع أنه ربما قد
وصل إلى مرحلة تيقن فيها فشل هذا
الحب، وعدم رغبة الطرف الآخر في
استمرارها إلا أنه يجعل باب الأمل
مُشروعاً من خلال استخدام الظن لا
اليقين - (بظني) - مع أن الشواهد تؤكد
تيقنه، لكن لعل حرصه على التمسك
بهذا الحب ورغبته في استمراره عمد
إلى الظن؛ حيث يقول:

بظني إنه استغنى

ولأ كيف يخرّب عَمَّ جاري بيننا

وصورة (مفاع) صورة غير مألوفة في
تحولات مفاعيلن، فهل في هذا إشارة
إلى صورة غير مألوفة في هذا التعامل
من المحبوب؟ هذا شيء غير مستبعد.
أما إذا انطلقنا للحديث عن الصورة
الفنية في هذه القصيدة فإن أعيننا
وأذاننا لا تخطئ وجودها؛ إذ لا نكاد
نصل إلى البيت الثاني إلا ويصادفنا قوله:
نسي أيام ما كنّا

من اكؤوس المحبة نحتسي خمر الهنا
وطير الشوق ثالثاً

يناجي خذه الوردى ويمرح فوقنا
تبرز اللقاءات التي كانت تجري،
وتناساها المحبوب، وأنكرها لحظات
أنس؛ إذ تعددت أسباب السعادة لتعدد
الأسباب الباعثة عليها، فقد شبه
اللقاءات التي كانت تتم بمجالس
الخمير وما فيها، وشبهه تعاظم
الأحاديث بينهما، وتبادل القبيلات، وما
يتبعها من اللمسات باحتساء الخمير،
وشبه الشفاء بالكؤوس، والصورة هنا
تشبيه مركب، يجلوه الشكل الآتي:

اللقاء أ _____ ب مجالس الخمر
الأحاديث والقبل أ _____ ب الاحتساء

ولا يقف حديث العيدروس عند التلذذ
بالرؤية، والتذوق، واللامسة، والشم
حتى يضيف لها ما يجعل اللحظات
مفعمة بالسعادة والانبساط فيكون
للغناء حضور، فكان طائر الشوق ينجي
خد المحبوب الوردى، وهذه المناجاة
بما تحملها من معنى القرب بين
المتناجين هي مناجاة محصورة على
خذه، ولنا في وصف الخد بالوردي دلالة
مزدوجة، فهو إما أن يكون ناجماً عن
حياء تزيّن، وما يبعثه في عين الناظر
مما يكمل المنظر بهاءً.

ومن الصور الفنية كذلك ما يبرز في قوله:
سكوا عنا ربي الغنا

وحيطان الطويلة كم تُراها ضمنا



مديرية حجر... الجوهرة المفقودة وقرية حنور المخفية



تعجز الكلمات عن أن تصف جوهرة تتلأأ وترسل أشعتها الذهبية في كل أنحاء البلاد شرقاً وغرباً... بلد الثلاثة مليون نخلة.. مأوها لا ينفد.. وعطاؤها ليس له حدود.. ولكنها جوهرة لا تصان مفقودة منذ سنوات مديدة، فلم تمتد يد الدولة إليها، لتجعل منها أسطورة في الجمال والعطاء، وتبعد عن أهلها شظف العيش وذل الفقر.. هل يعقل أن تكون تحت قدميك جوهرة فتدوسها سواء بقصد أو بإهمال، نسينا مديرية حجر أم تناسيناها !!!

التسمية:

يسمى (حجر بن دغار)، أو (حجر بن وهب)؛ نسبة إلى وهب بن ربيعة بن معاوية، وهو من ملوك كندة، أو (حجر الحصين)، أو (وادي كندة)، ولكن غلب عليه اسم حجر بن دغار.

وسبب تسمية هذا الوادي بوادي حجر بن دغار، فإن بني الدغار هم أمراء مدينة شبام وذلك ما بين القرن السادس والسابع الهجري، ويجمعهم نسب آل قحطان الحضارمة الأصل، وقيل الحضارمة الحميريون، وهم من كندة، وكان آخر سلاطينهم راشد بن أحمد النعمان سنة ٦٠٥ هجرية. ودغار بن أحمد مذكور في شعر أبي إسحاق الهمداني في القرن الخامس الهجري، والظاهر كما يرجح ابن عبيد الله السقاف في كتابه (إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت) أن حجراً اسم ابن دغار وسمي الوادي باسمه؛ لأنه حاكمه في ذلك الزمان.

وغموم، هنا ستغمر عينيك لبرهة من الزمن وأنت تسمع خرير الماء يعزف أجمل الحان برتابة عجيبة، ستسمع حفيف الأوراق وزقزقة العصافير، استيقظ أنت لست في حلم وخيال، أنت تجلس على جوهرة فريدة، تعال معي لنصول ونجول في هذا الوادي المنسي؛ لنسلط الضوء على جوانب مشرقة يزخر بها وادي حجر.

هذا الوادي الجميل، الذي يسلب العقل، ويذهل الزوار، ويحار الفكر في مناظره الخلابة، ذات التضاريس الرائعة، والنخيل الباسقة..

هل يعقل أن تجد هذا الوادي محروماً من كل سبل الحياة الكريمة!!! كم يؤسفني أنني وجدت أقلاماً نشازاً كتبت عنه بعشوائية، ويكاد يكون منسياً من الحكومات المتعاقبة ومنذ عصور قديمة.. فقلت أدلي بدلوي في جود بحره ومعروفه وسخائه الذي لا ينكره إلا جاهل بكرمه.



سالم محمد بجود باراس

متع ناظريك بهذا الجمال الخلاب وتلك النخيل الباسقة، وذلك الماء العذب الرقراق، ومد عينيك إلى تلك الصخور الشاهقة، وهي تحتضن تحتها جوهرة فريدة، واستمتع بهذا الجمال الذي يشرح الصدر، ويدخل السرور إلى النفس، فكل مقومات الراحة والهدوء النفسي بين يديك، ماء عذب ينساب تحت قدميك، وخضرة عن يمينك وشمالك. عش لحظات عمرك بعيداً عن ضوضاء المدينة وضجيج المصانع، هنا ستعزف الطبيعة سيمفونية تتلج الصدر، وتزيل ما علق بها من هموم



105

العدد (9)
يوليو
سبتمبر
2018م



وقد ورد اسم حجر في نقش قديم، يتحدث عن (شمر يهرعش) ملك سبأ ويريدان وحضر موت، وأن هذا الملك قد دخل وادي حجر، فذهب وسلب أجزاء منه.

أما السيد علوي بن طاهر الحداد فقد ذكر في كتابه (الشامل في تاريخ حضرموت ومخاليفها) أن (حجر) كانت تسمى (حجر حمير). ونقل القاضي مسعود أن هذا الاسم يشترك فيه (حجر علوان)، وهو وادٍ باليمن، والآخر (حجر بن دغار).

الموقع:

يعد وادي حجر أحد أودية حضرموت الكبرى، ويقع غرب مدينة المكلا، ويمتد من الشمال إلى الجنوب، ويبلغ طوله ٢٠٠ كيلومتراً. وتبلغ مساحته ١٠٠٠٠ كيلومتر مربع. والوادي به نهر يجري طيلة العام؛ لوجود عيون تغذيه، فهو وادٍ خصيب وزراعي، لذلك نجده دائم الخضرة، والماء في الوادي يُعد الشريان الذي يمدّه بالحياة والعطاء.

أهم محاصيله الزراعية:

أهم محصول يفتخر به هذا الوادي هو التمر، الذي يسمى باسمه (تمر حجر)، وتوجد بالوادي ثلاثة ملايين نخلة. فتمر حجر لا يضاهيه تمر باليمن على الإطلاق، وله شعبية كاسحة، ولا يخلو بيت من تمر حجر على مدار العام، وهو صحي ومفيد، وتستطيع خلطه مع السمسم فيعطي الجسم قوة ومقاومة، ويعد منجم الفيتامينات في الأرياف؛ لعدم وجود كماليات الرفاهية فيها. ومن المحاصيل الزراعية التي يزرعونها أيضاً الذرة والحنطة والسمسم والحبيب وأشجار الليمون وغيرها.

ومن أعجب ما سمعت عن تمر حجر! أن الغراب لا يقربه ولا يمسه منذ أن

مديرية حجر من قبائل نوح وهي من سببان.

ومن أهم مميزات هذا الوادي أنه لا يوجد فيه تمييز عنصري، فالشيخ والسيد والضعيف كلهم جسد واحد، وروح واحدة، وكذلك لا يوجد تمييز مذهبي وهذا ما جعلهم قوة متماسكة كأنهم أسرة واحدة.

أهم قرى هذا الوادي:

من أهم قرى هذا الوادي الخصيب (الكينة - محمدا - ميفع - حجر - الحصين - القارة - الجول - حوطة الفقيه علي - يون - قشن - بيعث - مشاط - قارة باربيد - مدهون - باقشيم - الصدارة وفيها كما قيل مائة عين جارية).

ماذا قيل عن هذا الوادي!!

هناك الكثير من الشهادات من كبار الشخصيات العالمية والمحلية وسنأخذ عينة فقط لضيق الحيز.

فقد قال المؤرخون عن أهلها وصفاً يليق بهم وبتاريخهم المتيد قالوا عنهم: هم (الذئاب الحمر بحضرموت). ووصفهم المؤرخ البريطاني فوردي كير بأنهم (أسود كاسرة)؛ نظراً لشجاعتهم

كان هذا الوادي بمعنى أنه محرم عليه، فتجده يقف على النخلة ولا يستطيع أكله، قيل إن سبب ذلك هو دعوة رجل صالح لهذا الوادي؛ لأن من عادة أهل الوادي لا يمنعون عابر السبيل ولا الغريب ولا أي شخص كاناً من كان من أكل التمر الذي يتساقط تحت النخيل؛ لأنهم أهل كرم وجود وإحسان. وقيل هي كرامة من الله لهم بسبب تعاطفهم وتراحمهم وإكرام الضيف وعابر السبيل. وقيل إن أهل حمير في ذاك الزمان الغابر قاموا بعمل طلاس وحروز على الجبال المقابلة للنخيل لمنع الغراب من أكل التمر، وقيل غير ذلك.

سكان وادي حجر:

يسكن الوادي طوائف وأجناس أكثر من فئات المجتمع، وأهم ساكنيه على سبيل الذكر لا الحصر (السادة العلويون من آل البيتي - وآل العطاس - وآل الشاطري، وآل باراس، وآل العمودي، وآل مزاحم، وآل بادبيان، وآل باحسن، وآل باققاس، وآل بامسعود، وآل بارجاش، وآل باقروان، وآل بامساطر، وغيرهم). وأغلب سكان



بدأت الرحلة من دوعن التي تبعد عنها حوالي ٨٠ كم جنوباً، انطلقنا قبيل الفجر في رحلة شاقة ومتعبة، نمر على طريق وعرة وقاسية، فتارة نهبط وتارة نرتفع من شدة الصخور والأحجار التي ترتطم بها.. وصلنا عقبة حنور، ولأول مرة أشاهد من قمة الوادي قرية صغيرة معلقة، كأنها حدائق بابل ذات الصيت والشهرة، إنها القرية المخفية في بطن الوادي.. كانت العقبة أشبه بأرجوحة مخيفة ومغامرة رهيبية، ولكن المغامرة تستحق ذلك، أشبه بمغامرة سندباد، طريق غير معبدة، تتمايل بنا السيارة يميناً وشمالاً، وأحياناً ترتطم رؤوسنا بسقف السيارة، تارة نعلو وتارة نزل، فصرنا في نزول مستمر مخيف، حتى رأينا بعض بيوت هذه القرية تظهر كمربعات صغيرة معلقة في جهة الوادي، وبدأت الزراعة تظهر للعيان، فعلمت بأننا وصلنا بأمان.

استقبلنا أهل قرية حنور بكل ترحاب، وقاموا بحق الضيافة والكرم، وهي عادة أصيلة في قبائل نوح وسيان وكل قبائل العرب عامة، وخاصة أهل حضرموت، الذين اشتهروا بجميل الصفات وحسن المعشر وكرم الضيافة، ولهذا الكرم والجود في أهل حنور نستشهد بقول الشاعر حيث يقول :

كم لي ونا خائل شروح أبريرة
وارجع مغرب ما شربي إلا من حنور
وإن كان المعنى الحقيقي كما يقال
في بطن الشاعر ولكن ذكره أهل حنور
ومدحه لهم هي زبدة الموضوع
ومربط الفرس.

السكان:

بلغ تعداد سكانها (٤١٨ نسمة) حسب إحصائية لعام ٢٠٠٤م مع القرى التابعة لها في عمق الوادي، بيوتهم من المدر ومادة (القرم) بكسر

عاشوا كالذئاب الجبلية، تحفر مجدها وتاريخها بنفسها، هذا الوادي لو يجد نوايا صادقة من الدولة أو التجار والمستثمرين لتحول إلى جنة تستقطب رواد السياحة والراحة والاستجمام والرحلات الترفيهية. فما ذكرته يعد غيضاً من فيض ونقطة في بحر من جود وإحسان هذا الوادي.

حلمنا سيطل عنان السماء يوماً ما، وسنرى هذا الوادي ينعم أهله بما يتمنون من راحة وحياة كريمة تليق بهم، لأجل عطائهم الدؤوب منذ مئات السنين وكرمهم الذي ليس له حدود، سيظل وادي حجر يرمي إلينا خيراته على مدار كل عام ومنذ مئات السنين هكذا كان وهكذا سيظل للأبد.

قرية حنور المخفية:

ما إن تسمع بهذه القرية حتى يتبادر إلى ذهنك أسطورة القرية المخفية في بطن الوادي.. حنور إحدى قرى أرياف مديرية المكلا، يقطعها قبيلة (السموح) من قبيلة آل سيان.

أبنائها وشيخهم والقيم والمبادئ التي يتصفون بها والكرم وحسن الضيافة، ولقد تناقلوها جيلاً بعد جيل وكابراً عن كابر إلى يومنا هذا.

فحجر تعد مهوى قلوب الثوار في أثناء تحرير الجنوب من قبضة الاحتلال البريطاني، وتذكر المراجع وكتب التاريخ أن الرئيس السابق علي سالم البيض تحصن بها في عام (١٩٦٦ - ١٩٦٧م) في أثناء مرحلة الكفاح المسلح. ولقد نالت أفضل وسام وشرف وتقدير بعد الاستقلال عام ١٩٦٧م؛ فقد سميت المديرية باسم (مديرية الثورة)؛ وذلك تقديراً لتضحيات أبنائها الجسيمة في تلك الحقبة.

فعذراً لقلمي إذا سها عن ذكر هذا الوادي الخصب، وعذراً لكلماتي إن تجاوزت مزايا وصفات هذا الوادي المنسي، فما أنا إلا زائر أو عابر سبيل ألمني ذلك الجمال الساحر بهذا الوادي، وهذا الكنز المحيط بأهلها وهم يعيشون عيش الكفاف، فلا خدمات تصلهم، ولا ذكر ينصفهم



107

العدد (9)
يوليو
سبتمبر
2018م



أن تخنقني.. ورأيت في وجوههم الحسرة والندامة.. يعد المعلمون والأباء وأعيان القرية مشتركين في هذا التقصير الكبير، والذي لا يعقل أصلاً، كيف بهذه القرية وهي من أقدم المدارس بحضرموت الساحل لا يتخرج فيها معلمون منذ إنشائها عام ١٩٦٧م!!! ولقد عاهدتهم وعاهدوني أن يصبح منهم -ومن هذه الدفعة- المعلمون والمهندسون والأطباء لقريتهم وتاج رؤوسهم قرية حنور. وبعد يومين من وجودنا هناك ودعنا أهل قرية حنور، وانطلقت سيارتنا تمخر تلك العقبة، وتنفسنا الصعداء؛ لصعوبة هذه العقبة ووعورتها وخطورتها، فلو تجد من الدولة أو أهل الخير من يمهدها ويعبدها (يسفلتها)، لعاد ذلك على أهل هذه القرية بفرح وسرور، ولن ينسى هذا الصنيع لفاعله.

رغم مشقة الوصول إلى هذه القرية المخفية في بطن الوادي غير أن الرحلة تستحق المغامرة؛ لكشف خفايا قرية، تقبع تحت جنح واد، تمتد حضرموت بفواكه وخضروات نقية طرية طبيعية لا تعرف الغش والكسب المدمر للصحة والإنسان برش مبيدات خارجة عن القانون الدولي، بل ما زال أهل هذه القرية على الفطرة وحسب الخير والضمير الحي.

ثم قمت بالتجول بين هذه المزروعات، وصرت أقيس المسافة عبر السير وتتبع قنوات الماء حتى وصلت إلى منبع الماء في أعلى الوادي، كان منبع الماء يبعد عن القرية قرابة (٣ كيلومترات)، ويتم سحب الماء عن طريق مواسير تمتد عبر الوادي وحتى البيوت عبر مضخات تبرع بها أهل الخير.

مما ألمني وحز في نفسي تلك المدرسة التي تم إنشاؤها عام ١٩٦٧م مدرسة (الشهيد مسعود بحنور)، ومنذ ذلك العام لم يتخرج فيها مدرس واحد، فكل معلمها من خارج القرية، والعجيب أن هذه هي أول دفعة للصف التاسع تصل إليه هذه المدرسة سنة ٢٠١٧م. أما البنت فحدث ولا حرج فتكاد تصل للصف الخامس الابتدائي ثم تلتزم البيت، والسبب هو نقص المعلمين حسب ما قيل لي من مجلس الآباء وأهالي القرية. ولحسن حظي التقيت بطلاب (الصف التاسع) ولأول مرة في تاريخ حنور كانوا في اختبارات نهاية الفصل الأول، رأيت طلاباً يتصفون بالذكاء الفطري وسرعة البديهة، ولكن ينقصهم التشجيع وشحن الطاقات.

وعند نبع الماء عند حجرة كبيرة تتوسط الوادي تجمع طلاب كثير، فألقيت محاضرة مؤثرة كادت العبارة

القاف وفتح الرء، وهي أحجار جيرية، تستخرج من الهضاب، وتجلب من مناطق قريبة من قرية حنور.. اشتهرت هذه القرية باسم عاصمة (السموح)؛ لأنها كانت قديماً المركز الرسمي لهم في كل شؤون حياتهم.

عدد البيوت فيها قليل جداً مقابل شهرتها بين قبائل نوح وسيبان، فقد اشتهرت بإنتاجها للذبا (اليقطين)، ويعد (دبا) حنور (بضم الدال وفتح الباء مع التشديد) من أشهر أنواع اليقطين، وتغطي بهذا المحصول كل مناطق حضرموت وصولاً لعاصمة المهرة (الغيضة). وإلى جانب زراعتهم لليقطين يزرعون أشجار الليمون والثوم والحنطة والبر وأشجار المانجو وغيرها، وكل محاصيلهم ذات جودة عالية، وذوق طبيعي، لا يستخدمون أي مواد كيميائية أبداً، وهذا ما جعل خضرواتهم ومحاصيلهم يكون لها شهرة كبيرة وإقبال منقطع النظير، رغم قلة الإمكانيات وظروف حياتهم المعيشية. يوجد بها عيون جارية على مدار السنة، وأجمل ما فيها تلك المناظر الجميلة والخضرة الدائمة، فماؤها كأنه ماء الكوثر في صفائه ومذاقه.

سرت بين السواقي والماء ينساب تحت قدمي، ولقد بهرت وتعجبت من عقول أجدادهم الأوائل؛ فقد صمموا قنوات طبيعية، تسقي مئات الفدان الزراعي، ما يسمى (جرب) في ذلك الوادي بشكل دائم، وبطريقة هندسية رائعة، قنوات موزعة عن اليمين والشمال، دقة في توزيع الماء، وهندسة تدل على ذكاء الأجداد الأوائل وذكائهم، وقوة صمودهم وتحديهم لحل المعضلات بطريقة شق القنوات؛ لتصل لكل فدان على طول امتداد الوادي.



يا الكوس يا المعربية

في رحلة

من السواحل الإفريقية

خالد سالم الغتيني (أبو الهشم)

تأثير على هؤلاء المهاجرين؛ حيث إنهم عند هبوبها يشمون فيها وطنهم، ويزداد شوقهم وحنينهم إليه، وكان شاعرنا قد تأثر أشد التأثر بنسمات هذه الريح فالتهمت مشاعره، ليقتضي ما بقي من اغترابه، وقد بلغ به الشوق والحنين للأهل والأوطان في قلبه مبلغه، وهو يعد الأيام لبلياليها منتظراً موسم السفر، ولا شك أنها تمر عليه ببطء حتى وصول الموسم لعام ١٩٥٣م، عندما أعلن النوحه محمد بن مقارز بن عقيد المهري للركاب موعد المغادرة، وقد كان عمرو خميس أحد الركاب، يا ترى كيف كان شعوره عند سماعه نبأ ذلك الخبر؟! لا شك أن الفرحة قد ملأت قلبه، لعل رجليه لا تكاد تلامس الأرض، وهو يتسوق في أسواق ممباسا؛ لشراء الهدايا، والتي لا تزيد في مجملها على شوال (جونيه) من حبات الطعام، وزيت السمسم، وجوز الهند (الكزأب)، والعشنة— (البرتقال) فقد أحضر أغراضه رغم بساطتها، ورفعها إلى سطح الساعة، ومن ثم وضعها في أحد خنونها، وفي اليوم المحدد وبعد غروب الشمس أبحرت ساعية باكرت من ميناء

المهاجرون المشقاصيون في إفريقيا لا تخرج عن: بيع الفحم، أو حراسة المحال التجارية، أو الاصطياد، والأخير كان من نصيب عمرو خميس، فكان يذهب في الصباح الباكر بصحبة رفيقيه في العمل، وهما: غيثان بن غروب المشتهر (غبوس)، والبرك بن عوض السباعي إلى البحر في قاربهم المنباري - وتنحت هذه القوارب من جذع كبير من شجرة الساج الصلب، الذي يجلب من منيبار في الهند - لاصطياد (غدف) الأسماك الصغيرة، من أنواع الساردين، مثل: (المنتوج) (المنثوي) و(الششوي) و(العرعره)، ويباع إنتاج ذلك اليوم طازجاً، وبعد مرور العام ونصف العام على اغترابه بدأ يراوده الحنين، فنظم بيتين من الشعر، يقول فيهما:

نا عا المليمه ظوانا بو علي ع يلهب

يومه طرش قد وصلنا بالخبر يلتهب

و(المليمه) كلمة إفريقية تعني المرتفع، أو العقبة المرتفعة، و(أبو علي) اسم يطلقه المشقاصيون على ربح الزيب عند اشتداده، وبما أن السواعي المشقاصية تجري بريح الزيب إلى السواحل الإفريقية، هذه الريح كان لها

إن ما دفعني لاختيار هذا العنوان وهو (يا الكوس يا المعربية) أنه مطلع إحدى القصائد التي كثيراً ما نسمعها، وخاصة في فصل الخريف، عندما تهب رياح الشمال الموسمية، (الكوس) كما يطلق عليها المشقاصيون، ولا أخفيك أيها القارئ بأنني وقعت في أسر هذه القصيدة، ويعود ذلك إلى ما اختزلته من معاني معبرة عن واقع مري، رغم بساطة مفرداتها، ودفعني شديد إعجابي بها للبحث عن قصتها وعن قائلها، وهو عمرو خميس بن حمد بن عميرين الغتيني، ولد عام ١٩٢٥م تقريباً، عاش طفولته إلى أن بلغ مبلغ الشباب بمسقط رأسه منطقة (سرار) من قرى مديرية الريدة وقصيعر، تزوج في أوائل عقده الثالث، وبعد ارتزاقه بمولوده البكر وفي عام ١٩٥١م سافر إلى كينيا وتحديداً مدينة ممباسا، ولعل صعوبة الحياة، وتردي المعيشة في ذلك الوقت هو ما دفع بعمرو خميس للهجرة، كيف لا؟! وهو القائل في إحدى قصائده:

النوب ما شد لا حصل مجاني خضاب

وصل عمرو خميس إلى بر العجم، وقد كانت الأعمال الشائعة التي يزاولها



109

العدد (9)

يوليو

سبتمبر

2018م

فالتقفها أحد البحارة، وذهب بها
يتأرجح على سطح الساعة، حتى وصل
صدرها، فربط الحبال في مكان من
الساعة، يسمى (القلم)، ومن ثم في
(المنجلي)، ورفع يده معلناً انتهاءه،
فانطلقت الغنجة متجهة إلى أقرب مرفأ
بحري، تجر خلفها ساعة باكرت؛ حيث
وصلت مقديشو، ووطأتها أقدام عمرو
خميس فأنشد قائلاً:

يا الكوس يا العربية زعلتي عرب
زعلتي قلوب الناس ونبي مهب
ما جعلت لي قوت بأذوقه ولا بأشرب
لقد استطاع عمرو خميس من خلال
حسه الشعري أن يرسم تلك المعاناة
في أقسى صورها وأصعبها ومنتهاتها
وهو الإحساس بالهلاك، ولا غرابة في
ذلك فهو من بيت عمريين، وقد عرف
أفراد من هذه الأسرة بتألقهم في
الشعر رغم قلة أشعارهم، كما إن
قصائدهم قليلة من حيث الأبيات،
ولكن كبيرة من حيث المعنى، تخط
بماء الذهب، وتنقش في صميم الحجر؛
لتنأقلاها الأجيال، وقد برز من هذه
الأسرة غيوث بن عمريين صاحب
الأبيات الشهيرة:

اليوم ما بعدش يا لamo ومقرب سرار
ومقرب بنات العسل لي تحت نخل القصار

تدفق المياه، وحينها بدأ يختل اتزان
الساعة وكادت تغرق، وعندها أمر
النوخذه بـ (نفل الحمول) أي رميه في
البحر، ذهب الجميع لرمي تلك
الأغراض، ولربما وقع شيء من أغراض
عمرو خميس في يده ورمى به في
البحر من غير تردد؛ لأن حياتهم أهم
وأغلى من تلك الهدايا، والوصول إلى
الأهل سالمين أعظم هدية بحد ذاتها،
ولكن ما زال الخطر يهدد بهم، وكيف
يزول والرياح تعصف لتثير جنون ذلك
البحر الهائج، والذي بدوره لا يبخل
عليهم بشطحاته، ولا يكاد يتوانى عن
التلاعب بهم يمناً ويسرة بين أمواجه،
حتى بدأ يدب اليأس في نفوسهم،
وأيقنوا أنه لا مجال للنجاة.

ولكن مشينة الله فوق كل شيء، ففي
الظهيرة لمح أحدهم صارياً بعيداً،
فنادى الجميع بصوت عال مشيراً إليه،
فالتفت كل من كان على متن الساعة
ينظرون إلى ذلك الجسم الصغير، وهو
يكبر كلما اقترب منهم، ويكبر معه
الأمل والنجاة بعد فقدانها، حتى أقبل
عليهم؛ إذ بها (الغنجة)، وهي ساعة
يقال إن مالكاها (ابن اللسد المهري)،
وأهل البحر لا يتوانون عن مساعدة
بعضهم، فاقتربت أكثر فأكثر حتى
أصبحت المسافة بين الساعيتين لا
تتعدى بضعة أمتار، فرموا لهم الحبال

(كلنديني) متجهة إلى (بسر عرب)،
وتحديداً صوب ميناء قصير، وعلى
متنها عمرو خميس. لا شك إنه
حينذاك تذكر ذلك اليوم في ميناء
قصير، عندما كان متجهاً إلى تلك
السواحل (كينيا)، واليوم هو متجه إلى
ذلك الميناء؛ حيث تتراءى له معالم
وطنه الحبيب في مخيلته، وربما
تزاحمت في مخيلته الكثير من
الذكريات، وتذكر يوم أن وصل مسافراً
لميناء كلنديني، واليوم يغادره مسافراً
إلى أرض الوطن، وهو ينظر إلى تلك
المدينة التي عاش فيها قرابة العامين،
وهي تتوارى عن ناظريه شيئاً فشيئاً،
حتى اختفت أضواؤها خلف ذلك
المحيط، وأمضوا تلك الليلة بأكملها،
وقد قطعوا عشرات الأميال، وفي صباح
اليوم الثاني حدث ما لم يكن في
الحسبان، هذا ما جرت به المقادير؛
حيث تسبب ضغط (السن تيوب) بكسر
(الرول)، فانفصلت الريشة عن المكيئة،
و(السن تيوب) هو قطعة من الحديد
دائرية الشكل، تثبت فيه الريشة،
ويقوم بتدويرها، هذا أدى إلى توقف
الساعة عن السير، وبدأت المياه
تتسرب إلى داخلها، وقد كان اشتداد
رياح الشمال الموسمية (الكوس)،
وهيجان البحر سبباً في إفشال كل
المحاولات، التي قام بها البحارة؛ لسد





صاحبنا مغادرتهما دخل منزله، وأحضر قداحة سجائره، وجبلاً متيناً وطويلاً، وتسلق شجرة الدوم، وعندما كان يهم بربط الحبل فوجئ بهما يعودان من غير سيارة سيراً على الأقدام، فقد أوقفنا السيارة خلف الجبل، وعادا ليتأكد من أن أحداً لم يشاهدهما، وفتحا الباب، ودخل أحدهما إلى الغرفة التي دفن فيها الصندوق، بينما قام الآخر بالدوران حول المنزل.. وتجمد صاحبنا فوق فرع الشجرة كما تجمد الدم في عروقه خوفاً من أن يعيدا تفتيش الشجرة، ولكنهما لم يفعلوا في هذه المرة، بل جلسا ما يقرب من ساعة في مراقبة المنزل ثم غادرا، ولما اطمأن المغترب إلى عدم عودتهما شرع في تنفيذ خطته، فربط الحبل في فرع الشجرة، ثم تدلى به إلى السطح، وأخذ يزيل التراب المبلل من حول الكوة، ويقوم برفع الأحجار الصفيقة من على أعواد خشب السقف، حتى أحدث ثقباً، ونزل إلى الغرفة، وأشعل فانوساً كان موجوداً، وقد استعملناه في الحفر، ثم أزاح التراب الرطب، الذي غطي به الصندوق، وارتعب عندما سمع صوت ارتطام في الخارج، فخرج يستكشفه فتبين له أنه صوت صفيحة ألقت بها الريح، ثم عاد وواصل عمله حتى أزاح التراب الجاف من على الصندوق، فوجده مغلقاً بالقفل، فأخذ القدوم الذي حفرا به، ثم ضغط على القفل حتى انفلت، ثم فتح الصندوق؛ ليجد به ثلاثة أكياس مربوطة، فتحسسها فإذا هي ورق، ولم يشأ أن يضع وقته في ماهيتها ونوعها؛ فالوقت من ذهب، فسحب الأكياس من الصندوق ثم أغلقه، وأتى بالقفل وضغط عليه؛ لينتقل من جديد، وأهال عليه التراب، وليس بالتراب المعجون كما كان، وأطفأ الفانوس، وحمل الأكياس، وصعد إلى السطح، ثم إلى الشجرة، وذهب بالأكياس إلى منزله، ووضعها في غرفة مصمتة، وأغلق الباب، ثم عاد إلى السطح، وأعاد كل شيء إلى ما كان عليه، وقد ساعده على ذلك هطول الأمطار، التي سهلت له الطين اللزج، الذي جعل أن كل شيء يبدو طبيعياً، ثم صعد إلى الشجرة، وجنى منها ما استطاع حمله من

بعد أن أمن أبو زيد الحد الأدنى من القوت، الذي يبقيه على قيد الحياة من ماء ونبيق قرر أن يمكث في منزله شهراً مختفياً عن الأنظار؛ حتى لا تثار حوله الشكوك عندما يظهر بمظهر الشخص الميسور الحال..

استلقى في الغرفة وهو يرتعش من البرد، وعلى الرغم من تبديله لملابسه، وتغطيه بلحاف من الشعر فإن الارتعاش زاد وكأنها بوادٍ حمى أو إنفلونزا، فانسحب يزحف إلى الغرفة المصمتة، فهي أدفا؛ وخوفاً من أن تعثره نوبة عطاس وسعال، ومقتش في حقيقته التي قدم بها، فوجد شريط بندول، وعلبة بسكويت، فالتهم البسكويت وشيعه بأفواج من حبات النبق، وأخذ حبتين من البندول؛ فقد بدأ السعال والعطاس شديداً، وتغطى باللحاف، وراح في غيبوبة، ولم يصح منها إلا في منتصف الليلة الثانية حين نظر في ساعته..

فلم يشعر بأصوات الجرذان ومطاردها، ومشاركته في النبق، ولم يشعر بثعبان ضخم كان يطاردها ويتغذى عليها.. اكتشف كل ذلك عندما سمع صوت حركة الجرذان، وأشعل القداحة وارتعب من الثعبان ولكنه قتله، وتضايق من الحشرات؛ فهي كثيرة،

النبق، وفك حبله وحمله، وعاد إلى منزله، ولكن من فوق السور، وترك باب (الحوش) مغلقاً بالقفل من الخارج، وعندما كوم النبق تذكر أنه في حاجة إلى الماء، ولم يشأ أن يخرج ثانية؛ فالساعة قاربت على الرابعة صباحاً، وخشي أن يراه أحد من أهل القرية، فوضع تحت وابل العطر قدوراً وطسوتاً وأواني بلاستيكية، فامتلات في لحظات، ثم أدخلها، وأغلق الباب بالإقليد..

كان منزل أبي زيد عبارة عن غرفتين (وحوش) خارجي، ورثه عن جده لوالدته، فوالده كان بدوياً شامياً، ومات وهو صغير؛ غرفة متصلة بالحوش وهي مستطيلة الشكل، ربما كانت مساحتها (٥×٣ أمتار)، ولها كوة في الأعلى، ونافذة صغيرة عبارة عن كوة جانبية، تشرف على برحة واسعة مقابلة لمنزل التاجر. الغرفة الداخلية لا تتعدى مساحتها (٣×٢ متر)، فهي مصمتة من غير نوافذ؛ لأنها ملاصقة لمنزل آخر هجرة أصحابه إلى المدينة، والمنزل كله مبني من الحجارة الكلسية، ما عدا أساسه، فكان من حجارة الجرانيت الصلب، أما أبوابه فمصنوعة من أخشاب شجر السدر، وكانت صناعتها قديمة وقوية..



وتساءل كيف قضى ليلته تلك وسط هذا الخطر؟ وتعمت إنها عناية الله..

نهض أبو زيد نشيطاً ونجا من ضربة البرد، وأكل ما قبلته نفسه من الدوم، وفتح الأكياس واحداً تلو الآخر، وزهل من المبالغ التي بها؛ فقد كان في الأول مليون دولار أمريكي، وفي الثاني مليون درهم إماراتي، وفي الثالث مليون ريال سعودي، وانتابته لحظة صمت رهيبه، كادت أن تؤدي به إلى الجنون، فغاية حلمه عندما سافر هو مائة ألف ريال، فإذا بين يديه ما يقرب من ستة ملايين، وبعد أن أفاق من وقع المفاجأة، أخذ يفكر في كيفية استثمار هذا المال من غير أن يلتفت إليه الأنظار، واهتدى إلى أن وجود مليون ريال مع مقرب لمدة عشر سنوات أمر يبدو معقولاً ومقبولاً، ولكن ماذا عن بقية المبالغ الأخرى؟ سألقي به في قعر هذه الغرفة المظلمة إلى أن تتوسع أعمالي، وأكتسب غطاءً مالياً واسعاً عنها سأظهرها.. استمر تساقط المطر لمدة أسبوع تقريباً، وأهل القرى والبدو في هذه المنطقة يسمونها باسمها العربي الفصيح (ديمه)، وهم قد اعتادوا عليها، فقد تستمر أسبوعاً أو ثلاثة أيام، وكان أبو زيد يتسلل خلال الظلام في تلك الليالي المظلمة والممطرة ليجلب لنفسه النبق والماء، حتى خزن كمية من الماء والدوم تكفيه للمدة التي قرر الاختباء فيها..

بعد أسبوع أشرقت الشمس، وبدأت الحياة تدب في القرية، وبدأ يسمع أصواتاً لأطفال وكبار من حوله إلا أنه كان مرعوباً من هذه الأصوات.. وذات يوم بينما كان يجلس في الغرفة الخارجية سمع صوتاً فنظر من خلال خصائص الباب، فإذا بغلام يطارد دجاجة في الحوش حتى أمسك بها، ثم ألقاها خارج السور، وأخذ يتفحص المكان، فإذا بأثار أقدام، وبعض حبات نبق على الأرض، فقرب نحو الباب ودفعه، ولكنه لم يفتح، فنظر من خصائص الباب لعله يرى شيئاً بينما لصق أبو زيد بالجدار وحبس أنفاسه، وعندما ابتعد الغلام عن الباب وعلا السور، سمعه يخاطب أمه ويقول لها: فيه شخص دخل دار عمي أبي زيد، فردت عليه: من سيدخل دار

عمك أبي زيد وهو مسافر وهي مغلقة؟ ألم تر الحوش مغلقاً من الخارج، ولكني وجدت دوماً في الحوش.. يمكن أحداً شبع ورمها في الحوش، ويبدو أن الغلام الذكي لم يكن مقتنعاً بما قالت أمه، ولكنه وافقها، ونزل من السور..

بعد ليلتين سمع أبو زيد صوت رجل في الحوش، فنظر من شق الباب، فرأى سواداً لم يتبينه، ثم بعد هنيهة إذا بسواد آخر يقفز من على السور، وتورمت أوداجه فقد يكون هؤلاء لصوفاً، وقد يلجأون إلى كسر الباب، ما هذا التفكير الغبي يا أبا زيد الذي دعاك إلى هذه الحبسة المشؤومة؟ كنت غادرت القرية ودفنت كنزك في أي حفرة، وعشت طليقاً في المدينة، أو في أي مكان آخر، وبينما كان يرتجف خوفاً لاحظ أن الشخصين جلسا متلاصقين جنباً إلى جنب فإذا بهما عاشقان، فهذا روعه، وأخذ يرقبهما من خلال خصائص الباب عندما انزاحت عن القمر بعض سحب هاربة، فكانا يطعمان بعضهما، وقالت الفتاة في دلال:

- أين الهدية التي وعدتني بها في المرة الماضية؟

- وتعد لها بضيق اليد، ووعدتها في المرة القادمة لن يخيب ظنها.

وعض أبو زيد على نواجذه، ثم إبهامه، وود لو رمى له بريطة بعشرة آلاف ريال؛ ليفي بوعده نحوها.. ولعن الفقر.

ولكن ذلك اللقاء العشقي لم يدم إلا ساعة؛ حيث أيقظ إحساس الطفل الذكي والده.

- أبي.. أبي.. منزل عمي أبي زيد يسرق.. وحاول والده يهدئه؛ ليعود لنومه، ولكنه أصر، فقام معه مرغماً، وكان يلعن ويسب شقاوة ابنه ومجورة أبي زيد، وأحس العاشقان بالحركة، فقفز الشاب من السور، وعندما لاحظ الطفل وأبوه جروا وراءه في محاولة للإمساك به، واستغلت الفتاة مطاردهم لعشيقها فانسلت عائدة إلى دارها، واعتزت أبا زيد نوبة ضحك، كادت تفضحه عندما عاد الرجل وابنه وقفزا إلى داخل الحوش، ودفعا الباب وهزاه بعنف، فإذا به متماسك قوي، فعادا إلى منزلهما، وعندما أحست بهما أم الطفل تساءلت:

- أين كنتما؟ ما الذي حدث؟

- سارق كان يريد أن يسرق منزل أبي زيد.
- هذا الحين؟ أنتم مجانين أيش في منزل أبي زيد للسرقة؟ ما في منزل أبي زيد إلا الفقر، لو فيه رزق ما اغترب كل هذه المدة.
- نعم، والله له أكثر من عشر سنين.
- قل لنفسك.. تتبع الشيطان ابنك.
- ولكننا رأينا السارق يهرب وطاردناه.
- هذا سارق حاجة ثانية، من هو سارق منزل عمك أبي زيد؟

وقال الأب لابنه: نم.. نم.. أمك أخبر بالسرق منا.

توقع أبو زيد أن يأتي أهل القرية في الصباح، وخطر على باله أن يفر قبل أن ينكشف أمره، ولكنه أحس بما يشبه الحمى في جسده فالتف في لحافه، وقال لنفسه حتى لو كسروا الباب سأقول لهم عدت مع الفجر، وأن الحمى منعني من الرد عليهم، وفي الصباح فعلاً حضر أهل القرية، ودخل بعضهم إلى الحوش، وصعد البعض الآخر إلى السطح، وتوقف العقلاء عند الباب، ودارت مناقشات واسعة حول كسر الباب، ورفض العقلاء الفكرة؛ لأنها مسؤولة، وطلبوا الشباب بالنزول من على السطح خوفاً من انهياره، خصوصاً بعد الأمطار الغزيرة، التي شهدتها المنطقة، وهز بعضهم الباب هزاً عنيفاً وكاد يخلعه.. كل ذلك يجري وأبو زيد يرتعش تحت لحافه حمى وهلعاً، وأخيراً غادر الجميع المكان، ولم يبق إلا بعض الصبية يجرون على السطح محدثين ثقباً في السقف..

خشى أبو زيد من أن يتطور عبث الأطفال من ثقبوب إلى فجوات تضر بالمنزل وتضر به، واصتكت أسنانه من البرد، وتلوى كحبة أحست بالخطر، وشعر أنه في حاجة إلى كوب من الشاي أو القهوة الساخنة، ولكن أنى له ذلك؟ فقد مضى عليه ما يقرب من أسبوع وهو محبوس في هذه الغرفة.. ما هذا التفكير يا أبا زيد الذي أوقعك في هذه الورطة؟ الأكل دوم، والشراب ماء بارد من المطر أكثر من أسبوع، ولم يدخل بطنك شيء ساخن، إن استمر الحال على هذا الشكل طويلاً فقد تموت قبل أن تتمتع بالملايين.. ووطن نفسه على الصبر، واختصر المدة من شهر إلى أسبوعين،



بك دهرتي

مريم بن سمير

بك قلادة القدر

مصير الحقيقة حتمي

أبك الأجرام حتمي

تمزق رحيقها سرمداً

تحي رؤياي سهواً

تراني أرجل مواعيد المنى

أختزل غزل الساء أغنية

يرقصها القمر

ولادة وغسقاً

على وجنتيك تقول الكلمات

مستقر الحكايا

بأحداك الكون مدامك

تلملمي نهر أفيض بالنور

يث مع سرور النجوم

بك يحبس الحب حلوله

يرتل الليل كساء يحرق أغلاله

يرتجف عتابه

وتناهيد أغواره

تمعن في ثنايا أحجيتي

أهديني الحلم ثقاباً وزاداً

أناك ناجماً فاتناً عقمي

تفتق أشباهاً أشجنتي

كم موت إليك يدلني

يُدينني بك لأقرب

بيديك أنا سديم للحب

إنها مصير قدري

ضمة تقوم الحياة

محاولاً انتشال صداي من عدمي

أناك هي وجه الله

وإليك أهندي

باغشيش وابنه الكبير وجدوهم أموثاً
بعد الدواس سقطت بهم السيارة..
لا حول ولا قوة إلا بالله.. اللهم استرنا..
الناس تجري وراء الدنيا، والموت يجري
وراءهم.. لو معهم مثل هذا الجبل ما
نفعهم..

استمع أبو زيد إلى تلك المحادثة
بعناية، وخمن أن يكون سر الصندوق قد
مات بموت دافنيه؛ لهذا فعندما يظهر
بمظهر المغترب الموسر، والمتاجر في
السوق فلن يشك أحد فيه، وقرر أن يظهر
في منزله في صباح اليوم التالي، وأخذ
يطرح على نفسه مشاريع لتطوير القرية
إذا توسعت تجارتها، سواء أكان ذلك في
المدينة في وطنه، أو في الخارج في
الإمارات أو السعودية، وأحس ببرودة
واشتدت الحمى عليه، وحاول أن ينهض
ليفتح الباب ويعلن عن وجوده في
المنزل؛ فهو في حاجة إلى أكل وشراب
دافئ، ولكنه لم يستطع، وذهب في
غيبوبة لم يخرج منها ثانية إلا إلى القبر..
صعد عدة أطفال إلى سطح دار أبي زيد
يبحثون عن كرة لهم على السطح، ونظر
أحدهم من الكوة إلى داخل المنزل بداعي
الفضول، فرأى شخصاً ممدداً تحت اللحاف،
فصاح السارق في منزل عمي أبي زيد،
وهرع أهل القرية ليتأكدوا من ذلك،
وصعد أحد الشباب وتأكد من وجود
شخص فعلاً داخل المنزل، وقرع الباب
مرات ومرات، ولكن لا مجيب، عندها طلب
شيخ القرية كسر الباب، وعندما دخلوا
ورفعوا اللحاف تبين لهم موت أبي زيد،
وقتشوا شنطته فوجدوا بها أمواس
حلاقة، وصابون، وملابس قديمة، وكيس
شكليت هدية الأطفال، ووجدوا في حزام
حول خصره مبلغ عشرين ألف ريال ..،
واستغربوا لموته.. متى جاء؟ وهل مرض؟
أو مات فجأة؟ واشتموا رائحة كريهة تنبعث
من الغرفة الداخلية، وارتعبوا عندما
شاهدوا الثعبان، ولكنهم اطمأنوا عندما
رأوا النمل عليه.. لا دليل على أي شيء..
لقد مات أبو زيد بسر الصندوق..
ولكن..!

هل مات بسم الثعبان؟

هل مات من الجوع؟

هل مات من الفرح؟

هل مات من قهر الغربة وإهانة باججج له؟

وأخذ يفكر في كيفية الاسـتثمار،
وتراقت أمامه الأحلام.. سيتزوج من
أجمل فتاة في القرية أو القرى المجاورة،
وسيحول المبلغ إلى السعودية،
وسيتحول من بائع في محل إلى مستثمر،
وسوف يوظف خبرته وعلاقته في هذا
المجال ليصبح من كبار المستثمرين، وربما
تزوج مرة ثانية من امرأة في السعودية،
وحصل على الجنسية.. هذا المبلغ سينقلني
نقطة كبيرة.. سوف أكون نداً لباجججج،
الذي كان يوسعني تائباً وشتماً سوف
أضع رجلاً على رجل في وجهه بدلاً من أن
كنت أجلس مستكيناً عند كرسيه.. أحلام
وأمال كثيرة طافت بذهن أبي زيد وهو
يرتجف تحت اللحاف..

بعد انقضاء الأسبوع الأول سمع صوت
ماطور سيارة، فأشرف من النافذة
الصغيرة بعين واحدة، فشاهد سيارة
تقف عند منزل التاجر، وإذا بامرأة تسأل
أخرى عن المسافرين، وأجابتها الأخرى:

- محد مسافرين؟

- إذن من أصحاب الموت؟

- الباغشيش يدورون على أبيهم وأخيهم
الكبير.

- ليش ضاعوا؟!

- لا.. قالوا طالعوا إلى القرية ببضاعة وما
رجعوا ولهم أسبوع.

- ما هؤلاء كما الجن يأتون ويروحون ولا
أحد يحس بهم، ولا يطعمهم رزقهم.

- أووه.. لك عافية حتى لو دخلت دارهم
ما يقدمون لك الماء البارد.

- اقلعهم هم ورزقهم.

- ومن وقف على بابهم.. حفن يوم ولا رزقهم.

- كل رزقهم حرام من التهريب،
واستغلال الناس.

- ولا عملوا معروفاً في واحد من أهل
قريتنا، أو صلحوا شيئاً فيها.

ارتاح أبو زيد عند سماعه رأي أهل القرية
في الباغشيش من خلال محادثة
الامراتين، فهم إذن يستحقون السرقة..
مع أنه كان يعلم قبل هذه المحادثة أن
تكوين ثروتهم كان من طرق مشبوهة..
في نهاية الأسبوع الثاني من اختبائه

استيقظ على أصوات نساء يندبن.. وبكاء
وعويل.. فأرسل أذنه من خلال النافذة
الصغيرة فإذا أحد النسوة تسأل عن سبب
هذا البكاء، فإذا بالأخرى تجيبها الشبهة



(دخل عيف وخرج زين)

يقول العرب: (الذي أوله شرط آخره نور)، ويردد الحضارمة ما يقوله العرب، لكنهم في ثقافتهم الشفاهية الشعبية لهم تخريجاتهم الخاصة لهذا المثل كما ورد في العنوان المتسخدم هذا المقال، وبمقارنة يسيرة بين النصين يلاحظ استبدالهم لفظتي (شرط - نور) بـ(عيف - زين)، صحيح اختلفت الكلمات لكن المعنى واحد. ربما يبرز تساؤل: لماذا أثر الحضارمة في النسخة الحضرية من هذا المثل الصيغة الحادة (دخل عيف) عوضاً عن الصيغة الملطفة (شرط - نور)؟ من الصعوبة بمكان إيجاد حلول جاهزة لمثل هذه التساؤلات، ولكن لفهم شخصية شعب من الشعوب، أو جماعة من الجماعات البشرية لا بد من دراسة الكثير من التفاصيل، من أهمها الجغرافيا، والتاريخ، والثقافة الشعبية الشفاهية، والمكتوبة والمعتقدات... إلخ، وقد تتشابه الشعوب في توصيل فكرة ما، أو توضيح مغزى معين من مثل، أو قول مأثور، أو حكمة بالغة، ولكن في ثنايا ذلك توجد مساحة عند الجميع، تترك فيها البصمات المعجونة بالخصوصية أو المحلية. كما أنه ومن الأهمية بمكان معرفة دلالة لفظة (عيف) كما يقصدها الحضارمة، وليس من حيث الاشتقاق اللغوي، الذي يعني كما في بعض المعاجم: (عاف الرجل الطعام والشراب يعافه عيافاً إذا كرهه فلم يشرب به، فهو عافٍ)، والشخص العيف في اللهجة العامية الحضرية هو: سبيء الخلق، والمكروه اجتماعياً، وما شاب به ذلك، والعيف في الجماد: الرديء البالي، وما شاب به ذلك، ولهذا فإن إسقاطهم أو اشتقاقهم لللفظة (العيف) قريبة من قريب.

وعودة إلى التساؤل الذي ما يزال محللاً، ويبحث عن مستقر، فإن تأكيد الحضارمة على أن تكون البداية سليمة مهما كانت

تفسيرات الطرف المقابل ينبع من حرصهم القوي على أن لا تحدث مشاكل، أو منازعات؛ لتنتهي الأمور والقلوب معمورة بالحب والتفاهم والجمال، وهي نهاية تؤكدتها الكلمتان الأخيرتان في النصين (نور - زين)، وربما هذا مما يقربنا لفهم محدودية حالات التنازع والمشاجرات المسجلة رسمياً في بلادهم، وحيث ما حلوا وارتحلوا، ونستنتج من ذلك أن الشخصية الحضرية تميل إلى المهادنة إلى الحد الذي قد يفهمها الآخر بأنساق متنوعة، ومما يؤكد ذلك قولهم: (إذا جاء إلى تحت الدار ما شي منه تعذراً)، أي أنه من أراد الاعتداء عليك، ووصل إلى عتبات منزلك، فلا مناص من المواجهة، وهي إشارة تدل على تحليهم بالنفوس الطويل، وتوضح أن قواعد الاشتباك عندهم اضطرارية ليست مزمنة. لهذا حدد المثل خط الدفاع الاستراتيجي تحت باب الدار، وهو خط - من الناحية العسكرية - محفوف بالمهالك.

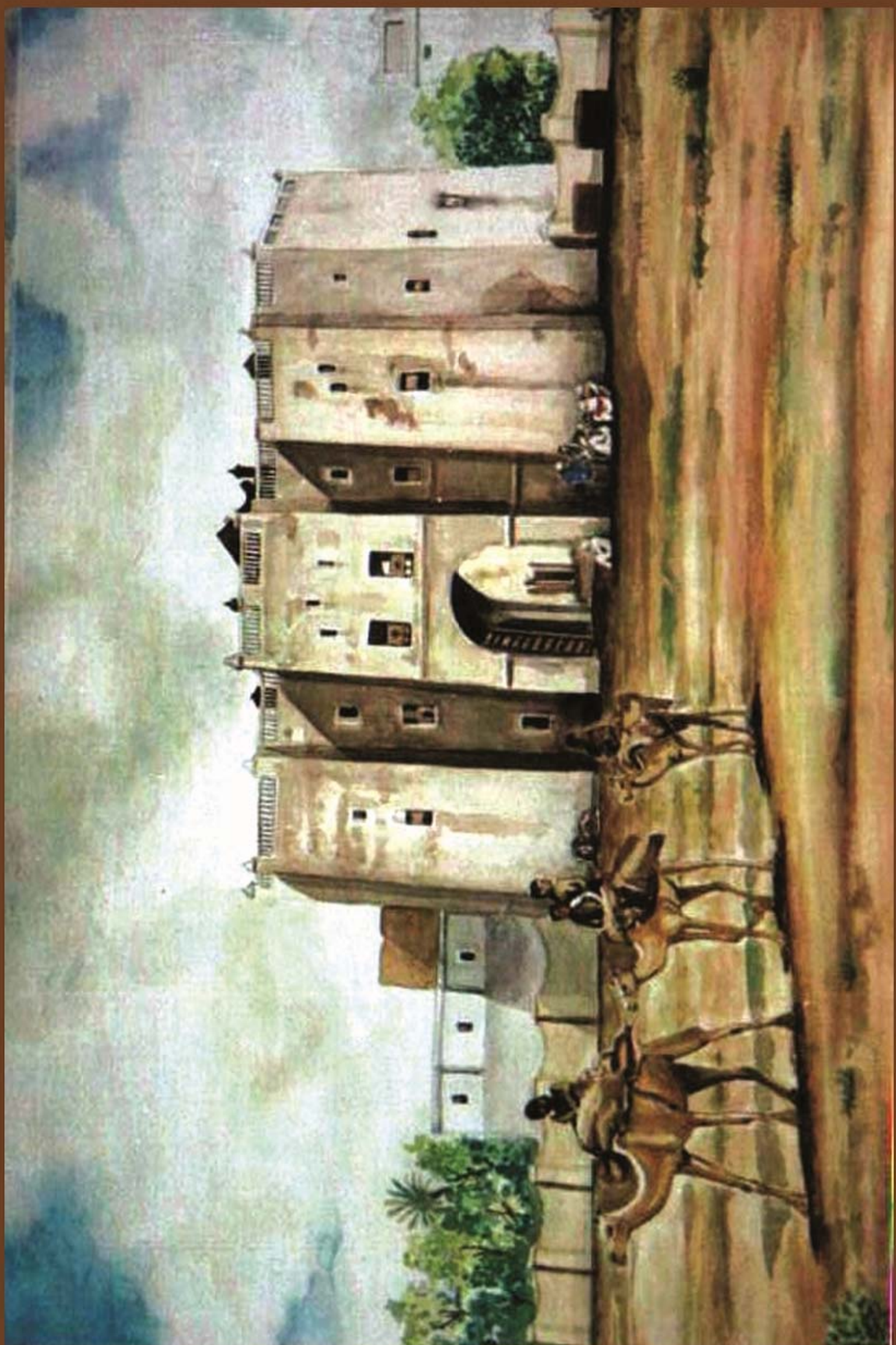
ولا تخلو المجتمعات البشرية من النزاعات البينية مهما وثقت العهود، وسجلت الشروط، فهناك تفاصيل يدخل منها الشيطان كما يقولون، وإذا دخل الشيطان، وتمكنت قواعده اشتعلت الأطعمة، وتزين الباطل، وغابت فضيلة التسامح، وتقدمت الأنانية بكل أشكالها القبيحة، والأمثلة على ذلك كثيرة، لكن غالباً ما تكون آثارها محدودة؛ إذ لا تتعدى محيط الأفراد المتنازعين. لكن المصيبة، أو قل: الطامة الكبرى عندما تؤسس العلاقات بين الدول على أرضية غير سليمة تغلب عليها العاطفة وتغيب الخبرة السياسية، ويحضرني عادة المثل (دخل عيف...) عندما تأتي مناسبة ذكر الترتيبات الأولية لنموذجين سياسيين للوحدة والاتحاد لدولتين معاصرتين، ونقصد الوحدة اليمنية والاتحاد

الألماني. ربما كانت المقارنة ليست في محلها، ولكن لا بأس من الإدلاء بدلوينا من وجهة نظر متابع، وليس بمنظور المؤرخ، الذي لا ريب سيلهث وراء الأبعاد والحيثيات؛ ففي اليمن تم الدخول إلى الوحدة بناءً على اتفاق، كتب على صفحتين، دبج في ظاهره بأفكار عامة ممتازة، وفي باطنه فخ بعوامل دفع سريعة، وليس بعوامل تمكين آمنة؛ ولهذا وفي وسط صخب مهرجان الفرح الأنبي غابت الحكمة اليمنية وغير اليمنية. أما الألمان فقد دخلوا إلى مشروع دولتهم الاتحادية بثقافة (العيافة) حسب الصيغة في نسخة المثل الحضرية، ولهذا وثيقة الاتحاد الألماني وصلت إلى بضع آلاف من الأوراق، دونت بـهدهوء تفاصيل التفاصيل، بما يمكن من الدخول المستنير والأمن، ويحفظ مصالح الجميع، وبهذا يمكن القول: (إن الحكمة هنا ألمانية). والحديث ذو شجون، وحيز المقال لا يتسع للمزيد.

بقي القول إن الألمان (الكفار) دخلوا إلى اتحادهم الوطني بخطوات واقعية، وبنوايا وطنية صادقة، ومخلصة، بينما هرول الحكام (المسلمون) إلى الوحدة اليمنية في غفلة من التاريخ، وبمخزون من العداء، والشك، والأطماع، والنوايا السيئة، والنتيجة كما يقول الحضارمة بلهجتهم العامية: (دخلوا عيف وخرجوا عياف).



أ. د. عبدالله سعيد بن جَسَّار الجعفيدي



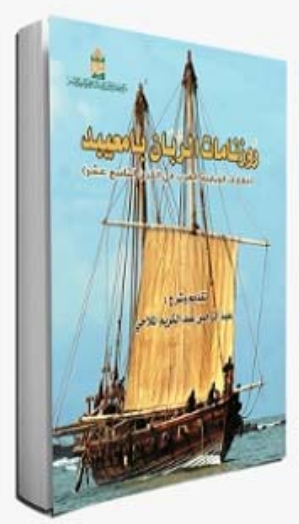
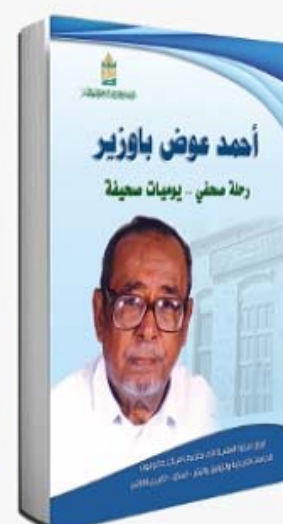
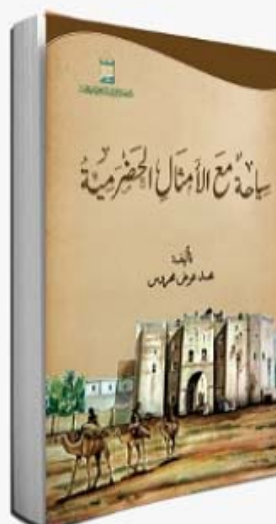
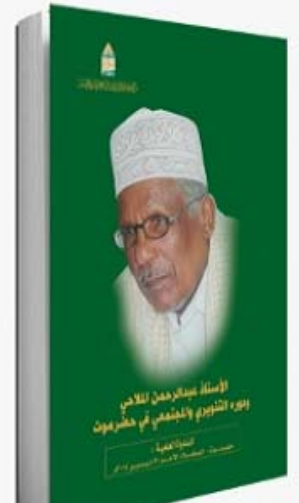
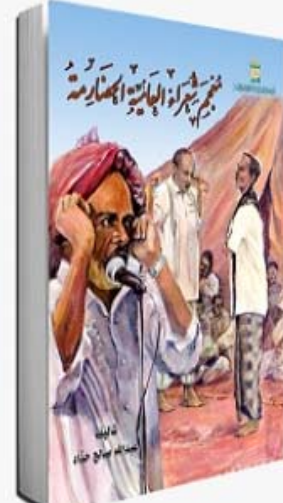
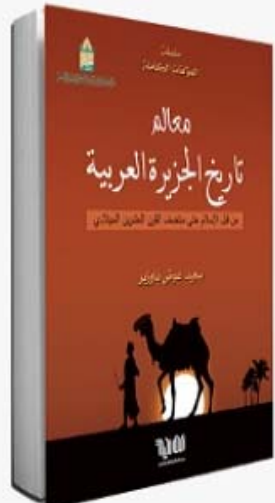
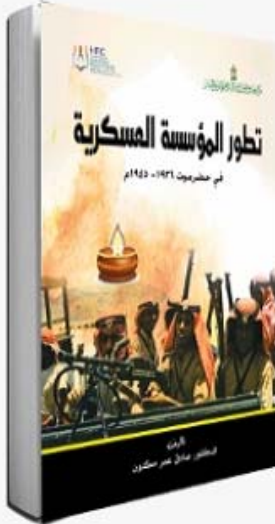
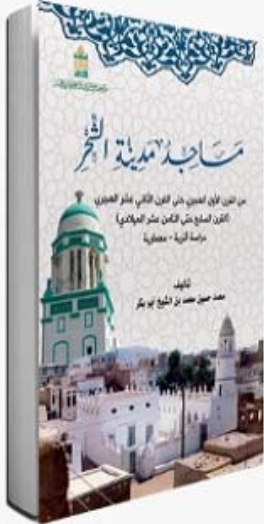
لوحة للفنان / سالم ياسليم - رحمه الله



مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر

Hadhramaut Centre for Historical Studies
Documentation and Publication.

من إصدارات المركز





مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر

Hadhramaut Centre for Historical Studies
Documentation and Publication.

حضرموت الثقافية

محرم ١٤٤٠ هـ - September - 2018 Hadhramaut AL-Thaqafiah Magazine

مجلة فصلية - السنة الثانية العدد (9)



عن علي غداف
وسرديات التشكيل

سلامة عبدالقادر بامطرف
رائدة التنوير والكتابة النسائية
في الصحافة الحضرية

(حضرموت الثقافية) في حوار مع
الإعلامية والمسرحية: أنيسة خميس

أضواء على تاريخ صحراء (ثمهد) وهواقعها

